مجلة امتداد
للثقافة والفن

مجلة امتداد للثقافة و الفن

مجلة فصلية أدبية ثقافية / تصدر من
مدينة تازة المغربية

افتتاحية العدد:

امتداد مجلة امتداد

فاطمة الزهراء الأحرش

عمود خاص :

أسفار الجمال

مهدي غلاب

مقال:

الكفاية التأويلية

التهامي أغنيم

شعر :

سؤال وجودي

كريمة الغربي

قصة :

أحلام جياع

أحمد سليمان أبكر

السنة الثانية / العدد 11 / يناير 2023

مدير النشر :

محمد امحيندات

رئيس التحرير :

محمد واحي

هيئة التحرير :

فاطمة الزهراء الأحرش

شكيب الشواي

ياسين اليعكوبي

غزلان زينون

جمعة التوزاني

مهدي غلاب

تصميم وتنسيق المواد :

عزالدين امحيندات

anamil.design1@gmail.com

مجلة امتداد للثقافة والفن
فصلية إلكترونية تصدر من تازة

شروط النشر بالمجلة

1- أن تكون المشاركة أصيلة خاصة بصاحبها، وغير منقولة أو مقتبسة من أي مكان آخر.
2- الكتابة بلغة سليمة مع انسجام النص شكلا ومضمونا.
3- تجنب المواضيع التي تسبب الخلافات بين الأشخاص (الدين، السياسة، العرق، الجنس).
4- إدراج المراجع المعتمدة في المقالات.
5- يجب إرسال المشاركات حصرا في ملف وورد يتضمن المعلومات التالية:
*عنوان المشاركة.
*اسم المشارك بلده.
*صورة المشارك.
6- على المشاركة ألا تكون قد نشرت من قبل بأي شكل من الأشكال.
7- تقبل مشاركة واحدة لكل شخص.
8- ترسل المشاركات حصرا في البريد الإلكتروني للمجلة أو على رقم الواتساب.
9- سنقوم برفض أي مشاركة لم تتوفر فيها المعايير السابقة، دون الرجوع إلى صاحبها.

مجلة امتداد
للثقافة والفن

قائمة المحتويات

- **افتتاحية العدد:** امتداد مجلة امتداد ،فاطمة الزهراء الأحرش.....01
- سيرة ذاتية خاصة بضيف العدد.....02
- نماذج من إبداعات حسن برطال.....03
- بعض إصدارات ضيف العدد.....04
- حوار العدد الحادي عشر:مع الكاتب المغربي حسن برطال.....05
- **باب الشعر.....08**
- سراب ،مـراد الـحـسـنــاوي.....09
- سؤالي وجودي،كريمة الغربي.....10
- القلب لولا فيض حبك ما ارتوى،حسن زكريا اليوسف.....11
- كثيرا ما أتأمل سماء ذاكرتي،ترجمتها عن الفرنسية سلمى الغزواني.....12
- **باب القصة.....13**
- أحلام جياع،أحمد سليمان أبكر.....14
- ارتحال،أسيمة إبراهيم.....15
- البراموني،عباس علي داود.....17
- الحدسية والحلم،بلال الخوخي.....22
- الشيخ موكاصا يحدثكم،محمد زريق.....26
- العالق في ساعة الحائط،شكري سلامة شكري.....29
- المرآة،ابيه بظاك.....33
- المقهى المهجور،ياسر سبعاوي.....35
- بذور ،شريف الكردي.....39
- ترانيم صبابة آسنة،نورة لمنور.....41
- حكاية بابا غول،كمال الإدريسي.....48
- شيئا من سعاد،منيب مختار إسحق.....52
- على عتبة الكهولة،سفيان العلالي.....55
- على متن أغنيتين،سحر علي عبد الله.....58
- قرن الغزال2111،عبد المالك حسنيوي.....59

- سكينة ماتت،كمال العود.....62
- لغز الدائرة الثالثة،بسمة يحيى حامد.....64
- مخلفات وطن سابق،سكينة هكو.....66
- مثابة،أسماء محمد هرماس.....67
- بائع الفول البلدي،وسيم الفائق.....69
- قناعات،فاطمة وهيدي.....70
- **باب المسرح.....71**
- الخضر،علي محمد الفشني.....72
- **باب اليوميات.....75**
- رحلتي الأولى بقطار ألماني،ألمى حلواني.....76
- **باب المقال.....78**
- الإعلام وعمالة الأطفال،واقع ومستقبل،سوزان عبد البلاونة.....79
- الرجل و ...المرأة،عادل غنيم.....81
- الكفاية التأويلية: قراءة في قصيدة " تموز جيكور"،التهامي أغنيم.....85
- ثنائية الحب والقتل قديما وحديثا،آية الكحلاوي.....90
- العلامة اللغوية وفائض المعنى: نحو تأويل موضوعي،مصطفى امرشيش.....94
- مقومات القصة القصيرة جدّا "قبل النوم بقليل" للقاص المغربي حسن برطال نموذجا،ياسين اليعكوبي.....98
- **أسفار الجمال.....102**
- الأبعاد التّفاعلية في المشروع الفوتوغرافي للمغربي عبد اللّطيف الغازي،مهدي غلاب.....103
- متى نُحرِّر ؟!،مهدي غلاب.....106
- وقفة سِيريّة،مهدي غلاب.....107
- رحلاتٌ نصيّةٌ مختصرة تبحثُ في مكامنِ السِّحر الإبستيمولوجيِّ للفنونِ البصريّةِ)الصّناعاتُ الرّافائيليّة بين الوجدان والوجود،مهدي غلاب.....108
- مراكب الوهن،مهدي غلاب.....110
- سراج الليل،مهدي غلاب.....111

امتداد مجلة امتداد

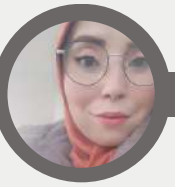

فاطـمـة الزهـراء الأحـرش

إن الانطلاق من فكرة مشروع ما دائما ما يهدف إلى وضع أهداف ومقاصد نبغي منها الوصول إلى ما يشبع شغفنا بالعمل على هذا المنطلق. وجاءت مجلة امتداد للثقافة والفن بمجوعة من الأهداف منذ نشأتها، فبالرغم من العقبات التي صادفت إحياء هذا الموروث الثقافي في صنف الصفوف الطلابية والعراقيل التواصلية مع كافة الأقطاب المعنية بالأمر؛ إلا أن هدفنا الأول والأخير كان ولا يزال هو إيصال صيتنا لسائر العالم العربي ولما لا الانفتاح على أقطاب أخرى مستقبلا.

تأسست المجلة أواخر عام **2020** من فريق طلابي متميز، وكان أول إصدار لها في يناير **2021**، تحت اسم **"**مجلة عشاق القلم الثقافية**"** ليتغير في العدد الرابع إلى اسم **"**مجلة امتداد للثقافة والفن**"** وهذا إن دل على شيء فهو يدل على الارتقاء الذي عرفته المجلة والازدهار الذي حملها من رقعة -محدودة- إلى امتداد جغرافي وفكري وثقافي مهم في بقاع العالم العربي. امتداد أشعل فتيل الحماس داخل جعبتنا الأدبية والعملية في تقويم وتحسين جودة المجلة لتصل إلى ما هي عليه الآن من اختلاف جنسيات المشاركات وتنوع إبداعات المشاركين وتبادل المواضيع التي تهتم بها ألبابهم، كذلك في العمل على جمالية حلة المجلة من خلال التصميم الإلكتروني الجميل والخلفيات البهية التي تطبق عليها حروف المبدعين، والتي تجذب القارئ دون ملل أو ضجر في التهامه محتوى المجلة باهتمام وتطلع كبيرين.

وبهذه المناسبة، مناسبة الذكرى السنوية الثانية للمجلة، ومع بداية عام جديد على ولادتها وإحياءها، في نسخة **"**مجلة امتداد للثقافة والفن**"** يناير **2023**، نعدكم أوفياء مجلتنا الأعزاء، أنها ستكون نسخة تروق ذوقكم الفني الفذ، وترقى أيضا إلى مستوى تطلعكم الفكري والعلمي. لما لا وقد اجتازت مجلتنا حدود الخريطة المغربية وانهالت عليها مشاركات تسري بنا في عوالم مختلفة من جنسيات مختلفة، وبهذا أصبحت المجلة ترى النور بعد عناء البداية الصعبة التي عانى منها كل فرد أراد النهوض بالمجلة المدرسية أو الجامعية وقد تحقق الأمر بعد نجاحنا المستحق للمرة الثانية على التوالي.

ذكرى سنوية مجيدة لمجلتنا الأبية مجلة **"**امتداد للثقافة والفن**"** ومن خلال هذه المناسبة الكريمة نشكر كل من ساهم في نجاحها واستمرارها القوي، ونعدكم أوفياءنا الأعزاء أننا سنسهر على المزيد من العمل والجهد تقنيا وعمليا لنرقى إلى مستوى تطلعكم ورقيكم الفكري والأدبي والفني عموما.

سيرة ذاتية خاصة بضيف العدد

حسن برطال

حسن برطال من مواليد (1958) بالبيضاء، المغرب... عضو في"اتحاد كتاب المغرب"... وكاتب للقصة القصيرة جدا، كما شارك في عدة ملتقيات عربية ووطنية... وفي عدة ندوات وموائد مستديرة.

المؤلفات

- أبراج، قصص قصيرة جدا، منشورات وزارة الثقافة، .(2006)
-قوس قزح، منشورات دار أنفوبرانت، فاس، . (2009)
- صورة على نسق، قصص قصيرة جدا، منشورات وزارة الثقافة(2010).
- سيمفونية الببغاء، قصص قصيرة جدا، منشورات دار الوطن، الرباط(2012) .
- مغرب الشمس، قصص قصيرة جدا، منشورات دار الوطن، الرباط .(2014)
- الماء و البنون، منشورات جمعية جسور، المهرجان العربي للقصة القصيرة جدا .(2015)
- عائد إلى (فيفا)، مجموعة قصص قصيرة جدا، منشورات مطبعة سجلماسة، مكناس، الزيتون(2016)
- صورة من الأرشيف، مجموعة قصص قصيرة جدا، منشورات سجلماسة ، مكناس، الزيتون((2016
- فارسة الأحلام، مجموعة قصص قصيرة جدا، مؤسسة الموجة، بدعم من وزارة الثقافة (2017)
-ليتني كنتُ غرابا، قصص قصيرة جدا، مطبعة بلال، فاس (2017)
أحد عشر كوكبا، قصص قصيرة جدا، مطبعة بلال، فاس(2019).
-لاشرقية ولاغربية، قصص قصيرة جدا، مطبعة بلال، فاس(2019)
-موطئ قلم، قصص قصيرة جدا، مطبعة بلال، فاس(2020).
-كورونيات عُسْرُ الفهم، قصص قصيرة جدا، مطبعة بلال (2020)
-النرجيلة الرقمية، قصص قصيرة جدا، مطبعة بلال(2021).
- قبل النوم بقليل، قصص قصيرة جدا، مطبعة بلال(2022)
-ممتلكاتي أتفقدها ليلا، قصص قصيرة جدا، مطبعة بلال(2023)

مُساءلة في تجربته القصصية القصيرة جدا إلى جانب تجاربه المغربية الأخرى:

1- ضمن مؤلف: القصة القصيرة جدا بالمغرب (المسار و التطور) للدكتور جميل حمداوي الصادر عن مؤسسة التنوخي للطباعة و النشر.
2- ضمن مؤلف: القصة القصيرة بالمغرب (دراسات في المنجز) للدكتور جمال بوطيب الصادر عن مؤسسة التنوخي للطباعة و النشر.
3- جماليات القصة القصيرة جدا، محمد داني، مطبعة البوغاز، مكناس.
4 - الإيقاع والإيقاعية في القصة القصيرة جدا، للناقد محمد داني (2015)، كلمات للنشر والطباعة والتوزيع، دعم وزارة الثقافة.
5- مضمرات القصة القصيرة جدا، للناقد محمد يوب.
6- في معرفة القصة المغربية المعاصرة، لمحمد يوب، سلسلة دفاتر الاختلاف.
-7 قراءات في القصة،الومضة، لمحمد محقق، دار فلاورللنشر، جمهورية مصر العربية، القاهرة.
-8 غواية السرد القصير، للدكتور مسلك ميمون، دار الريف للطباعة و النشر و التوزيع.
9وميض الحكي، عوالم التخيل في القصة المغربية المعاصرة للدكتور عبد الخالق عمراوي (2015) منشورات دار التوحيدي،الرباط، بدعم من وزارة الثقافة.
-10 دراسة في المثون،للدكتور جميل حمداوي.
-11 القصة القصيرة جدا بين التنظير والتطبيق (المقاربة الميكروسردية)، للدكتور جمال حمداوي (2013)، دار الريف للطبع والنشر والتوزيع.
-12 حفريات في القصة القصيرة جدا، حسن برطال، ميمون حيرش، عبد الرحيم التدلاوي، نموذجا (2017)، للناقد المغربي محمد داني، عن مطبعة سجلماسة، مكناس الزيتون.
-13 ما قبل السرد، تصديرات لمجموعات قصصية، الدكتور مسلك ميمون(2019)، منشورات ديوان العرب، بورسعيد، مصر.
-14 شجون الأدب وشؤون النقد، حوارات في القصة القصيرة جدا بالمغرب، الدكتور محمد البغوري.
15- القصة القصيرة جدا أقرب إلى الأرض، حسن برطال، الدكتور أحمد رزيق(2022)، مطبعة بلال.

نماذج من إبداعات حسن برطال:

حـسـن بـرطـال

العصير نموذج آخر

الزيتون، البرتقال والتفاح انحرفوا وعاشروا(القنينة).. الفلاح يكتشف أن العنب نبث بالجوار../

النرجيلة الرقمية، ص 15.

نسيج امرأة

تقدّم لخطبة إحدى بنات كبير التّجار، عرض عليه واحدة (تلبس) الحرير ولما رفضها طمعا في التي (صنعته) وجد نفسه أمام دودة القز../

النرجيلة الرقمية، ص 21.

الامتحان الشفوي والتحرش

لما طلب منها أن ترفع(الكمامة)لينظر إلى فمها بتمعن،اتهموه بالتحرش..لكن الأستاذ رجل(أبكم وأصم) كان همه هو قراءة الأجوبة في حركات شفتيها../

النرجيلة الرقمية، ص 33.

التجار والكفار

قاطعنا بعض المشروبات والمواد الغذائية للدفع ب (الكفار) نحو الإفلاس.. وبعد نهايته الحملة وحده(امْحماد) صاحب المحلبة يُعلن إفلاسه../

النرجيلة الرقمية،ص 38.

رِجل وحذاء

هو لباس لها وهي تعيش في قلبه، هذه المرة خرجت ولم تعد وفي المخفر تلقى خبر وفاتها تحت التعذيب و(الفلقة) وسؤالا: لماذا يجمعكما (الشارع) ويفرقكما (البيت)؟

قبل النوم بقليل، ص 8.

اسمه عزيز

سُجنت بتهمة الخيانة، ولما زارها الزوج اعتذرت ثم عانقته وقالت: سامحني يا (عزيز) واعتبرني زليخة فأجاب: أنا لست عزيز مصر.

قبل النوم بقليل،ص 12.

القياس

كلما قرأ ورقة من مقرره الدراسي يقتلعها.. المعلم يُوبخه، لكن التلميذ يتكلم عن حكايةِ أبيه مع (اليومية العصرية).

قبل النوم بقليل، ص 17.

ذخيرة الملاعق

قصفوا بيوتَ غزة وفتشوا(مطابخها) خوفًا من آليات الحفر الخارقة الموجودة هناك.

قبل النوم بقليل، ص 71.

الحمال

الطفلةُ التي أتعب ثقل المحفظة كتفها تتزوج اليوم.. بعد تسعة أشهر من الحمل، عادت المحفظة إلى ظهرها.

قبل النوم بقليل، ص 76.

بعض إصدارات ضيف العدد

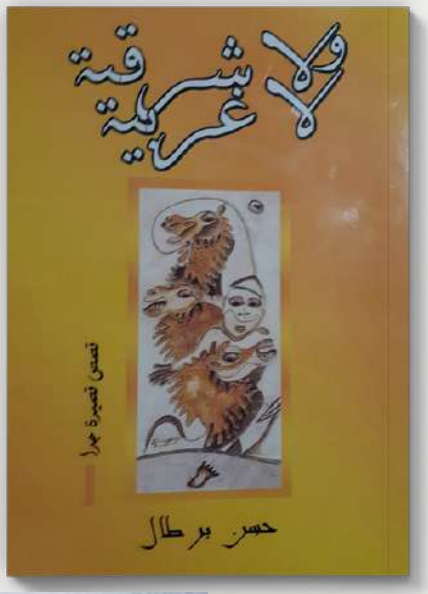

حوار العدد الحادي عشر:
مع الكاتب المغربي حسن برطال

أردنا في هذا العدد تسليط الضوء على نوع أدبي جديد بدأ يفرض نفسه على المؤسسة الأدبية، وباعتراف من المبدعين والنقاد؛ يتعلق الأمر بالقصة القصيرة جدا. ولمقاربة هذا النوع الأدبي بشكل مستفيض استضفنا في العدد الحادي عشر من مجلتنا، الكاتب والمبدع المغربي حسن برطال، فأهلا وسهلا بك أستاذنا الفاضل.

-بداية نود منك أن تقربنا بإيجاز من تاريخ القصة القصيرة جدا، ودواعي بروزها في الساحة الفنية.

-نشأت القصة القصيرة جدا مع بداية القرن التاسع عشر في أمريكا اللاتينية (منتيروسو وهيمنغواي) ثم انتقلت إلى فرنسا مع الروائية (ناتالي ساروت) في ترجمتها لكتابها الذي يحمل عنوان (انفعالات) ثم انتقلت إلى سوريا والعراق والمغرب العربي، ومنها تطورت بشكل ملفت في المغرب مع بداية القرن العشرين، وأصبحت القصة المغربية القصيرة جدا قاطرة هذا الجنس على مستوى العالم العربي... ويعود سبب ظهورها إلى ظروف سياسية واجتماعية وثقافية، وخاصة الأزمة الاقتصادية في أوروبا التي وصلت إلى الفن التشكيلي حيث ظهر فن الإقلال.

-يمكن الوقوف على أوجه التشابه بين القصة القصيرة والقصة القصيرة جدا، فهل يمكن اعتبار هذه الأخيرة سليلة الأولى؟

لا أوافق رأي الذين يقولون أن القصة القصيرة جدا خرجت من معطف القصة القصيرة، من الممكن القول أنه كان بينهما نقط تقاطع وأوجه تشابه معا إلى خلية (السرد) حيث أن قاسمهما المشترك يكون هو الحكاية، الشخصيات، المكان والزمن، لأن القصة القصيرة جدا هي قبل كل شيء قصة لكنها قصيرة ومختزلة / تذوب المتناقضات والمتشابهات، لكن سرعان ما انتقلت القصة القصيرة جدا من الاختزال إلى التكثيف، اخترقت عالم البلاغة مرورا عبر جسر بعض التقنيات كالإضمار وأسست لركنها الأساسي (التكثيف)، كما أصبح لها زمنها الخاص، يسمى بالزمن الثالث، عكس زمن القصة والقصة القصيرة الذي يؤرخ للحدث أو يواكبه، فقد أصبح عنصر الزمن في الق. ق. ج. مضمرا في الشخصية، مثلا الجندي في النص يحيل على زمن(الحرب)... أصبحت الشخصية لا تتحمل التوصيفات... وكذلك التخلي على السرد الخطي الذي يخدم القصة والقصة القصيرة والاعتماد على السرد الدائري وهكذا تم الإعلان عن استقلالها.

-تواجه القصة القصيرة جدا بالرفض من طرف بعض المبدعين وحتى النقاد، باعتبارها نوعا أدبيا دخيلا على الأجناس والأنواع الكبرى، أو باعتبارها نوعا مطبوخا على عجل، فما رأي ضيفنا الكريم في هذه المواقف؟ وهل استطاعت القصة القصيرة جدًّا أن تفرض نفسها في الساحة الأدبية؟

-هناك ثلاثة مواقف صديقي... هناك معسكر معارض ورافض لهذا الجنس وهؤلاء أعتبرهم من أعداء الحداثة، وهناك معسكر مناصر وأنا منهم لأننا وجدنا فيه ذواتنا، وهناك من يلتزم الحياد ينتظر الجهة الغالبة للانضمام... أعيد وأكرر بأن القصة القصيرة جدا قد فرضت نفسها بل وأكثر من ذلك فهي جنس المستقبل.

-القصة القصيرة جدا ومواقع التواصل الاجتماعي، أية علاقة؟

-علاقة القصة القصيرة جدا بمواقع التواصل الاجتماعي أعتبرها علاقة مريض بالمصحة... فالفايسبوك مختبر التحليلات والاستفادة من آراء المتتبعين والقراء

قبل لحظة النشر الورقي.

-يقول هنري ديفيد ثور: "القصة القصيرة ليست بحاجة إلى الطّول، ولكن جعلها أقصر هو ما يستغرق وقتا طويلًا". بناءً على هذا القول، نريد أن نعرف هل يتطلب منك جعل القصة القصيرة أقصر وقتا أطول؟

- بإمكاني أن أحول قصة قصيرة إلى قصة قصيرة جدا... إذا كانت القصة القصيرة بحدثين وشخصيتين سأحذف شخصية واحدة وحدث واحد وفي الأخير سأجد نفسي أمام قصتين قصيرتين جدا.

-في نظرك، هل حظيّت القصة القصيرة جدًّا باهتمام النّقاد كما هو الشأن بالنسبة لباقي الأجناس؟ أم مازالت تدور في الهامش، وتطلب لها مكانا شرعيا وسط الإنتاجات النقدية؟

-القصة القصيرة جدا في مركز إمبراطورية الإبداع حاليا، لقد أصبح لها نقادها أفادوها واستفادوا منها، لائحة الأسماء طويلة جدا (عربيا ومحليا) ولو أشرتُ إليهم لكان المنسيون أكثر ممن سيذكرون... أسست لملتقياتها ومهرجاناتها (عربيا ومحليا) على مستوى المجاميع القصصية، هناك كم هائل، وبلغة الأرقام بلغ عدد المتون المنشورة ورقيا يفوق **300** مجموعة قصصية قصيرة جدا في المغرب.

-هل تراهن الدراسة التحليلية للقصة القصيرة جدا على الجانب التأويلي أكثر من باقي الجوانب؟ وهل الدراسة المحايثة للقصة القصيرة جدا هي نفسها التي تنطبق على باقي الأجناس، أم أن شكل هذا الجنس الأدبي يستدعى نوعا خاصا به من الدراسة؟

-السيمائيات الحديثة أكدت بأن الجانب التأويلي لمقاربة النص القصير جدا يخرجه من نص (محكم) إلى نص (متشابه) وتفتح في جداره عدة نوافذ وخاصة أن القصة القصيرة جدا تخرج من رحم الخبر.

-في الآونة الأخيرة نرى أنَّ هناك إقبالا كبيرا على كتابة القصة القصيرة جدًّا، ما تعليقُك على هذا الإقبال؟

هذا الإقبال راجع لعدة أسباب:

-فهي قطار الحداثة ولهذا السبب استقطبت العديد من (الركاب) لأن المواكبة والتطور غريزة كل كائن حي،

- جاءت بحلول كثيرة وخاصة على مستوى النشر الورقي فهي من السهل أن تجد لها مكانة على صفحات الجرائد بسبب مساحة النص الضيقة،

- مواكبة حياة الإنسان المعاصرة وتلبية حاجياته على مستوى التبليغ /الرسائل السريعة... / البوكاديوس: يعني الوجبات السريعة...،

-الإنسان المعاصر لم تعد له القدرة على كتم(الأسرار) بسبب كثرة المعاناة فهو في حاجة للتفريغ... وكاتب القصة القصيرة جدا ليس بينه وبين قارئه أسرار وفيما قل ودل يقول كل شيء، عكس الثرثارين الذين يتكلمون كثيرا ولا يقولون شيئا.

-هل العنوان يشغل بال الكاتب، أم أنه سهل ولا يستدعي كدًّا وتفكيراً؟

●فعلا، من المفروض على العنوان أن يشغل بال كاتب القصة القصيرة جدا فهو عتبة موازية للنص وهذا الأمر لا نقاش فيه وبما أن كل مكتوب سردي يتوفر على معمار إذن فهو (بنيان) من تصميم كاتبه، ويكون أحيانا من الأعلى بمعنى صورة فوقية شُيدتْ بارتفاع ملموس فوق سطح القارئ لبنية تحتية، وهكذا تكون العتبة كموطئ قدم القارئ لولوج النص بأمان وفي نظري وبالمعنى الأنطولوجي للكلمة لا يمكنني عزل العنوان عن النص لأن العنوان يقول ما سكت عنه هذا النص لضرورة التكثيف وخاصة في كتابة القصة القصيرة جدا وإلا سنصنع بنيانا يحاكي (صومعة حسان) والتي نصفها ذهب... العنوان هو القوة المغناطيسية التي تجذب القارئ.

-نلاحظ حضور التّناص في معظم عناوين أعمالك القصصّية من قبيل (الماء والبنون) / (عائد إلى فيفا) / (أحد عشر كوكبا) / (لا شرقية لا غربية). ما السّر وراء هذه التّناصات؟ هل لها وظيفة، أم كيفيتها في النص هي التي تحدد وظيفتها؟

التناص بالنسبة لي قريب من الكيف وبعيد من التوظيف لأنه يعود إلى تربية الكاتب وثقافته وكما تلاحظ أن أغلب نصوصي لها تناص مع القرآن الكريم للبحث على نقط تقاطع بين القصة القصيرة جدا والنص القرآني دون محاكاته وهذه كيفية للتعبير عن أفكاري لأن القرآن الكريم بوصفه مصدرا أدبيا يمنح الخطاب القصصي الصدق والبيان.

-إنّ المتتبِّعَ لقصصك القصيرة جدًّا التي تنشرها على صفحاتك في مواقع التواصل الاجتماعي يلاحظ مواكبتها للأحداثِ التي يشهدها العالم. بناءً على هذا نريد أن نعرف هل بمقدور القصة القصيرة جدًّا باعتبار صغر حجمها أن تنافس باقي الأجناس وأن تعبر عن القضايا الاجتماعية والنفسية...؟

*ملاحظة دقيقة، خُلقت القصة القصيرة جدا لمواكبة الأحداث والتطورات بل أكثر من ذلك فعليها أن تكون في قلبها اعتبارا لهيأتها وقامتها القصيرة جدا لأن القصير جدا يكون الأقرب إلى الأرض، بمعنى الواقع المعيش...، بالنسبة للمنافسة فهذا حق مشروع لكل كائن حي و هذا الجنس اللطيف من شجرة (الكلمة) والكلمة كائن حي، ولو أنني أتحفظ على مصطلح (المنافسة) لأنه ذو وجهين (الشريف/غير الشريف) والكلمة الأصح هي (المشاركة) لأن الإبداع هو (رسالة) على غرار الرسائل السماوية، لاوجود للوجه غير الشريف، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالإبداع هو عبارة عن (جعبة) لاعب الكولف و التي تتوفر على مجموعة من العصي ولكل عصا ضربتها الخاصة وذلك حسب المسافة الفاصلة بين اللاعب والحفرة...

القصة القصيرة جدا هي تلك العصا القصيرة جدا لأن (القفجي) يشعر بأن كل الحفر قريبة منه.

يا بحر الشعر

مجلة امتداد للثقافة والفن

2023

سـراب

مـراد الـحـسـنــاوي
الـمـغـرب

لي جرح مهما صارعته غلابا
و لي دمع مهما ذاريته
يهوي فوق الخد منسابا
لي ذكرى فرح مذ أحسسته
مذ ذاك قد غابا
و لي قلب يثير شوقي
و عقل إذا ما اشتقتها
يقتلني عتابا
تلك التي مضت و لم تودعني
قد عاد حمامها يشتهي وصلي
عاد دونها و الجوابا
تلك التي أتقنت ذبحي
كم كاتبتها
بالله عليكم أرأيتم يوما
مقتولا يرجو من قاتله كتابا؟!
أمسح دمعي وٍ أنا المبتل بأحزاني
و أشتاق مراداً عني قد غابا
لي ستون حزبا ألوذ بها
و لها مكر فاقت به الأحزابا
امرأة تقتلني براءة عينيها
و لجرحها عندي ألف حسابا
كم مرة ذبحت القلب شوقا
يا امرأة صارت خناجرها لقلبي
أهلا و أنسابا
ألا تعودين لقتلي و لو مرة أخيرة؟
إن اللاجرح في بعدك يزيدني ارتيابا
قد صدأت دونك أيامي
فَرُشِّي دمي علها تصير لؤلؤاً أو ذهبا
يا امرأة مهما مضغك نسياني
حاضرة و لو سرابا
يا امرأة تكيلني هجرا
تلاوينه خجل يغطيه أدبا...
قد مات جفا قلبي
و مراد الذي تعرفينه أضحى يبابا
عين القلب تسكر بليل رموشها
و الأخرى أعماها جفاك غضبا
غيبي و اتركيني لغابات حزني
محترقا قلبي ينهش الأيام حطبا
غيبي في جب الأيام
و اندثري في غياهب قلب
يرجف لذكراك لهبا...
أو ارحمي باللقيا قلبا
على دأب هواك قد دأبا.

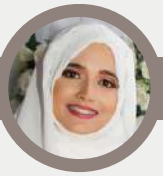

سؤالي وجودي

كريمة الغربي
تونس

سُؤَالِي وُجُودِي وَبَحْثِي كَثِيرْ
وَدُنْيَايَ سِيَّانٌ، حُلْوٌ مَرِيرْ
صَبَاحُ رَبِيعٍ جَمِيلٍ ٱلسَّرِيرْ
سَرِيعًا يَمُرُّ ٱلزَّمَانُ نَذِيرْ
حَيَاةُ شَقَاءٍ فَنَاءٍ نَسِيرْ
سُطُورٌ عَلَى وَرَقٍ مِنْ حَرِيرْ
كَئِيبٌ حَزِينٌ، شَقِيٌّ فَقِيرْ
بَكِيتُ غَزِيرْ لَيَالِي أَمِيرْ
أَرَاكَ أَمَامِي بَعِيدًا أَسِيرْ
بَعِيدًا أَرَى كَمْ صَدِيقًا كَسِيرْ
وَكَمْ مِنْ صَدِيقٍ بِبُعْدِي ضَرِيرْ
سَأَخْرُجُ يَوْمًا، أُزِيحُ ٱلْعَسِيرْ
تَجِفُّ دُمُوعِي وَأُمْسِي هَمِيرْ
أُحَلِّقُ شُحْرُورَ خَيْرٍ أَصِيرْ
شُعَاعٌ يُضِيءُ عَلَى دَرْبِي نِير

سَأَلْتُكِ نَفْسِي لِمَاذَا أَجِيرْ؟
حَيَاتِي كِتَابٌ وَلَحْنٌ مُثِير
شُحُوبُ شِتَاءٍ وَكَمْ زَمْهَرِير
كَذَا وِحْدَتِي عُزْلَتِي كَٱلْهَجِيرْ
وَمَا هُوَ إِلَّا إِلَاهٌ قَدِير
كَذَا قُدِّرَتْ كَيْ تَكُونَ تَصِيرْ
صِرَاعِي ضَيَاعٌ إِلَى أَيْنَ ٱلْمَصِيرْ؟
أَبُوحُ... وَمَنْ بِحَدِيثِي جَدِيرْ؟
فَطَوْقَ سُكُونِكَ (مُحُونِكَ) كَسِّرْ يَسِير
بَعِيدًا أَرَى زَوْرَقِي فِي ٱلْأُثِيرْ
سَأُقْلِعُ لِلْبَحْرِ مَدٌّ... أَطِيرْ
وَأُفْرِحُ قَلْبِي كَطِفْلٍ غَرِيرْ
وَأَطْرُقُ بَابَ ٱلْأَمَلِ ٱلْكَبِيرْ
وَلِلْكَوْنِ أُنْشِدُ لَحْنِيَ ٱلْأَخِيرْ
وَتُشْفَى جُرُوحِي أَنَامُ قَرِير

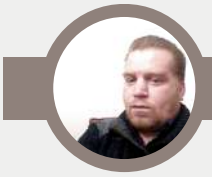

حسن زكريا اليوسف
سـوريـا

القلبُ لولا فيضُ حُبّكِ ما ارتوى
ثمِلاً ولولاكِ الهوى ما كانا

ما كنتُ أعرف قبل وجهك ما الضُّحى
أو كان يأنَسُ قاربي شُطآنا

أمَّلتُ فيكِ بَراءَ جُرحٍ عاصفٍ
مُستيقظٍ ما أطبق الأجفانا

ولقد دفنتُ بتُربِ عينيكِ الأسى
وغسلتُ في بحريهما الأحزانا

وهربتُ من كانون أمسي راجياً
دفء الربيع مُؤمّلاً نيسانا

أترعتِ لي كأس الغرام مُعتَّقاً
ولقد حييتُ لأجله ظمآنا

وأنا الذي بالكبرياء مُعَتَّقٌ
في الحُبِّ كم أستعذبُ الإذعانا !

حَسناءُ قافيتي وحَوّا حُسنُها
مَنْ ليس يهوى لم يَعُدْ إنسانا

أرعى حُروفَ الأبجدية كُلَّها
وأسوقها مُنقادةً قُطعانا

فأقولُ فيكِ قصائدي مُتغزِّلاً
وعلى خُطاكِ أوقّعُ الأوزانا

الشمسُ تفردُ في جِنانك شَعرها
والوردُ صدَّق عطرُه الألوانا

والطائران العاشقان تعانقا
وتبادلا القبلاتِ والألحانا

في مُقلتيكِ أرى تراباً طاهراً
وأرى كذلك فيهما خُلجانا

مجنونَ ليلى تارةً أبدو أنا
لمّا أراك وتارةً لُقمانا

جرَّبتُ أسبابَ العذاب فلمْ أجد
أقسى عليَّ منَ الهوى سُلطانا

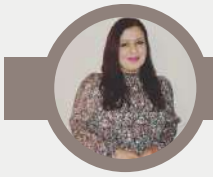

كثيرًا ما أتأملُ سماءَ ذاكرتي..

قصيدة للأديب الفرنسي مارسيل بروست

ترجمتها عن الفرنسية: سلمى الغزاوي

المغرب

يمحو الزمن مثلما تمحو الأمواج
قصور الأطفال على الرمل المُمَهَّدِ
ونحن سننسى تلك الكلمات الجد دقيقة والجد غامضة
التي شعر كل منا جَرَّاءَهَا باللاَّنهاية...

يمحو الزمن كل شيء، غير أنه لا يطفئ الأعين
وسواء كانت من حجر الأوبال، النجوم أو المياه الصافية
خلاَّبة كما في قلب السماء أو عند صانع المجوهرات
فإنها ستحترق من أجلنا بِنَارٍ حزينة أو مبتهجة...

بعض الجواهر المسروقة من علبتها النابضة بالحياة
سَتُلْقِي انعكاساتها الحجرية الصلبة داخل قلبي
رغم أنها في اليوم الذي تم فيه ترصيعها وإغلاقها بإحكام
كانت تشع ببريق ثمين ومخيب للآمال...

وأعين أخرى، ما زال "بروميثيوس" يُؤَجِّجُهَا
بِفِعْلِ شرارة الحب التي أضاءت مُقَلَهَا
شرارة حملناها كضِياء نقي جدا أو كجواهر ثمينة للغاية
من أجل عذاباتنا الغالية...

تألَّقي إلى الأبد في سماء ذاكرتي
أيتها العيون الحبيبة التي لا تخبو أبدا،
احلمي مثلما يحلم الموتى، تَوَهَّجِي مثل الأمجاد
أما قلبي، فإنه سيلمع كإحدى أماسي شهر مايو...

النسيان كما الضباب، يمحو الوجوه
والإيماءات القُدْسِيَّةَ التي عشقناها في الماضي
تلك الإيماءات التي كنا مفتونين بها
والتي كانت تُجَسِّدُ سِحر الضلال ورموز الإيمان...

ثمة الكثير من النظرات المختلفة، لكن الأرواح جد متشابهة
ونحن السجناء القدامى للأعين، نشعر بالخيبة تعترينا
ربما كان علينا أن نظل نائمين في ظِلِّ التعريشة
ولكننا كنا سنرحل حتما حتى لو علمنا كل شيء عن الفقد...

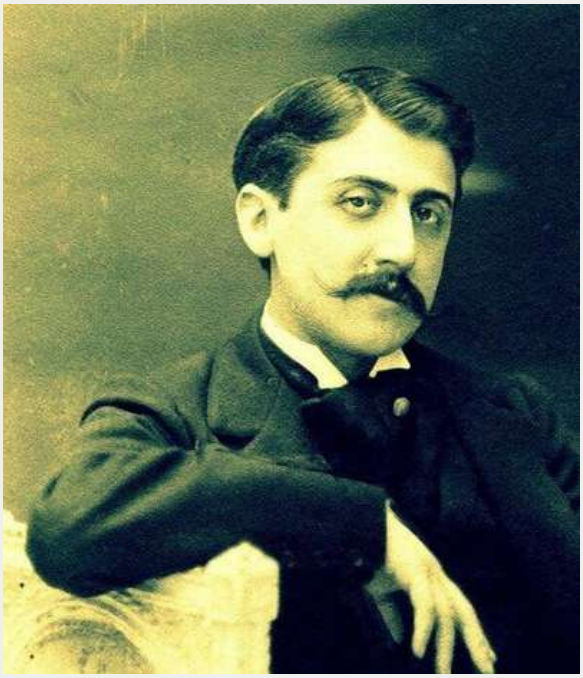

ولِتَكُونَ داخل قلوبنا كل تلك الأعين التي تَنْضَحُ بالوعود
مثلما يحلم البحر في المساء بالشمس
أنجزنا مآثر عديمة الجدوى
للوصول إلى أرض الحلم القرمزي...

ننتحب بحُبور من الجانب الآخر لمياه الحقيقة
تحت القوس المقدس لسحابة مبعوثة
لكنه من العذب أن نحظى بهذه الجراح مقابل حلمنا
وتضيء ذكرياتنا وكأنها احتفالات...

زاوية

مجلة امتداد للثقافة والفن

2023

أحلام جياع

أحمد سليمان أبكر
السودان

بيت حقير في أذيال الحي، لم تبق منه السنون غير جانب متداع تتوسطه غرفة بائسة ليس فيها من المتاع غير جرة ماء ومنضدة خشبية صغيرة عليها أواني بالية خالية، وأسرّة حقيرة تدل عن عوز مبرح وفقر مدقع. هكذا يغدون في هذا البيت، ينامون على عتبة الفاقة ويصحون على اليأس، أجسامهم ضامرة، ألوانهم شاحبة، عيونهم غارقة تحت حواجبهم، ملامح وجوههم كصحائف رمادية متجعدة كتب عليها البؤس سطورًا غريبة ملتبسة.

جاء الليل، والليل لا يجيء بمفرده أبدًا، فمعه يجيء الصمت القاتل، وحين يسود الصمت، تسكن الأنفاس، ولكن بلا توقف فقط تسكن، ويأتي دورها لتمارس نفس الطقوس اليومية، فيجلسون حائرين ضائعين مفكرين مجذوبين إلى مسارح الرؤيا التي تتلو فيها الأرواح مأساة الحياة، ثم لم يلبثوا أن ينطوا مرتمين فوق فرشهم الوضيعة كالكلس على الجدران؛ مطحونين من الجوى كالقمح بين حجري الرحى، ملتاعين بالوجع دون صراخ.

أخـــذوا يتتـــبعون التـــمثيل بين اليقظة والنوم كـــعادتهم، واضعين خدودهم على أيديهم، ومسندين مرافقهم إلى وسائدهم، ونفوسهم تواقة إلى شيء يسدون به رمقهم، فترت حماستهم، استسلموا للأحلام، طافوا طويلا في الطرقات، علّهم يجدون شيئا يقتاتون به، دُهشوا لحظة شاهدوا صبية في أعمارهم يخرجون من بين الأزقة حاملين في أيديهم قطع خبز جافة، تجمّدوا في أماكنهم برهة، علقت نظراتهم بالقطع، راودتهم فكرة خطفها، بدت الفكرة مجرد نبتة بدواخلهم، ثم ما لبثت أن نمت حتى صارت رغبة جامحة؛ جعلتهم ينطلقون نحو الصبية بكل ما بقي لهم من قوة، صارعوهم، اختطفوا القطع، لاذوا بها هاربين، عادوا إلى غرفتهم، أغلقوا الباب من خلفهم، جلسوا على حواف أسرتهم لاهثين متعبين، وأصابع كل منهم تتلمس قطعته بحنان، وقد همّ ببلها حتى تستعيد طراوتها ويقوى على التهامها.

فاقوا من غيبوبتهم المعجونة بالجنون، سمعوا صوتا آتيًا من وراء الجدران يسألهم عن حالهم. حوّلوا وجوههم المهزولة نحو مصدر الصوت، ظهر على شفاههم المرتجفة خيال ابتسامة محزنة، وبصوت ضعيف خافت قالوا بصوت واحد:

من هناك؟

لم يجبهم أحد، هبوا من رقدتهم كالملسوعين، داروا بعيون شاخصة جامدة على جدران وزوايا الغرفة، محاولين سكب نورها على مصدر الصوت، لكن لا شيء هناك سوى قطعة خبز جافة وضعتها لهم أمهم عـلى المنضدة التي بـجوارهم، من فرط حاجتهم إلى الطعام؛ هجموا عليها ، وهم لا يكادون يصدقون حقيقة وجودها بجانبهم.

ارتحـــال

أسيـمـة إبـراهـيـم
سـوريـا

لن أدعه يفلت مني هذه المرة، لقد أمسكت بخيوط اللعبة منذ أن حطت قدماه أرض المطار، هو من عقدها بأصابعي، حين قَبِلَ دعوتهم، لم يكن يعلم أننا سنكون ضيفين ثقيلين على عائلته المأخوذة بأضواء المدن التي لا تنطفئ، تاركة إياه في غرفة جانبية، خصصتها له زوجة ابنه الأصغر.

كانت الغرفة مناسبة لي، فلا أسمع ضجيجهم، ولا أنشغل بثرثراتهم؛ وأتفرغ لإحكام قبضتي عليه.

مع طول الأيام عافت نفسه بقايا طعامهم الذي كانت تحمله زوجة الابن إلينا بيد، وباليد الأخرى تحمل هاتفها الخلوي الموصول بأسلاك دقيقة إلى أذنيها، تضع الطعام على الطاولة الموازية لسريره، وصوتها يهدر حين تغادر الغرفة وهي تملي أوامرها على ابنه بملاحقة أوراق الإقامات، وتسجيل الأولاد في المدارس.

سرني تعلقهم باللغة الجديدة، التي لن يفقه منها شيئاً.

أنسل من رأسه حين يخلد إلى ذهوله التام، وأتجول بينهم، أتابعهم يتبارون فيما حفظوه من كلمات جديدة، كلهم مشغولين؛ نظموا أوقاتهم بدقة، حتى أنهم استغنوا عن فنجان قهوة الصباح، مع صوت فيروز خشية أن يفوتهم القطار.

عندما يصحو، يتلفت لا أحد من حوله، سوى صور قديمة في مخيلته، بيت وقنطرة ونافورة ماء، وعريشة ياسمين، أفيض من عينه دمعة ثقيلة، أشعر به سأم وجودي، يحاول التخلص مني، وبحركة رشيقة من حبالي، أجعله يمسحها بكف يده، لأعود مجددا إلى خلاياه، صرت ملاذه الوحيد، أتلقف كلماته المبعثرة، أتغلغل في داخله، وأتسلق حباله الشوكية لأقتل تلك الذكريات التي اختزنها، وببطء شديد وثبات منظم أقطع أفكاره حبلا إثر حبل.

بدأ كلامه يقل، منذ أن أخذه ابنه إلى المعالج النفسي، وشرح له حالته شاكيا دوام ذهوله ونسيانه.

عاد طفلا صغيرا، أدوية وتوصيات كثيرة، ضحكت في سري عندما أبلغهم الطبيب أنها مرحلة صعبة، عليهم التعايش معها، فالزهايمر لا حل له.

فككت يده من يد ولده وهو يحاول اقتياده إلى غرفته، وتأبطت ذراعه، وما أن دخلنا الغرفة حتى تسللت إلى رأسه من جديد، لكنه هذه المرة لم يتحسسني، تجولت هنا وهناك، علي البحث جيدا، قد يكون أخفى شيئا ما عني!

خرجت من رأسه فزعا، على صوت حفيده في الغرفة مناديا أمه:

-"جدي تبول في فراشه!"

هذه هي المرة الأولى التي يفعلها، وقفتُ جانبا، وهي تدخل غاضبة تنهره وتفتح خزانته، تخرج قارورة عطره القديمة،

وترش أنحاء المكان وتدمدم باللعنات ، تغللت الرائحة في أنفي كما في عقله المتهاوي، حينها نهض من السرير وبنصف انحناءة، وقبل أن يهوي على الأرض، صاح بكلمات غير مفهومة، بينما كنت أغادر منتصرا:

أريد العودة ...

إلى هناك ...

إلى عريشة الياسمين.

البراموني

عبـاس عـلـي داود
مـصـر

من لم يعرف البراموني لم يعرف حارتنا.
هكذا قلت لنفسي وأنا أحدق في وجهه مقترباً من مجلسه على رأس الحارة، كان هادئ القسمات أمام عربته الخشبية الصغيرة، رافعاً رأسه لأعلى، بزاوية ميل إلى اليمين قليلاً، يستقبل القادمين بعينيه المكفوفتين، رائحة البطاطا تعبق المكان حوله، ووهج الفرن الذي يشوي فيه البطاطا يمده بالحرارة التي كلما خبت شعر بها ومد يده إلى جانب العربة فتناول بضع قطع من الخشب صغيرة يلقمها فم الفرن، وحينما يشعر بعودة الحرارة إلى عهدها يهتف قاسما ظهر الصمت:
-يا معسلة قوي، يا بطاطا.
.....
والبراموني بطبيعة الحال يستطيع تمييز الأصوات، يعرف كائنات الحارة عن طريق السمع، وعن طريقهيرسم صورة لكل منهم لا تكاد تختلف عن الأصل كثيراً، يقول لي في هذا الصدد حينما أجلس إليه أن الأصوات تباينها مخيف، أحاسيسها ودرجة حرارتها وارتفاعها وانخفاضها يمنحها تميزها، فلا تكاد ترى صوتين متشابهين، فمهما تقاربت درجة تشابههما هناك دوماً شيء مختلف، شيء مميز، شيء إن لم تكن خبيراً يخدعك ويتوه منك... ويشير إلى عينيه المنطمستين باسماً وهو يقول، أنهما انتقلتا إلى أذنيه فأصبح يرى ويسمع بهما، يصمت قليلاً وهو يدير رأسه ببطء حول محورها قليلاً قبل أن يكمل مؤكداً:
- آه والله أستطيع سماع ورؤية الأصوات بأذني!!
وحكى لي في هذا الصدد حكايته التي رواها عشرات المرات، أنه مر به ذات ليلة رجل ألقى السلام عليه وجلس يحادثه، أخذ وقته ومضى، بعدها أقبل رجال الشرطة سألوه عنه، قال:
- الرجل ليس من أهل الحارة.
سأل أحدهم متشككاً:
- كيف عرفت؟
قال آخر ساخراً:
- انتظر، ربما وصفه لنا.
اندفع البراموني متحدياً لهم:
- أصفه لكم.
ومضى يشرح واصفاً الطول والعرض، وحينما عثروا على الرجل جاءه أحدهم يسأله:
- كيف عرفت الرجل ووصفته، وأنت...؟
ضحك البراموني ولم يرد.
.....
حاسة جديدة
اكتشف وجودها لديه، تنبه لها وبدأ ينميها دون أن يشير إليها لكائن ما كان، وهي الإحساس بمن حوله ودون أن يصدر عنهم أي صوت.
هل هي رائحة، صوت تنفس، رؤية بالبصيرة، أم رنين صمت يختلف من

شخص لآخر؟
هو نفسه لا يعرف مسماها، ولم يهتم بمعرفته، يكفيه أنها تساعده كثيراً، خاصة في الليل ومع خفافيش الحارة الذين يهبط أحدهم متلفعاً بالصمت والعتمة التي تكاد تشمل الأرجاء، لحظتها يشعر البراموني بشيء يجثم على روحه، يخنق أنفاسه، يشعر أن وجوداً ثقيلاً قد جثم على المكان، وبالتكرار يميز صاحب هذا الوجود، يرتفع صوته منادياً، وهو على ذات جلسته أمام العربة مسترخياً مسنداً ظهره إلى خشونة الجدار، ثم يسأله إن كان يريد بطاطا كاملة الشواء، فيضحك القادم ويجاريه في الحديث، أو ربما انسحب مخزياً وصوت البراموني يلاحقه متسائلاً إلى أين؟ و ربما في لحظة أخرى يكون وجود القادم ربيعاً أريجه يملأ وجدانه بأروع الرياحين، فيهش له ويبدأ التحية والترحيب به بمجرد إحساسه باقترابه من مجلسه.
لذا يرى نفسه يتصرف حسب إحساسه بالكيان الذي اقترب.
سألته:
- وهل خانك إحساسك هذا ذات يوم؟
يهز رأسه نافياً وهو يقول:
- ولا مرة...
.....
وللبراموني في حارتنا تاريخ في العشق لا يباريه فيه إلا القليلون!
فهو صاحب كل رسائل الغرام في الحارة، أملاها للعاشقين نظير قروش قليلة نفحوه بها راضين، واثقين أن كلماته ستسهل أمورهم وترضي من يحبون. ما من شاب عرف الحب إلا ولجأ إليه، وما من شاب لجأ إليه إلا عاد مبهوراً بعباراته، فهي حسب أقوالهم ساحرة، مغسولة بماء الرقة، وموشاة بنمنمات سحر خاص بها، ومعجونة بروعة مميزة لها، كأنه من سويداء قلبه ينقش حروفها ومن ذوب روحه يلونها فترفرف أمام الأعين لتسحر الأحداق وتأسر القلوب.
سألته مجدداً:
- من أين تأتي بهذه الرقة والجمال؟
ترتفع ضحكته كجرس، ضحكة ملونة يتأرجح رنينها بين الفكاهة والجد:
- إنها نتيجة تجارب عريضة في الحب.
عدت لمحاورته سائلاً:
- أنت أحببت؟
وأنا أنظر إلى عينيه المنطفئتي الوميض، ووجهه الأسمر المليء بالحفر، ويفهم هو ما وراء السؤال ولا يغضب، بل يضحك قائلاً:
- أحب أفضل منكم جميعاً
وتتعالى الضحكات...
أما تجربته الشخصية في الحب التي لم يذكرها لأحد سواي فهي أنه فعلاً مر بعدة قصص كان فيها يرى ويسمع ويحس ويعيش بوجدانه مع من يحب، شغلته سيدة بنت متولي الفران بصوتها الدافئ إلى درجة التوهج، كان لسيدة في وجدانه حضور لطيف، كان لروحها أريج جامح يحس به وهي على بعد أمتار عنه فيدير رأسه حوله كأنه يوجه أسلاك (هوائي إيريال) ليحسن استقبال الصورة، يثبت رأسه ويتجمد في جلسته حتى تقترب، وقبل أن تنطق بحرف يهمس مرحباً بها بصوت متحشرج، ويمد يده بسرعة يقلب في جذور البطاطا، ينتقي أفضلها ويضعها

في ورقة ويقدمها لها، تمنحه الثمن، يأخذه بعد إلحاح وفي ضميره أن يحتفظ به تذكار حب منها... وتزوجت سيدة وبقي أياماً لا يغني ولا ينظم المواويل التي اشتهر بنظمها، ولا يكتب جواباً(رسالة) لأحد مهما كانت المغريات.
بعدها عاد سيرته الأولى متناسياً الأمر، إلى أن ارتبط بفتحية بنت إسماعيل الخياط التي تعمل بالمستشفى الميري، وذلك بعد ذهابه للمستشفى مريضا وحجزه بها عدة أيام، ورعايتها له بصفته ابن حارتها، من يومه الأول معها بالمستشفى- يحكي- حدث بينهما تفاهم غريب، جعل من الصمت لغة مشتركة بينهما، وإن تكلما فبينهما وفاق لا ينتهي، لذا أعلنتها له صريحة أنه لو طلبها من أبيها فلن ترفض، وقد حدث وطلبها، تعجبت أمها وحدثتها سراً في الأمر، مبرراتها أقنعت أمها فأعلنت موافقتها، وحدثت الأب إسماعيل الخياط فوافق أيضا وتم الزواج...
.....
فى عيد ميلاده الأخير جاءت فتحية إليه على رأس الحارة، أحس بها فأدار وجهه إليها ضاحكاً:
- جئتِ لأمرٍ هام، ما هو؟
ارتفعت ضحكتها، سألته بدورها:
- كيف شعرت بي؟
لم يبال بالرد، عاد يسأل:
- ماذا تريدين؟
- ماذا تريد أنت من دنياك؟
- أن تكوني وأولادك بخير.
- ماذا تريد لنفسك؟
- أكثر مما أنا فيه، لاشىء.
- وإذا قلت لك أنني جئتك بهدية العمر؟
علا صوته مازحاً:
- قفة عيون؟
قالت جادة:
- بل اثنتين فقط.
وشرحت له كيف أن المستشفى يقوم حالياً باستغلال أعضاء بعض الموتى ممن وافق ذويهم على نقل أعضائهم أو هم وافقوا قبل موتهم على ذلك، ومنها القرنيات السليمة، وأن إمكانية الرؤية للمكفوفين أصبحت كبيرة، ونظراً لأن لديها كشفاً بحالته فقد عرضته على الطبيب وأفاد أنه مستعد لعمل عملية نظير أجر رمزي.
جلس البراموني ينصت إليها دون حراك مكتفيا بزلزال الكلمات الذي دك حصون بنيانه دكاً، وتسبب في انهيار صرح رضاه وتقبله لحالته طوال سنوات عمره، لقد عرف ظلمته منذ صباه، روضها، طوعها وتعايش معها، و تقبل أن تظل تلازمه إلى أن يلقى ربه، والآن تقول فتحية يرى!!
شعر بنفسه يحلق في الفضاء، يرى المرئيات، يبصرها، يلمسها بنظراته، يشعر بها حقيقة وواقعاً ووجوداً ملموساً، اتسعت ابتسامته... عاد يتذكر أيامه الماضية، عاوده العبوس، الظلمة قاسية، غادرة، ازداد عبوسه، ليلها ليس له انتهاء، أحنى رأسه موافقاً خاطرته... عاد وتنهدمستنشقاً أريج نبضاته، وخاطرة جديدة تجتاح خلاياه، بل هي واحتك المشتهاة وحصنك الأمين، لازمتك دهوراً فلم تتذمر منك ولم تغب عنك ومنحتك مالم تمنحه الرؤية للمبصرين. تعملقت الحيرة في وجدانه، واجهها بسؤال مباغت

وهو يرفع رأسه مواجهاً نفسه... هل تستحب العمى إذا جاءك النور؟
لحظتها فاضت سيول دموعه!!
انطلقت من المآقي، لا يدري هل هي دموع فرح طاغ لم يشعر بمثله من قبل، أم هي دموع تخوف من رؤية متأخرة جدا لعمر قارب على الانتهاء، أم تكون دموع شفقة من عالم جديد يأخذ عالمه الأثير ودنياه التي عايشها منذ سنين.
هزته فتحية من كتفه:
- ما بك؟
جاوبها بمزيد من الدموع، تلقته بين ذراعيها دون أن تنطق بحرف...
.....
ضبابة سوداء جثمت بكثافتها وثقل أديمها على بؤبؤ عينيه وهم ينزعون مترفقين، عن عينيه الأربطة، قلبه يرجف في سحيق مكمنه، ينتظر لحظة أن يتم النزع ويفتح عينيه، لحظة أن يلاقي الضوء والأشياء والوجوه وعيني فتحية زوجته...
رويداً وعلى مهل وببطء امتد دهوراً أخذت الضبابة السوداء تشف وتتلاشى بروية ولطف ليتحول السواد إلى رمادية هادئة، ومن رمادية إلى عتمة لطيفة توحي بالبياض، ومن الإيحاء انبلج نور مضبب أخذ يسطع إلى أن تفتح الكون عن نور جامح دفع ذراته في مقلتيه لتريا الوجود كما لم يره من قبل، تطلع قلبه من مكمنه طافياً فوق مرارة اليأس وقلق الانتظار وعبير الفرحة وهو ينبض صارخاً أو يصرخ نابضاً بما لم ينبض به من قبل، معبراً عن فرحة لها لون البياض وعبق البياض وهمس البياض ونشوته، أدار عينيه حوله متفحصا مستكشفاً والعيون من حوله ترقب لفتاته وحركة أجفانه وبؤبؤ عينيه وهو ينتقل من وجه إلى آخر إلى أن استقر على وجه الطبيب الباسم العينين وهو يتألق بفرحه نجاح العملية.
- مبروك.
حدق في عينيه متألق الحدقات:
- الله يبارك لك.
- كيف حال عينيك؟
- الحمد لله.
- هل هناك شكوى من شيء؟
- لا.
- الصورة واضحة أمامك؟
- واضحة.
- وأنت مرتاح؟
- مرتاح.
- جميل جدا... الآن سنجري لك اختباراً بسيطاً... ما رأيك؟
- أي اختبار؟
- متى تزوجت.
- حوالي خمسة عشر عاماً.
- و لم تر فتحية زوجتك بعينيك من قبل.
- لم أرها بعيني من قبل.
أشار الطبيب إلى الممرضة الواقفة بجواره فاتجهت إلى الباب، ففتحته وأشارت إلى أربع نسوة المتشابهات في الحجم بالدخول، طلب منهن الطبيب الوقوف أمام البراموني وعاد إليه:
- أيهن فتحية زوجتك؟
أدار عينيه فيهن فلم يصل إلى شيء، افترشت قلبه حيرة، هطل على عينيه سيل من قلق، وعاد إلى الطبيب محدقاً في عينيه الباسمتين، تركه إلى الأجساد الأربعة، كلهن متشابهات، مبتسمات الوجوه، منتظرات نتيجة الاختبار.

ارتجف قلبه في براح صدره فزعاً، محال أن يتوه عن فتحية زوجته ورفيقة مشواره، دار بينهن بعينيه سريعاً، فتحية بينهن، كيف يصل إليها بإحساسه، باعتياده عليها، على لمستها، على همسها، على وجودها الذي يغشى روحه ويملأ قلبه بالأمان؟

حدق أكثر، ترقب الملامح، تربص بالنظرات، لم يصل إلى شيء، شعر بروحه تغوص مجدداً في بحر من حيرة خانقة وإحساس مرير بالضيق من نفسه ومن تجربة لم يتخيل أن تمر به.

فجأة ومثل الومض مر به خاطر نفذه فوراً، أغمض عينيه واستدار مواجها الجميع، شعر بروح فتحية، بوجودها، بعبق حضورها وأريج بسمتها، حدد مكانها فوراً، اتجه إليها معانقاً، تلقته بذراعيها ودموع فرحتها معاً...

.....

قلت له:

- لو جمعت مواويلك وأغانيك لعملت على نشرها لك في كتاب.

حدق في وجهي بعينيه الجديدتين مبتسماً، ابتسامته بعد العملية صار لها مذاق ورائحة جديدين، شعر بحرارة الفرن قد خبت قليلاً، مد يده إلى جانب العربة، تناول بضع قطع من الخشب صغيرة يلقمها فم الفرن، وحينما شعر بعودة الحرارة إلى عهدها هتف قاسماً ظهر الصمت:

-يا معسلة قوي يا بطاطا.

ولم يبال بالرد عليَّ!!

الحدسية والحلم

بـلال الـخـوخـي
الـمـغـرب

انتصف النهار ولا زال طريح الفراش يصارع أفكاره حول حلم الليلة؛ لا شك عنده أنه نفس الحلم، لكنه تساءل: "لماذا ظهر هذا التفصيل الجديد اليوم؟ يا لهذه الأمور الصغيرة التافهة التي تنغص على الإنسان حياته عندما تبدو كما لو تطفو على نهر السكينة!"

مضطجعا على ظهره، متعرقا، غير مبال بالحمى أو غير شاعر بها، تحوم فوق رأسه ذبابة تحط فوقه من حين لآخر، تابعها بعينيه ثم سرعان ما غاصتا في شيء لا يراه سواه. دخلت أمه بمنديل مبلل ووضعته على جبينه ثم انسحبت دون أن تنبس ببنت شفة؛ فقد ألفت هذه الحالة التي تخالج ولدها، واقتنعت أن كل فنون الطب منذ أبيقراط إلى أن يرث الله الأرض لن تستطيع معالجته؛ فهو يخبرها دائما أنه "مصاب بحلم"، لقد رأت في حياتها كل أشكال الأمراض، ولم تتوقع أن تصير الأحلام مرضا، سألته ذات مرة: "أتقصد أنك تعاني من كوابيس؟" فكان جوابه: "الكوابيس تنتهي باستيقاظ المرء من نومه؛ قد يتذكرها قليلا لكنها تفقد قوتها المؤثرة، أما حلمي فقد استحوذ على يقظتي كذلك، لقد صار وباء يتفشى في ذراتي". تعجّبَتْ كثيرا من هذا المرض الغريب، وحدثت نفسها حول إن كان ولدها يعاني من مرض نفسي، وهذا احتمال وارد بشدة في نظرها إذ ترى أن النفس البشرية فضاء شائك، فضاء سيظل مجهولا رغم كل ما قيل حوله.

نهض من مكانه كأنما دبت الحياة في أوصاله بغتة؛ أنهى حماما سريعا وتوقف لحظات أمام المرآة؛ سرح شعره إلى الخلف وأضاف لمسات باستعمال مثبت الشعر ثم خرج. على بعد خطوات من المنزل لمح صديقَه سعيد داخل محل البقالة فوقف ينتظره عند الباب؛ ثنى كمّيْ قميصه الأسود إلى حدود مرفقيه، واستند بظهره على الجدار ورفع قدمه اليمنى فوضع باطنها على بقعة تحمل علامات دالة على أنها ملاذ كل أقدام المنتظرين. خرج صديقه فابتهجت أساريره برؤيته:

- أهلاااا ياسر.

ثم مرر عينيه عليه وأردف مبتسما:

-أراك متأنقا، أتراك في إجازة عمل؟

ابتسم ياسر ثم أجاب بعد أن افترقا من عناقهما الصغير:

-ليست إجازة، فقط لم تعد لي طاقة بأي عمل؛ فالحياة أكبر من أن نقضيها بين منزل وشغل.

-لكن لقمة العيش تفرض ذلك، أليست هي الأساس؟

-كلا يا سعيد؛ فقد وجب علينا قبل الانغماس بحثا عن لقمة العيش، أن نتساءل لماذا العيش؟ فسجية الإنسان الحقيقية المتأصلة في جوهره هي البحـ...

ضحك سعيد مقاطعا:
-دعنا من هذه الفلسفة الآن ولنحدد موعدا ننعم فيه بفنجاني قهوة معا، ألَم تر أننا لم نلتق منذ أكثر من أسبوع؟
شاركه ياسر في ضحكه:
-وعندما نلتقي نبدو كأننا لم نفترق إلا قبل دقائق.
توقفا بجانب عمود الإنارة المقابل لمنزل سعيد ثم افترقا بعد أن اتفقا على اللقاء مساء في مقهاهما المفضلة، وانطلق ياسر مثلما خرج تاركا لقدميه قرار تحديد المسار، بينما سرح بذهنه في المسألة التي يخصص غالب وقته لأجلها؛ فولعه بالرياضيات جعله يبحث في أغوار ألغازها المحيرة لحد الساعة، حيث عكف على "حدسية ريمان" يحاول برهنتها وأملٌ يحذوه بأن يفسح لاسمه مكانا مع من تركوا بصمة في تطور العلوم. كان هذا الأمر يستنزف منه وقتا طويلا وطاقة تركيز عالية بين الأوراق، وكان يستذكر أفكاره ويحللها في باقي اللحظات، في الطريق وعلى مائدة الطعام، بل وأثناء النوم كذلك؛ فهو يظن أن حلمه المتكرر ما هو إلا انشغال لاوعيه بالحدسية، لكن تفاصيله التي تتجلى أحيانا وتتسرب إلى واقعه تعذبه. تذكر البروز الأول لحلمه، حيث رأى طفلا صغيرا أسود الشعر، ذا أنف جميل، وكانت حول شفتيه لطخة سوداء، تبين له حينها أنها بقايا شوكولاتة عندما لمح مثلها في يده اليمنى، وفي اليومين المواليين حلم بنفس المشهد؛ طفل صغير يمسح فمه ويمد يديه نحوه كأنه يقول: "خذ، هذا آخر ما تبقى لدي من الشكولاتة".

وصلت به الطريق إلى جانب مطعم للوجبات الخفيفة، تقدم نحو بابه راغبا في تناول لقمة لم تطأ معدته منذ ليلة الأمس، فهَمّ بدخول المطعم، إلا أن ملامحه انقبضت وتجهمت فجأة فولى راكضا نحو بيته. لاحظت أمه علامات الهلع على محياه وهو يصفق الباب ثم يقصد فراشه. تدثر دون أن ينزع حذاءه إلى أن جاءه صوتها رفقة لمسات حانية تطبطب عليه؛ تراجع إيقاع أنفاسه وانخفضت حشرجتها ثم كشف الغطاء عن وجهه شاخصا بعينيه الفزعتين في وجه أمه. أخذَت المنديل المبلل ومسحت عرقه، ثم أشرقت ابتسامتها المعهودة محاولة منع دموعها من التدفق:
-لا بأس يا بني، لا بأس. خذ، اشرب.
تناول الكأس من يدها دون أن تحيد عيناه عن وجهها، وكأن بين تجاعيدها يكمن خلاصه، ثم قال والكلام ينفر من فمه متقطعا:
-اليوم... مجددا... باغتني ذلك الطفل... طفل الحلم... الطفل الذي يمد لي حفنة من النمل.
ظلت أمه عند رأسه صامتة تتأمله بنظرات مشفقة وتمرر يدها على رأسه إلى أن غط في نوم عميق.
استيقظ في الصباح التالي متحمسا؛ فقد كانت ليلته من المرات التي لا يرى فيها الحلم. قصد درج مكتبه واستخرج دفترين من الحجم الكبير. فتح الأول على صفحة سبق وكتب على رأسها: "دالة زيطا لريمان"، وبدأ يخربش أفكاره ومحاولاته بينما يقلب صفحاته لينظر إلى أفكاره

السابقة. أغلق الدفتر وفتح الثاني الذي كان مخصصا لتحليل حلمه؛ قرأ ما دوّن حول التفاصيل المتجددة فيه، وحاول استنباط تحليل جديد. قرر هذه المرة أن يركز على تواريخ ظهور التفاصيل بدل التفاصيل بعينها، ثم راودته فكرة جمعها في سلسلة محاولا الربط بينها؛ بدأ بأول ليلة رأى فيها الحلم وأعطاها رقم **1**، وكتب ذلك على ورقة منفردة، ثم عدّ الليالي الموالية ونظر أي رقم سيوافق كل ليلة برز خلالها تفصيل جديد في الحلم، فكان ترتيبها كالتالي:

1 _ 3 _ 6 _ 11 _ 18 _ 29 _ 42 _ 59 ...

ظل يتأمل السلسة لأكثر من ساعة؛ يضيف مكوناتها أحيانا ويطرحها أحيانا أخرى، ويستنجد بمجموعة من نظريات الرياضيات، إلى أن لاحظ شيئا عجيبا في نظره: **"يا للمعجزة!** إن الفارق بين هذه الأعداد في تواليها يشكل سلسلة تصاعدية من الأعداد الأولية**"**، أصابته نوبة من السعادة، وارتاح إلى أن هذا الاكتشاف سيمضي به قدما في معرفة اللغز المخفي داخل حلمه. توجه نحو النافذة ورفع يديه شابكا أصابعه كي ينشط أطرافه، ثم نفخ بقوة كأنه يتناول جرعة ثقة جديدة أو ينفث كومة ثقيلة من سوء الطالع. أمسك قلمه الأسود، ثم أداره بين أصابعه كالمروحة وتابع الكتابة والتحليل متنقلا بين الدفترين، الدفتر الذي خصصه لحلمه في برهنة **"**حدسية ريمان**"**، والدفتر المخصص لفك رموز حلمه الآخر، الحلم النقمة الذي قد يغدو نعمة إذا ما ربط بين تفاصيله والحدسية، ليجمع بين الحلمين في واقع واحد.

قرر ألا يبقي اكتشافه مكتوما، وأن يثبت وجهة نظره التي طالما حاول الدفاع عنها؛ فلم تعد تنقصه الحجج الآن بعد أن وصل لهذا الرابط العجيب بين حلميه. تدفقت هرمونات الحماس في شراييه كما تدفقت كلماته عندما استرسل شارحا مستجداته لسعيد:

-لن تصدق ما استنتجت، الحلم، الحلم، الحلم يقدم تلك التفاصيل التي كنت أحدثك عنها أحيانا. لقد ظننتها في البداية مرضا، هه. لكني لم أكن أعتقد أن الحلم يحاول مساعدتي. إنه يشاركني في برهنة الحدسية...

أوقفه سعيد مبتسما:

-هون عليك، هون عليك، هل أنستك هذه الخزعبلات إلقاء التحية؟

فضحك وتابع:

-تفضل إلى الداخل أولا، ثم سأعد لك كأس شاي مما تشتهي وسأعاتبك قليلا على القهوة التي شربتها رفقة ظلك يوم أمس.

وارتفع ضحكه مجددا، لكن ياسر لم يول الأمر اهتماما فقال:

-ألا ترى أن كل إنسان ولد مع لغزٍ يخصه وحده؟ وما عليه إلا أن يفني حياته لحله؟ طبعا إن عرف ماهيته أولا، فإن هو اهتدى إلى حله يكون قد نال أعظم غنيمة في الحياة، ويكون قد حقق مغزى وجوده، أما إن لم يفعل؛ فلا يكون وجوده إلا إضافة هامشية لا يؤثر غيابها على سيرورة الكون، ووجودي لن يكون على الهامش؛ فاكتشافي العظيم بخصوص الحدسية يقربني من البرهان. أنا متأكد من ذلك.

انحنى بظهره قليلا واضعا مرفقيه على فخذيه، وتحركت يداه رفقة شرحه وتحليله لما توصل إليه، واهتزت عيناه داخل محجريهما يشع منهما وميض يعكس حماسه وأمله وسعادته بنجاحه، في حين جلس سعيد قبالته يسمعه في صمت، فتنهد بعدما فرغ صديقه من تقديم ما لديه:

-حسنا.

فكر لبضع ثوان ثم أردف:

-ماذا لو قدمت لك تحليلا غير الذي اكتشفتَ؟ أتراك تضعه بين احتمالاتك؟

ردّ مستنكرا:

-لا أظن أن تحليلك السريع سيكون أبلغ من استنتاجاتي طويلة الأمد، لكني سأسمع منك.

-سأتكلم إذن، شرط ألا تقاطعني بتاتا.

أومأ ياسر برأسه موافقا فاستطرد سعيد:

-إذا عدنا إلى التاريخ الذي استهواك فيه الاستغراق في برهنة حدسية ريمان، سنجده موافقا لتاريخ بروز الحلم عندك، وهذا التوافق لا يمكن غض الطرف عنه؛ فإما أن رغباتك وجدت لنفسها متنفسا في حلمك، وإما - وهذا ما أرجحه- أنك حين قررت تدوين التواريخ خدعك دماغك فأملاها عليك وفق ما توصلتَ إليه حول الحدسية وعلاقتها بتوزيع الأعداد الأولية، فظهر الرابط الذي اكتشفتَه بين حلميك؛ بمعنى أن دماغك قد نسج لك لغزا انطلاقا من آمالك وطموحاتك، وحين بلغتَ إلى النتائج التي ظننتَها اكتشافا مبهرا، كنت فقط تحقق لدماغك النشوة التي تؤرقه من أجلها، فارتاح من الآلام المستعصية عليه لشدة تفكيرك، وبهذا يكون كل الأمر مجرد خدعة دبرها دماغك كي ينال راحته.

حدق ياسر لبرهة، وأفصح عن نصف ابتسامة، ثم نهض وخرج هائما بينما نفسه ثائرة تسب في صمت؛ تسب سعيد وتسب الدماغ، تسب اليوم الذي عشق فيه الرياضيات، وتسب كل ما خطر على ذهنه. توقف في آخر الزقاق يخاطب ذاته: "إن هؤلاء الناس لا يفقهون شيئا، يتمثلون العلم ويغرقوننا بمحاضراتهم الفارغة، أمي هي الشخص الوحيد المؤمن بي، الموقن من آمالي، إن الدرب الذي قطعته إلى حد الآن لا يمكن تثبيطه بكلمات سعيد، إن دماغي لا يجد راحته إلا في التفكير، بل إن دماغ الإنسان هكذا، وإن هو فقد هذه الميزة فلن يختلف عن دماغ الحيوان..."، قطع أفكارَه طفلٌ صغير وقف أمامه مادّا يديه نحوه، فشهق ياسر متقهقرا خطوة، وإذ به يرى رجلا بقبعة شمسية تغطي ملامحه متكئا على الجدار المقابل، فازداد فزع ياسر، إنها شخصيات حلمه تتجلى في نفس الوقت لأول مرة بعدما كانت تتناوب الظهور، الطفل الذي بدا في بداياته كأنما يأكل الشوكولاتة لتفصح التفاصيل الجديدة أن حول فمه نملا، والرجل الذي يزوره في حلمه مطأطئ الرأس دون أن يظهر وجهه... لكن فزع ياسر لم يمنعه من اتباع فضوله، فتشجع لأول مرة ولم يهرب من شخصيات حلمه كما عهد، ثم أطال النظر إلى الرجل المتكئ على الجدار، وإذ بالأخير يرفع رأسه ويخلع قبعته كما فعل في آخر تفصيل ظهر في الحلم، فكشف عن ملامحه التي لم تكن سوى ملامح ياسر، فانحنى ياسر وقرفص على الأرض محملقا في حلمه المتجسد، وفكر في أن هذا التداخل بين حلمه وواقعه سيفصح عن شيء ما إذا أعطاه الفرصة الآن، فظل محملقا فيه.

الشيخ مُوكَاصَا يُحدثكم

محمد زريق
المغرب

اقتربوا أكثر يا أبناء الكيكويو!
فالنار ستدفئنا من هذا القر، تحلقوا حولي، ففي جعبتي الكثير من الأعاجيب، التي ستخلب ألبابكم؛ أرى اللهفة تشع من أعين صغاركم، عجبا! لم ينم مُبُولو الصغير بعد. تسألونني عن القصة، وأن أكف عن الهذيان. رويدكم يا أصدقاء! فالليل الإفريقي ما يزال في عُنفُوانه، والنار مشتعلة، فَلِم العجلة !
ولا يستخفن أحدكم بعقلي، ولا تهزؤوا من سنواتي المئة. فإنني والحق أقول، مازلتُ أقدر على عصر الكاعب تحتي، وكسر الخشب، وأكل قَصعة من "الكَصَافَا"، ومضغ التبغ... بمناسبة التبغ، هل أجد عند أحدكم رزمةً؟
قصصي يا سادة! حدثت في بلاد بعيدة، أنتم في منأى من أن تعرفوها؛ فقد حدثني أبي عن جدي عن جده، أنه قال:
{كانت حارة "المساخيط" تنهض من ليلة ليلاء، لعبت فيها المطاوي والسيوف والمدي بهامات الرجال. ومع أول صيحة للديكة، انفضت المشاجرة الدموية، بعدما ماتت ثلة، وسجنت أخرى. إنها حارة الفتوات! حيث يتراقص أهاليها على الضرب، ويطربون على قلقلة ولولولة النسوة في الصباح.
يومئذ استيقظت للا لقايمة، من سباتها الكهفي، وأول شيء فعلته، ركلت ابنتها النائمة على الحصير، والتي جرى لعابها وديانا على المخدة. ساعتها كان الحي خلوفا، وحدهن النساء تسمع أصواتهن في الحارة البائسة؛ لم تتذوق للا لقايمة لفطورها طعما، داخلها يغلي كمرجل؛ «الزوجان الوافدان على الحي، يبدوان سعيدين ومنسجمين، وربي لا أكون القائمة بنت المعطي، إذ لم أسود عيشتهما، وتكون بذلك مناسبة لأختبر نحاسهم (باطنهم)...»
حجبت السماء ماءها، وسلطت الشمس بناتها، وجفت الأرض ونشف الضرع، وحزن الناس على محاصيلهم التي كدحوا عليها حولاً كاملاً، وتفشى الجوع وبدأت اللصوصية والسرقة، وعانى أهل القرية الأمرين، لحتى كان الإنسان يخشى على نفسه إذا خرج بعد العصر... وفي يوم شديد الحر كثير السموم، قال عمي حليل لزوجته:
- لقد عقدت العزم، سأنزل إلى المدينة علني آتيكم برزق.
ومضى في الطريق الترابي المنحدر، على حمار هزيل، تكاد أرجله الأربعة تخذله، لولا بقية من أَيد. وخرجت العائلة الصغيرة، تُلَوح للرجل وهو يتبخر مع شمس الهجيرة، وراحت مياسم المدينة تَلوح في الأفق.
زفرت الحاجة مُغنِية متضايقة، من هذا الانتظار المديد، ثلاث ساعات، تنتظر لتقلع ضرس العقل. وأخذت تقلب

عينيها في نساء الصالون، وهن من لبسها وهيئتها المتواضعة مستغربات. وراحت الهمسات واللكزات الخفية، ولسان حال النسوة يقول؛ «يا لها من عَروبِية، كأنها نزلت للتو من الجبل...»

كانت سيدة المَجمَعِ، تمضغ اللبان في لامبالاة ساخرة، وتنظر خزرا للحاجة مغنية. وهذه لا تحرك ساكناً، وقد فهمت الآيات، فغضت بصرها عنهن؛ هنا دخلت السكرتيرة، بقوامها الممشوق، وقرع كعبها يسبقها، وقالت بعد غمرة خفية لسيدة المجمع:

- فل يدخل رقم **Vingt ! .** ونطقت الرقم بالفرنسية.

وهنا قفزت الحاجة مغنية كالملدوغة، وقد فطنت للخدعة، وشدت على وسطها، وتأهبت لتطلق عقال لسانها:

- آها! هل حسبتم أنني أمية، فأردتن اللعب وراء ظهري. تالله لأفضحنكن. يا زرقاء العينين! (الجَامع لِي قريتي فيه، أَنا لي بنيتُو)، فكيف يسبق رقمها **20**، وأنا رقمي **19**؟ أم أننا في بلد ادهن السير يسير...

تعبت قدما عمي حليل، من المشي والتجوال، لم يترك مكانا إلا وطرقه بحثاً عن عمل، فما وجد. كان كل من يراه، يتهيب وجهه الوقور، وجلبابه الأبيض الناصع الذي توسخ ذيله بأوحال المدينة. أشار أولاد الحلال على صاحبنا، بأن يقصد حارة "المساخيط"، فربما وجد هنالك عملاً. وحث الرجل الخطى والأمل يغزوه، وإن كان داخله منقبض للاسم، وسار إلى سبيل رزقه.

فمر على جمع غفير يعلو فيه اللغط والصياح؛ وفجأة، ظهر وسط الحلقة، شاب قوي البنية حسن الهيئة، يجرجر شعر امرأة، وهي تصرخ وتعوي. والرجل لا يفتر عن الصفع والركل والبصق عليها. والحشد متفكهون مستمتعون بالحدث، لكأنهم اعتادوا على المنظر. وفي ضربه المحموم، راح الشاب يقول:

- تخونيني يا ساقطة!، ومع من...مع الخَضار !

فتُقسم المرأة والعَبرة تخنقها، بأنه كذب وافتراء؛ فيصفعها الزوج الغاضب حتى ترسم أصابعه على وجهها النضير، ويسيل الإثمد من العينين. فتعلو ضحكات الاستحسان من الجمع، وهنا استأنف الزوج تبريره للأهالي:

- لقد رأتكِ للا لقايمة، وهي ولية صالحة لا تكذب، وخير لكِ أن تعترفي، قبل أن أرسل روحكِ...

ودوت الضحكات الساخرة، وقد بدأ الحشد ينفض، وقد فهم الناس الحيلة، وما هي إلا لحظات قصار، ولم يبق من الجمهور إلا المرأة المطروحة أرضاً، والزوج الهائج كثور، وقد علته حيرة شديدة. وأسقط في يدٍ عمي حليل، فأراد الفهم فسأل صبياً، لكن الصبي مد كفه، وقال:

- درهمُ، وأقص عليك الخبر من (طقطق إلى السلام عليكم).

وأعطاه الدرهم، فأخذ الصبي يوضح الواقعة:

- ببساطة يا عمي، إنها لعبة ومكيدة دبرتها للا لقايمة، التي تحبّ استقبال الوافدين، واختبار جوهرهم، بأن تنفث سمومها وسط الأزواج.

وعض الزوج على شفته حسرةً، وندم

ندامة الكُسعي، فحمل حجراً ممتازاً، وطوح به تجاه نافذة للا القايمة، وهو يلعن أجدادها...

ومضى عمي حليل وهو يضرب أخماساً بأسداس، ويندب زمن المروءة ومِلح الجوار. فسار ما شاء الله له أن يسير؛ وإذا به يرى جمعاً كالسابق. وإن أضيف إلى هذا المشهد رجال الشرطة، الذين يحاولون كبح جماح عجوز حرون، وقد ثارت ثائرتها، وهي ترغي وتزبد، وتلعن السكرتيرة الوضيعة. وفي الأخير، أغلقت أبواب سيارة الشرطة على الحاجة مُغنِية، وانطلقت سرينة الشرطة تعوي وتزأر؛ عندها استفسر صاحبنا عن الحدث، فوجد عن يمينه، الطفل إياه، وقد مد هذا كفه في شحاذية وحرفنة، وأنقده الرجل درهما. فراح الصبي يلوك شيئاً؛ ويقول:

- سَمِعتُ يا عمي -واللّهّ أعلم- أن جهان السكرتيرة، أرادت التحايل على الحاجة مُغنِية، ولم تعرف تلك الورهاء، أن الحاجة تشرب اللغة الفرنسية شرب الماء الزلال، فنتفتها نتفاً...

وصدق قول الصبي، إذ نزلت صاحبة الكعب العالي، وقد تورمت عينها ودميت شفتها، ونكش شعرها الأصهب، فقالت وهي ترفع خصلة متهدلة عن عينها:

- بُول الشيت عليكم...يا أوباش!

لما رأى عمي حليل هذه المشاهد كلها، ركب حماره النحيف، وكر راجعاً على أعقابه. وقد قرر الموت جوعاً في قريته، على درهم من مال المساخيط.}

****

إلى هُنا يا أصدقائي تنتهي حكايتنا، فقد دب النوم إلى أجفانكم المرهقة، فاذهبوا إلى أكواخكم، وناموا قرير العين، ففي الغد ستنتظركم أرض لحرثها، ومهام لتأديتها... وإني لأرى مُبُولو الصغير وقد نام في حَجرِ أمه، ولا تسألونني عن مآل عمي حليل وللا لقايمة والحاجة مغنية.

اذهبوا صحبتكم روح جُومُو العظيم!

ناموا يا أبناء الكيكويو !

وإذا وجدتموني في الغد هيكلاً بارداً، فاعلموا أنني فيما بين النجوم صحبة أجدادي الميامين. فلا تجزعوا!

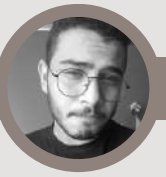

العالق في ساعة الحائط

شكري سلامه شكري
مصر

1

جئت إلى هنا من نقطة محددة على حدود السأم كذلك جاء مديري، وربما هكذا جاء كل شيء
حين ضجر أبواه جاءا به كنتيجة لخيبة أمل ضخمة وملل غير مبرر من وحدة كانت تشملهما بين جدران السرايا، ثم جاء نتاج الخيبة كي يعطيني دروسا في الانضباط، يجدر بي القول أنني نتاج خيبة أخرى، وربما أمل لشيء لم يدركه أبواي، وكذلك لم أدركه، لكنهما رآني، كما أعتاد جدي أن يقول، كضرورة لهما ونس غير قابل للتفاوض وثروة لم يكتب لهما امتلاكها، وكنت أقول ربما هما الآن يدركان خطأ ظنهما
في صباح عادي مشرق وأبيض كحمام الرب، صرخ في وجهي:
-اشتري ساعة يا أستاذ جورج، ساعة كبيرة قد خيبتك، علقها على الحيطة قدام سريرك.
تفرست في وجهه، جبهته بالتحديد تلك السحنة البنية، وحسنتها السوداء كحبة زبيب ضخمة، كانت تلك الحسنة تثير اشمئزازي، تساءلت: أهو ذنب لم يغفر له، وتساءلت هل ستتضاءل تلك الزبيبة في المظهر؟ ثم استقريت على أنها ستحترق معه في أعماق الجحيم.
مالك متنح فيا كدا ليه! مش عاجبك كلامي؟ -
-العفو يا سيادة المدير أنا بس حبي...
-حب في بتكم يا جورج هنا مفيش تأخير.
وأخذ يعد على أصابعه
-تأخير يعني قلة شغل ، قلة شغلة يعني قلة إنتاج، وقلة إنتاج يعني قلة فلوس
بدت حبة الزبيب كأنها تزداد تضخما مع ازدياد اهتياجه، وتنبأت أنه سيظل مهتاجا حتى تتضخم وتبتلع رأسه المسطحة، لكن هل كان سيصمت حينها؟
أردت سماع صوته كيف سيبدو من داخل تلك البالونة الضخمة، فابتسمت وحاولت مدارة فمي بيدي
كان الوقت في صحبته يبدو مبهما كأنه خارج إطاره، أردت التخلص منه ومن زنه المتلاحق فقطعت الضحك:
- محتجا سلفة
دوى الصمتكطنين، تفرسني بشدة، ثم شبك كفيه وقال:
-سلفة على إيه إن شاء الله؟ على مواعيدك المضبوطة وشغلك المتلتل.
- سلفة عشان أجيب ساعة كبيررة قد خبتي ساعدتك.
فقال بلامبالاة:
- مرتبك بيمزل أول كل شهر... غير كدا متسألنيش على مليم أحمر.
أعطاني ظهره وانصرف.
كلما أنبني خيبة الرجا المدعو رجب حافظ أستحضر ذكر المال والسلفة، فما إن تأتي تلك السيرة حتى يتطاير مع دخان سجائر الميريت.

جلست على ماكنة الخياطة كعجوز في عامها الأخير، كان يوما متألقا، لم أدرك ذلك سوى الآن، أن كل شيء كان بالفعل له بريق غير عادي، صلعة مصطفى كانت تضوي أكثر من المعتاد، كذلك ماكنته الحديدية الضخمة على خلاف ماكنتي البلاستيكية بعض الشيء، والتي من الجيل الجديد من تلك المكينات، كنت دوما أسعى للمقارنة بيني وبين مصطفى، هو شيخ شارف على الانتهاء، وكنت أحسده رغم دنو قدمه من القبر، فعلى الأقل هو يعرف أين موقعه، لكني على عكسه، مطوح بين الشباب والشيخوخة، ولا أدري متى توقفت عن اعتبار نفسي صبيا، كما كانت حياتي بالفعل تفتقد لما يجعلني رجلا كاملا وناضجا، مثل زوجة وأولاد،

أفتقد لكل ما يعده الناس دليلا على الزمن، لا أملك سوى شعيرات بيضاء أخذت تتقدم خطوطها في حين بدأ شعر رأسي في الانحصار.

كنت أتصور حائط مصطفى مزدان بلوحات دينية كثيرة في حين أن حائط غرفتي عار من الأيقونات، ودار في خلدي اليوم أن أمر على أحد الأصدقاء، فلربما يشفق على حالتي المزرية ويعطيني قبسا من إيمانه أو أيقونة أعلقها أوشمعدان للشموع يكون من الفضة لأبيعه.

أشعر بقطعة القماش تحت يدي تنزلق ببطء لتترك الإبرة خيوطها في سلاسلة ولترسم خطا من الحرير الأبيض كمسار عمر لا ينتهي، لكني شعرت بأن هناك شيئا سيكدر حالة الصفاء التي تجلت داخلي فجأة، وكما توقعت، أو ربما قد دفعت إصبعي عن عمد لأحقق نبوءتي، وشعرت بالإبرة تنغرز في إبهامي، فصرخت كشيطان، حتى التف حولي الجميع كان هناك ما يشبه الثقب في إصبعي حاولوا بشتى الطرق كتم الدم، كان الثقب صغيرا لكنه كان عميقا، فربما اصطدمت الإبرة بعظمة من عظام الإبهام.

تركوا العمل والتفوا حولي لدقائق، وبعد ربط الإصبع بقطعة قماش بالية كانت جوار المكينة، جاء الأستاذ رجب فتذكرت أمر الساعة، وقلت لنفسي: أن الأمر فرصة لأمر على أحد الدكاكين لأبتاع واحده، ثم انتبهت إليه وهو يصرف الجمع كلا إلى ماكنته، ثم نهضت أنتهز الفرصة:

- يبدوا أنني لن أستطيع استئناف العمل اليوم.

رد كاتما غيظه:

- مفهوم ... مفهوم.

لم أكن أتوقع أن الأمر سيكون بتلك السهولة. خرجت و تجتاحني رغبة في امتلاك ساعة تضفي على جدار غرفتي الشاحب نوعا من التألق الأرستقراطي، فتلك أشياء لم أرها سوى في السينما رغم بساطتها، فمررت على أحد الحوانيت واشتريتها بمرتب الشهر... وسيتكفل بيع الشمعدان الفضي- الذي سآخذه صدقة- بإطعامي باقي الشهر.

ساعة ذات إطار معدني، تشبه تفاصيل عقاربها التشابكات المعدنية لبرج إيفيل الجميل.

وفي الليل جلست عاري الجزع أمامها، لم أمتلك ساعة يوما ولم أهتم، لكن في تلك الليلة بدا لي أن لها سحرا خاصا، كانت

تبدو ككائن غريب يجر عقاربه في تأن وصبر، كنت كمن اكتشف الزمن لتوه وما كنت أسمع عنه من قبل، أمعنت النظر في الساعة الرشيقة، ذكرتني العقارب الثلاث بطواحين الهواء في الطريق للمصنع، ثلاث أجنحة تعد الزمن، لو زادت سرعة عقرب واحد لتبعثر كل شيء، لتاه الحاضر في زحمة المستقبل، لا يعني الماضي أي شيء فمن الحمق محاولة الإمساك به... مجنون من يفعل كجنان بروست.

2

تحت السماء الزجاجية كان هناك، يحارب الريش الثلاث لطواحين الزمن، فارس من اللاشيء يحمل ثلاثة عقود على كتفيه.

يحاول زحزحة العقرب إلى اليمين فلا يستجيب، ثم يعطيه دفعة صغيرة لليسار، فتتناثر جنازات مهيبة تتحرك على الأرضية الكرستالية، ويتدافع زحام شديد كأنه الحشر، وصوت همهمات يتصاعد كزمرة من حلوق اليائسين، زوجان لقيا حتفهما في حادث سيارة أليم، يتركان ابنهما ليصارع الحزن وحده، حناجرهم تتساءل من له، فيجيب: الزمن.

يعطي العقرب دفعة صغيرة لليسار تفوح رائحة كعك المادلين... يتراءى له ثدي امرأة مرهف كعاج خالص يتدلى داخل عباءتها الفيروزية، يسترق النظر كقرد جائع، من أين جاءت؟

يتذكر أنها كانت غريبة عن الحارة فقط تريد أن تملأ طستها من الطلمبة، فيساعدها كصبي أمين، تميل أمامه منحنية، فيخون الأمانة، ليدرك لأول مرة أن في خيانتها لذة.

تردد الأرقامكجوقة مسرحية في نشوة : إلى اليمين يا زمن الماضي دعك منه.

رجب يمص دمك كبعوضة لا تشبع، لكن متى تتخلص من العبودية وتتحرر؟ -

سل عقربها المتملص وادفعه بشدة إلى أقصى مداه إن أبى، دار معه دورة العمر كاملة، لا زوجة ولا أولاد.

-ألن تتزوج؟ ولما تكرر مسيرك في ذلك الطريق مرارا؟ ومتى وضعوا الأرقام حول الطواحين؟ وإلى ماذا يمكن أن يشير اثني عشر رقما في حلقة ؟ ومتى شاب شعرك؟ لكن كرسيك مازال كما هو، مصطفى رضوان كما هو في المكتب المجاور، وعلي السيد كخرتيت سمين مازال يراقب أمور الجودة، أما رجب، فقد امتلئ كفيل، حسنته السمراء مازالت تتضخم منذ تركته، اسأله عن سلفة وعكر صفوه.

يتعالى صوتك بحلق جاف ((سلفة لله يا بيه)). يرمقه بغضب ويزمجر، فيظنه سيضربه بكرشه الضخم، لكن فجأة تنتفخ حسنته السمراء لتبتلع رأسه الأصلع اللامع، ثم يسمع صليل صوته من الداخل ليهلك من الضحك، يخال الأمر مؤقت فيزداد الضحك، يعبث وجهه وتتصاعد حمرته لكنه ما يزال يضحك، تكاد تختنق تحاول التخلص من سيطرة الضحك الذي تملكك فجأة، شيء ما يجثم فوق صدرك، تستنجد بمن حولك حتى آخر نفس حتى تكاد تحتضر، يلفى نفسه ما زال أمام الحائط يتأمل الساعة بشرود تام.

3

هل كنت مستيقظا طيلة الوقت أم تراني كنت نائما؟ لم يكن لشيء أن يشير إلى

الواقع، كان حلما رائعا إن كان حلما
نهضت ونظرت بتمعن إلى توليفة الأرقام والعقارب فكانت السابعة إلا ربع، ارتديت ملابسي وأنا في حاجة ماسة للنوم، لا أظنني نمت، ربما كان تجليا أو حلما من أحلام اليقظة، سرت في طريق الطواحين، كانت حلقة الأرقام لا تزال حول عقاربها الدائرة، علمت أنني لا أزال حبيس حلم ثقيل، مضيت للمصنع، سلم علي رجب، وقال:

- مضبوط في معادك، إيه السر يا جورج؟

أردت استغلال موقفي من الحلم فقلت له محاولا إغضابه عوضا عن قتله:

-في الحارة القديمة، مليت الطست لأمك وشوفت صدرها

تسمر في مكانه، وارتعشت أطرافه وتشنج من الغضب، ثم بدأت حسنته في الانتفاخ كأنها ستنفجر، زاد حجمها حتى ابتلعته، ثم انفجر فجأة كبالونة ضخمة فتناثر الدم في كل مكان... راحة المادلين في كل مكان.

تناولت كوب ماء من المكتب وأخذت أملأه من دمه، ثم وقفت على مدخل الصالة الضخمة، أعطي زملائي حقهم من دم رجب، وحين اكتمل الحضور بدأنا العمل، وسار كل شيء مثل المعتاد، كان كل شيء اعتياديا بشكل صارخ.

ذهبت إلى الأزبكية بعد الدوام شاهدت فيلم اللص والكلاب، وتمنيت أن تحبني ولو عاهرة، وظلت تلك الخاطرة تدور في رأسي حتى استلقيت على الفراش مستسلما لنعاس لا يرغب في المجيء حتى الآن... كتبت وأنا منزعج من الماضي الذي لا يمكن إمساكه... أكتب

وأنا ضائع في الحاضر المتفلت... مثل عوليس لا أقدر على إمساك أي شيء... تناولت الساعة من الحائط... قذفتها وارتطمت بالحائط، تصدع الواقع وبدا كأنه شرخ... ارتميت على السرير فكان منشقا نصفين تفصل بينهما فوهة لا نهاية لها... أجلس خائفا من العالم المحطم... انتظر طويلا...

لا معنى لانتظاري...

لا معنى للزمن...

المرآة

ابيه بظاك
المغرب

استيقظ حمدي على غير عادته متأخرا، ومن شدة التعب أحس أن رجليه لا تقويان على حمل جسده، عزم على إدارة عمل ذلك اليوم من المنزل. قام متثاقلا وقصد المرآة، ألقى ببصره على الصورة التي ظهرت أمامه فصعق، شهق شهقة كادت تصعد روحه للسماء، تساءل وعيناه شاخصتان في الذي أمامه: من هذا يا ترى؟!! أهكذا صرت؟!... هدأ من روعه، ثم قال هازئا: أضحت ذاكرة المرآة قصيرة، فلم تعد تحفظ صورتي، فها هي تظهر على واجهتها صورة شبيه لي، رمى عينيه لرأسه فرأى شعرا منفوشا كزرع انحبس عنه المطر، استفسر المرآة: أين شعري الكثيف الطويل الذي كان يغطي ثلث جبيني؟ أين أنت يا شعري، يا ما كان يكلفني تصفيفه وقتا لا بأس به؟!! هجرتك مؤقتا فهجرتني إلى الأبد، عاقبتني أشد عقاب، تفرس الوجه فرأى وجها غريبا عنه، لم يسبق له أن رآه من قبل، وجه مصفر ومجعد، تحول إلى الجبين فلحظ خطوطا متقاربة تقطعه طولا كأنها أخاديد، أسفلها عينان متعبتان تشيان بغبن وحسرة، نظر إلى الخدين الشاحبين، فبدا له أنهما مصابان بالأنيميا، فر ببصره بعيدا عنهما عساه يجد ما يروح عنه ويطفئ جمر الاندهاش الذي يلهب دواخله، سقط نظره على ذقنه، فصار يقلب ناظرتيه بين لحييه اللذين غزاهما الشيب. تساءل: أهو الزمان الذي فعل فعلته؟ أم غليان مخي تفكيرا هو ما أشعلهما شيبا؟

يقولون أن الشيب وقار، وأنا أقول إنه طريق انحدار، وإعلان عن الخور، إنه علامة على توديع أجمل محطة من محطات الحياة.

تذكر أنه نسي تفقد أنفه، عاد إليه متفرسا، فلحظ أنه هو ما بقي صامدا حافظا لملامح شبابه. أخذ يتفحص جسده الذي هزل، فقد ذهبت عضلاته وانمحى أثرها، أظهرته هزالته أقصر مما كان، قال: إنها سنة الحياة، ضعف، ثم قوة، فضعف؛ لكني لم أصل بعد إلى مرحلة الضعف، فربما إجهاد نفسي هو الذي عجل بخور قوتي.

تناطحت الفكرتان في رأسه دون أن تتغلب إحداهما على الأخرى، أوقف المعركة ونظر إلى هندامه، ثم ابتسم ساخرا، فقال بصوت مسموع: حتى الهندام منكسر، إنها القوة هي ما تضفي على الملابس لمعانا وبريقا. أما إذا ضعف الجسم فتضعف جاذبية الملابس، فالشباب متعة واستمتاع وستر، أما الشيب فكاشف العيب، بل العيوب.

فجأة ظهرت له صورة صديقه رشدي- ببذلته الزرقاء الأنيقة – بجانب صورته، شهق مندهشا، وما أن أتم الشهقة حتى شرع يقارن بين الصورتين. تفحصه مليا،

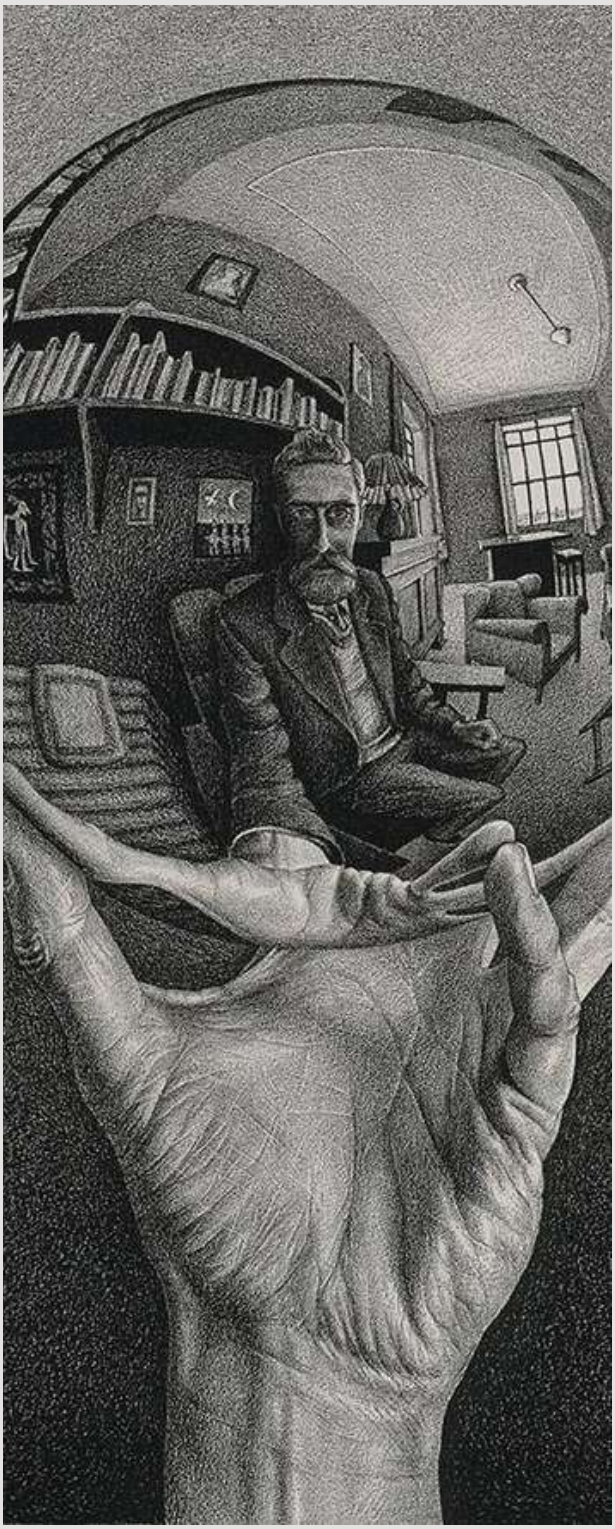

ثم غمغم: ما يزال في ثوب شبابه كأنه ما تجاوز الخمسين، أو كأن قطار سنواته لا يزال في محطة الشباب الأولى، أما قطار حياتي فقد أوشك على بلوغ محطته الأخيرة، إن لم يكن قد بلغها، همهم: إنها ندوب الزمن الذي لا يتوانى عن لكمنا حتى يسقطنا بالضربة القاضية للحودنا، فقد نيفت على الستين، لكنه سرعان ما استدرك قائلا: لا يمكن أن ألقي بالتهمة على الزمن وأبرئ نفسي، فنفسي هي المذنبة، أما الزمن بريء مما لحقني من ضعف وانكسار... فلا سن محدد للشباب، فالشباب شباب الروح، أما من أتعب نفسه جريا وراء هواها شاخ وهرم قبل الأوان. صار يحمل نفسه أوزار ما لحقها، بحيث اعتبرها عدوة جسده، حرمته متعة الترويح عن النفس، الاهتمام بها، تلبية حاجياتها...

رسمت له سبيلا طويلا ظنه سبيل السعادة فاتبعه، وأخذت تدفعه وهو يجري بسرعة تجاوزت طاقته، أنهكته بالجري طالبا المزيد، وجعلت من الاستزادة شعار حياته، رفعت عينيه للأعلى، وبخست كل إنجازاته؛ وحببت له جمع المال وكرهت له إنفاقه، جعلته يجري لاهثا دون أن يلتفت إلى نفسه ولا إلى أبنائه وزوجته. تأوه فقال والدموع تترقرق في عينيه: ما أكثر مالي وما أكثر شقائي وتعاستي!! سكن قليلا وأردف: من الآن فصاعدا، فلا حاجة لي بمادة تستخدمني ولا تخدمني، فلتذهب المادة إلى الجحيم، ولتسعد الروح في النعيم.

المقهى المهجور

ياسر سبعاوي
العراق

كنت بينهم، يسحبونني نحو النهاية، يقودني الظلام بينهم إلى أزقة البؤس التي لا يزور الضوء مقيميها كثيراً.
قرأتها، ثم أمعنت التفكير، يا ترى...من كتبها؟ ولما رماها في إحدى الأزقة خلف مبنى الكلية التي أدرس فيها؟ كنت أذهب لأدخن وأرى الجميع يتكلمون عن العلاقات الإجتماعية بينهم، أو عن شخص أحدث جلبة لأنه ارتدى ثياباً لكي يعترف لإحدى زميلاته عن حُبه لها. ما الذي يُفكر فيه هؤلاء الحمقى؟ أشعر أنني أتآكل من الداخل عندما أتكلم معهم وأرى مستواهم الفكري المتدني. وقفتُ وأنا أناقش نفسي حول غبائي لأنني أتكلم مع أشخاص لا أستمتع برفقتهم، ثم لاحقاً ألوم نفسي لأنني وحيد. ياللقرف، اللعنة على البشرية، لماذا يجب علينا دائما أن نرافق أحدهم؟ حينها فكرتُ أنني يجبُ أن أؤسس لنفسي مكاناً أذهب إليه وأشعر بوحدتي، وأستمتع بها حقاً. وقفت بعد جلوسٍ لا بأس به، على صخرةٍ ملأت مؤخرتي تُراباً، فنفضت التُراب عني، وتوجهت نحو المقهى المخصص للطلاب لكي أشرب القهوة، وأناقش فكرتي العبقرية.
دخلت إلى المقهى ببابه الأبيض المتآكل، عند تركيزك في النظر إليه سوف ترى أنه كان باباً يمتلك زجاجاً في يومٍ ما، وأيقنت في داخلي أن الزجاج تحطم عندما رأى مُراهقات الطلاب. جلست في إحدى الطاولات البعيدة عن الجميع، جاء العامل ليرى ما طلبي، فنظرت إلى وجهه بتمعن، كيف لوجهه أن يطابق لون الحائط الأصفر المتقشر أيضاً، طلبت القهوة كما أردت، ونظرت إلى الأرض المتآكلة. وصلت القهوة أخيراً، ارتديت سماعاتي، فانطلقت موسيقى تارتيني تعبث بعقلي، تجعلني أطفو إلى الأعلى، ثم أعود إلى الأرض. حينها أخذت القهوة وانطلقت بحركة لا شعورية، إلى إحدى الأماكن المهجورة، التي كانت يوماً ما بمثابة مقهى للطلبة. كان الغبار يملك سطوةً مهيبة على كل المكان، إذ لا يمكنني أن أرى شيئاً من المكان. أخرجت خُرقةً من القماش لأمسح أحد الكراسي، وأجلس وأدخن وأحتسي القهوة. خرج من إحدى الزاويا طالب وطالبة، ونظرا اتجاهي بتفاجؤ وخوف وأفلتا ذراعيهما المتشابكتين.
قلت والدخان يخرج من فمي: لا تهرعا، أكملا الذي كنتما تفعلانه، أو اخرجا إن شئتما.
رد الطالب بتوتر: لقد....لقد....كنتُ أدرسها.
-لا حاجة للكذب يا صديقي، لا أعتقد أن آثار الحمرة التي في رقبتك دليل على طريقة تدريسك الناجحة.
تحسس رقبته، ثم هرع يركض تاركاً الفتاة

خلفه. فقامت الفتاة بالبكاء وانهارت قربي، يا إلهي أردت الهرب من البشرية، فأتت البشرية كلها قربي. نظرت إلى الفتاة، بردائها الأحمر المشع، وقلت: أعدك بأن لا أكشف سرك لأحد، فقط غادري.

خرجت الفتاة وهي تبكي وتتعثر. فأخرجت أنا سيجارة أخرى، وأكملت قهوتي، وعدتُ للتفكير في ماهية أمر أريد تحقيقه، إنني أتمنى أن أكمل يوماً كاملاً بدون أي شخص حولي. أدرت رأسي فرأيت الحائط المغطى بالغبار، فكتبت بلا سابقِ إنذارٍ أو هدف : أنا أريد أن أكون وحيداً دائماً.

فخرجت من مكاني السيء وعدتُ إلى البيت، أملاً ألا يتحدث أحدٌ معي.

مر اليوم برتابة كعادته، أمي تُكلمني عن خلجاتها عندما كانت طفلة، وأبي كالعادة في العمل دائماً، وأخي الصغير يتكاسل عن الدرس ويحاول أن يهرب ليلعب كرة القدم مع أصدقائه، لذلك كُنت أنا موتاً بين هذه العائلة النابضة بالحياة.

جاء الصباح، بعد صيحات المنبه، بلسعةِ البرد، برائحة الشاي والبيض، بارتجاف الأيادي عند غسلها بالماء البارد. ذهبت إلى الجامعة وأكملت محاضرتي الأولى وهربت إلى ملجئي بعد أن اجتزت الصخور والمنحدرات التي تُعيق دربي دائماً، لا أعلم لماذا يوجد منحدر غبي في طريقي للمقهى المهجور، وحجارةٌ كبيرة للغاية يمكنها أن تقتل حماراً مُسرعا؟ وصلتُ إلى المقهى، فرأيت أربعة شبان و فتاتان، يبدو أن الجميع في انتظاري. نظرتُ إليهم بفمٍ مطبق، فقال أحدهم:

-لقد سمعنا من إحدى الطالبات أنك تمارس الشعوذة لوحدك هنا، ونحن سئمنا هذه الحياة، لذلك نود أن تقودنا إلى دربٍ آخر.

سألته: هل ترتدي الفتاة التي أخبرتك بهذا الكلام رداءً أحمر يمكنه أن يخترق عينك.

-نعم. أجاب بسرعة.

-حسناً، اسمع إنها تكذب لأنها...

لم يدعني أكمل كلامي وقال بحزم أنه مؤمن كل الإيمان أنني أمارس الشعوذة، وأنني لا أفصح عن عملي بسهولة. لكنني أتساءل، لماذا يود الناس أن يصدقوا أي شيء يُقال لهم؟. سألت نفسي وأخرجت سيجارتي وأشعلتها ونظرت إليهم وقلت: ما الذي تودونه الأن؟ قال الشاب بحزم: ما الذي تفعله هنا تحديداً؟

-لاشيء، مجرد التدخين والتحديق في الفراغ.

فخرج من المقهى المهجور سريعاً وعاد حاملاً بيده سجائر كالتي في يدي، إنهم جادون في تقليدي. أكملت سيجارتي ورميتها وبصقت عليها تعبيراً عن غضبي، وخرجت. عدت بعد نهاية الدوام آملاً أنهم قد اختفوا، فرأيت في باب المقهى الشاب الذي كان يكلمني، وهو يشرح لزملائه كيف أطفأت سيجارتي، لكي يقوموا بتقليدي، ويحصلون على القوة الشيطانية. لم أعلم أن البشر أغبياء إلى هذه الدرجة، ربما يظنون أنني عندما أشرب الماء فإنني أستحضر ميفستوفيليس. كنتُ أود أن أشرح لهم أنني لست مشعوذاً، وأن الفتاة كانت تريد أن تغطي على فضيحتها، لكنني لا أحبذ التبرير في كل مفاصل حياتي، لأن التبرير أسوء من القيام بشيء غبي.

حضرتُ بعد عطلة دامت أسبوعين ورأيت المجموعة أكبر، ورأيتهم يرتدون أردية سوداء ذات قلنسوة، ما الذي يحصل بحق الجحيم؟ رأيت الفتاة ذات الرداء الأحمر، ترتدي وشاحاً أبيض بينهم، عندما رأتني رفعت يدها، فجاء شابان طويلا القامة، شديدا القوة، رفعاني من مكاني بكل سهولة، حاولت أن أقاوم، لكنني لست بالقوة الكافية التي تؤهلني لمجابهة هؤلاء الوحوش، كان الجميع يرتدي الرداء الأسود، ويصفقون بصمت، والشابان يقتاداني نحو حبل معلقٍ في نهاية المقهى، يجتازون صفوفاً من الناس، ويقولون بهدوء: اذهب إلى بعلزبوب، إلى فيرجيل رفيق دانتي، إلى وحوش الجحيم، ونم هانئاً بينهم. ما الذي يحصل بحق اللعنة؟ أخبرت أحد الشابان اللذان يحملانني، عن ماهية المسرحية المضحكة هذه، فقال: هنيئاً لك يا سيادة القديس، لقد قالت الكاهنة ذات الرداء الأحمر، أنك أكملت رسالتك، وسوف تذهب لترافق بعلزبوب لتوصل رسالته السامية. يالعنة، إن العاهرة اخترعت كل هذه القصة لكي تجد مبررا لنفسها حتى تقتلني وتُنسى الفضيحة. اقتربت من الحبل، وبدأت الأصوات تتعالى، أحكم أحد الشابان قضبته على يدي، لكنه أفلت قدمي فجأة، فرفسته، ووقعت على رأسي. كان صوت ارتطامي بالأرض كصوتِ المطرقة الكبيرة عندما تُضرب بأحد الجدران. فأصبت إثرها بالعمى لفترة. أبصرتُ بعدها، فرأيت الدم حولي، لكن الفوضى ليست حولي، بل اختفت. لا يوجد أي صوت من تلك التي كنتُ أسمعها وأنا على أكتاف الشباب، حاولت فتح عينيَّ، لكن الدماء كانت تأبى ذلك، لأنها بللت جفوني، وجعلتني أعمى البصر لمدة لا يستهان بها. فركت عيني، فوقفتُ لوهلة، أنا لستُ في المقهى، أنا في المنحدر، نظرت إلى المقهى، لا أظن أن هناك أحد. نظرتُ أسفلي، فرأيت صخرة كبيرة، مليئة بالدماء، يالللهول، لقد نزفتُ كثيراً. يبدو أن اجتيازي للمنحدر لم يكن ناجحاً كما تصورت، بل إنه باء بالفشل الذريع لدرجة أنني كنتُ أحلم بأشياء فوضوية.

ذهبت إلى المقهى المهجور، وجلست على الكرسي، كان المكان فارغاً تماماً، خلعت قميصي ولففته على رأسي لكي يوقف نهر الدم المتدفق منه. رفعتُ رأسي، فرأيت الفتاة ذات الرداء الأحمر متسمرة قبالتي، ثم قالت: هل تود أن أساعدك؟ أجبتها بالإيجاب لأنني كنتُ أتداعى، فأخذتني إلى إحدى زوايا المقهى، ونظفت جميع الدماء التي في رأسي. نظرتُ إليها، وقلتُ ببلادة : شكراً. وقفت، لكن رأسي ليس في حالة سليمة، فأمسكت الفتاة يدي، وخرجنا، فرأيت شخصاً ليس غريبًا عني، جالساً، وهو يدخن سيجارته، جالساً على كرسيه. قال بهدوءٍ :

لا تهرعا، أكملا الذي كنتما تفعلانه، أو اخرجا إن شئتما.

أردت أن أخبره، أننا لسنا كما يظن، لكن من الصعب أن تشرح الوضع برمته، حاولت إخباره أنني كنت أدرسها لكي يصبح الوضع قابلا للشرح، لكنه نظر إلى رقبتي، وأخبرني بوجود أثر حمرة عليها ،

فتحسستها، فكانت كما قال، بيد أن الفتاة نسيت أن تنظف رقبتي من بقايا الدماء، فلم أجد ما أقوله، فهربت منه. وهربت من الحياة كلها، لقد كنتُ أريد الوحدة فقط ولاشيء سواها، لماذا يحدث كل هذا؟ لماذا عندما أحاول أن أكون وحيداً، أكون بينهم دائماً؟ لقد رأيت نفسي،
كُنت بينهم، يسحبونني نحو النهاية، يقودني الظلام بينهم إلى أزقة البؤس التي لا يزور الضوء مقيميها كثيراً.

بذور

شـريـف الـكـردي
مـصــر

ظهيرة يوم ما في الغابة السوداء المليئة بالأشجار بولاية **(**فورتمبيرغ**)** بجنوب غرب ألمانيا وقف شاب شامخ في عقده الثاني من العمر أعلى إحدى تلال الغابة المطلة على وادي الراين، تأمل مياه النهر الساكنة ثم أغمض عينيه ورفع رأسه إلى السماء وتنفس بعمق، و بعدها أطلق ذراعيه ليحتضن الطبيعة ويحتله شعور الحرية بغتة، تسللت الشمس بعد أن أفرجت عنها السحب واخترقت مسامه وأدفأت قلبه؛ على الرغم من برودة الطقس إلا أنه قرر أن يخلع سترته و قميصه ليكشف عن جسده الرياضي المتناسق وألقى ملابسه على الأرض ثم مسح بيده على شعره البني الطويل وعلى لحيته المهندمة**.** سبع درجات مئوية غير كافية حتى ينال منه الصقيع، نظر خلفه إلى الغابة بأشجارها الكثيفة التي لا تقوى أشعة الشمس أن تخترقها نتيجة ترابطها؛ بعد نظرة حاقدة منه حدث نفسه قائلًا**:** جميع كائنات الأرض تتكاتف عدا الإنسان فهو الوحيد الذي يسعى لانقراض فصيلته**.** التفت بظهره إلى الخلف وشعر بألم شديد في فقراته وحاول جاهدًا أن يقاومه دون جدوى فقفز عدة مرات في موضعه مضموم الركبتين إلى صدره بخفة لا مثيل لها للتخفيف من آلامه، خانته ساقيه أثناء القفز فوقع وتتدحرج من أعلى التل بعنف صارخًا بالنجدة**...**

احتضن بساط حجرته ونظر إلى الكرسي الذي سقط من فوقه مما أدى إلى ارتطام رأسه، ومن ثم سحب سلك سماعة الرأس الموضوعة على أذنيه ليضج صوت المسجل بموسيقى أرض الأحلام للموسيقار **(**راجح داوود**)** فينهض مسرعًا بجسده النحيف العاري اللهم إلا من سرواله الذي يحتوي على بعض الثقوب الصغيرة ويلتقط نظارته الطبية فيرتديها ويغلق المسجل لتنبعث سيمفونية العاصفة للموسيقار **(**ياني**)** من خارج غرفته بصوت أنثوي جهور**:**

ـ ما هذا يا أبله؟**!**

ليرد في بلاهة باقتضاب معتذرًا لوالدته التي ولحسن حظه في دورة المياه الآن ولا تسنح لها الفرصة لتأتي وتحطم وجهه بالمسجل، أغلق باب غرفته بإحكام مستعينًا بالأقفال الثلاثة الداخلية تحسبًا منه وتجنبًا لاندلاع حريق لا يقوى على إخماده، ثم اتجه إلى الكرسي وأعاده أدراجه أمام المكتب أو بمعنى أدق أمام ذلك الرف الملتصق بالحائط ومن فوقه تلك اللوحة الكبيرة لأشجار زاهية متداخلة، ذهب إلى خزانة الملابس ونظر من خلف نظارته إلى انعكاسه بمرآتها مشمئزًا من جسده النحيل وبشرته الداكنة وحب الشباب المبعثر على وجهه على الرغم من تجاوزه عمر المراهقة ببضع سنين؛ فتح باب الخزانة وأخرج معطفًا

رماديا طويلا ثم ارتداه، ومن بعده حذاء دون جوارب، وحمل حقيبته ثم بدل نظارته بأخرى شمسية وقفز من نافذة الحجرة في إعياء شديد من بأس ظهره.
وصل إلى الحديقة المجاورة لمنزله وأخرج من حقيبته لفافة كشف ما بداخلها من بذور الصنوبر والتنوب وتمعن النظر إليها وهي بين يده بابتسامة عريضة، اقترب من البركة الصغيرة العطبة ونبش أرض الحديقة المحروثة وغرس بذوره، تمنى أن تنمو يومًا وتصبح نسخة متواضعة للغابة السوداء! خلع معطفه وتراجع على الفور حينما ارتعش سائر بدنه فتأفف وطأطأ رأسه مستسلمًا وعاد أدراجه بعدما علق قلبه وبصره طويلًا بموقع حرثه.

ترانيم صبابة آسنة

نـورة لـمـنـور
الـمـغـرب

قبل عامين وأربعة أشهر وخمسة أيام ودهر ونصف دهر من الدموع والوجوم... حدث
الآتي:
حين أضمر الليل البهيم القمر، وتحالفت الغيوم لتحجب سناء السماء ونورها، قمت من فراشي متثاقلة والساعة تشير إلى الرابعة بعد منتصف الأرق والاكتئاب... فتحت شاشة الكمبيوتر خاصتي وأخذت أقرأ كتابا يحكي بلغة أنيقة قصة حب حزينة... العالم متحد أيما اتحاد لينبش تراكمات الضعف والخلل في شخصيتي... إن الحب هو أكثر ما افتقرت له فتاة.
لا تملك من مقومات الجمال ولا من روح الشاعرية والرقة ما يؤهلها لعيش قصة حب شبيهة لما تحويه سطور الروايات وحكايات السينما... وكانت قراءة الروايات خصوصا روايات الحب عزائي الوحيد الذي يعوضني عن نقص هذا الشعور في عالمي الواقعي... مضت عشرين سنة على أول صرخة مدوية أطلقتها في أرجاء الحياة... دون ماض مشرق أو حاضر سعيد... حتى المستقبل!
ما أبعد المستقبل البهيج عن حياتي... فالمستقبل الجميل يتمخض عن الحاضر الجميل، لكن حاضري كئيب، ومثله سيكون مستقبلي، هذا ما أسست عليه توجهاتي الحياتية، فبقيت يائسة طوال الوقت... أمضي ساعات يومي بين أسوار الجامعة وأعود إلى البيت وحيدة مثقلة بالضجر والملل... لم تكن لي أي علاقات اجتماعية مع أي أحد طوال حياتي... كنت دائما ما أعاكس.
علاقات الصداقة وعلاقات الحب التي تجري الفتيات والفتيان وراءها طمعا في عيش مثل ما يبث في قاعات السينما من قصص غرام كنت أرى أنها أبعد ما يكون عن الواقع، بل حتى عن الخيال بعينه... لعل هذا النفور جاء كنتيجة لما تعرضت له من تنمر لازم سنين عمري الماضية، تمخضت عنه ثقة قوية مني بأن لا أحد يستطيع أن يحبني ما حييت، ففضلت أن أبقى بعيدة عن الخيبات والصدمات العاطفية، مكتفية بحب عتيق من والدي وجارتنا مايا التي أغدقت علي من حبها، ما جعلها تنسى ألم عدم إنجابها لسنين متتابعة طوال...
أنفي الطويل المعقوف وشعري البني المجعد وعظام وجهي الناتئة وجبهتي العريضة وعيوني اللوزية الصغيرة... في نظر مجتمعي الصغير أشياء تعارض معايير الجمال... لذلك كان الجميع يتصيد الفرص المواتية كي يغرقني بوابل من كلمات التمقيت والازدراء... أماعن نفسي فكنت أرى أن عناصر وجهي جميلة

جداً إذا ما نظرت إليها كل واحدة على حدة، ، أما وهي مجتمعة كان يظهر لي أن هناك عدم انسجام واتساق فيما بينها... لكني كنت دائما مؤمنة بأن جمالي مرادف لإنسانيتي، وأنه لا جمال كجمال أن تكون إنسانا شاعرا محبا للطبيعة بعناصرها المختلفة، حتى للأشياء التي تعاكسك فيها وتتربص للإيقاع بك ... كنت أستمد من حب الحيوانات قوة ترمم تمزقي من كره الإنسان لي... في صباحات تموز الباكرة كانت تشتد الحرارة بشكل غير عادي، فتأتي مختلف العصافير من حقول القمح القريبة قرب نافذة غرفتي، كنت أستخلص من تحويمها هناك أنها عطشانة، لذا قمت بوضع إناء ماء قرب النافذة أغير ماءه كلما غدا ساخنا، فالقيظ حينها بلغ أشده... كان ذلك الإناء سببا يفك عني وحدتي ولو موسميا، أي كلما جاء الصيف واشتدت حرارته على المخلوقات الضعيفة المسكينة... كنت أشعر بالراحة وأنا أطعمها فتات الخبز، ورؤيتي لها وهي ترتوي تعادل فرحتي وأنا أحلق مثلها فاردة جناحي في السماء... إن فرحة العاطي المستغني للآخذ المحتاج أعظم وأنبل الأشياء على الإطلاق... لأجل هذا آثرت فصل الصيف دائما على باقي الفصول، أيضا لأني في عشياته كنت أذهب إلى الحقل فأجلس فوق كومات القش المرتفعة وأتأمل لوحة الغروب البديع، بروح عذبة لا تعلم عن فجائع الحياة وأهوالها شيئاً... أعود إلى المنزل بعد أن كنت أودع شمس غروب بيروت والعصافير والسنابل والدنيا الصفراء والطمأنينة تملأ كياني... أشاهد رسوما كرتونية جميلة أبكي لبكائها وأفرح لفرحها... اشتقت لأيام كانت أقصى أماني فيها أن تجد ريمي والدتها، وأن تتخلص كوزيت من عائلة تينارتييد الشريرة، وأن يتحقق حلم إيميلي في أن تصبح كاتبة مشهورة، وأن تنتهي قصة صاحب الظل الطويل بلقاء جميل لجودي مع الذي بادلها أعواما طوالا الرسائل وبادلته الأسرار وتفاصيل يومها دون أن تعرف من يكون... لأني فتاة تتوسد كل ليلة ذكرياتها قبل أن تنام... وتعانق الماضي وتسرق من فمه قبلة بريئة تنعش أيامها الرتيبة... وتكتب بحبر الحنين على بردي الأزمان الغابرة... بقيت وفية وفاء أرملة تأبى أن تكفر بحبها الأول، لماضي مع ذكريات استوطنت القلب وفيه نصبت خيامها... أذكر أيضاً أيام السبت والآحاد وأنا ذاهبة بأبهى حللي مع أمي إلى كنيسة القرية الصغيرة من أجل تأدية طقوس الصلاة والعبادة... وأنا صغيرة في عمر العشر سنوات لم أكن أستوعب جيداً الغاية من هذه العبادات، لم أكن أفهم أي شيء عن الدين الذي انسقت أيما انسياق لاعتناقه، لأني وجدت والدي له معتنقان... لكن صرت أحبه كلما تأكدت معرفتي بالقيم الإنسانية الجميلة التي يدعو إليها... وكانت كلما زادت سنين عمري إلا وزادت معها محبتي لشخصي اليسوع ومريم العذراء... حتى أنني أقسمت ذات يوم أمام تمثالها وأنا بعمر السادسة عشر أنني سأظل مثلها عذراء طوال حياتي... وأنني لن أسمح لأي بأن يدنس قداستي وأن

يلطخ شرفي تحت أي ذريعة، حتى تحت اسم الزواج... قلت لها حينها:« مولاتي العذراء، سأصبح راهبة مثل راهبات القرية، وأعدك بأنني سأقف بالمرصاد لأي مشيئة تصدني عن بلوغ هدفي...» كان يسوع عليه السلام وأمه مريم العذراء الحب الذي طوق أيامي وسنين عمري وأنار ليالي حتى الأشدها حلكة... وأنا أتحدث عن الطهر والقداسة لا يمكن أن أغفل اسم كارمن؛ العشق الذي فتح لي أفقٍ الحلم والتميز... هي آنسة جميلة جداً... في ربيعي السادس عشر كانت هي تبلغ من العمر ثلاثين سنة... رقيقة وناعمة، ذات عينان كستنائيتان، وشفتان ممتلئتان، أنفها طويل ودقيق ولون بشرتها حنطي، كانت مكتنزة بعض الشيء... كنت أفغر فاهي وأنا أنظر لهذا الإبداع الرباني في الخلق... تعرفت عليها وأنا في الثانية عشرة من عمري، عندما أشرفت على تعميدي في الكنيسة إلى جانب قس القرية...

أسرتني معاملتها وكيف خففت عني خوفي مما كان يقام لأجلي من طقوس إعلانا لإخلاصي الأبدي للرب ولتعاليم المسيحية... اعتنقت الرهبانية صغيرة جداً، وصامت عن شهوات الدنيا وملذاتها فأحببتها حبا يماثل حبي للعذراء، لأن كلتاهما كانت بالنسبة لي رمزاً للقداسة والإنسانية... توطدت علاقتي بها يوم أن توفي كلب عزيز كنت أختبر فيه إنسانيتي كل يوم... كان عليلا وجاءت علته نتيجة لكبر سنه، كنت أعتني به وأطعمه بيداي، ثم أدرف دمعات ساخنة قربه، بهذا تتأكد إنسانيتي فأشعر بالطمأنينة والراحة...

وجاء يوم اختفى فيه الكلب من المكان الذي كنت أطعمه فيه قرب البيت، حتى ألفيته بعد بحث مضني قرب أشجار السرو منبطحا مستكينا لسكرات الموت... انتحبت وذرفت من العبرات الشيء الكثير، قبل أن أتوجه إلى الكنيسة لأبادل كارمن حزني علها تخفف عني وطأته كما اعتادتأن تفعل... وبالفعل لم يخب عندها مسعاي، فقد رحت إليها وأنا في أوج انهياري وضعفي، وعدت هادئة مطمئنة البال بعد حديث رائع طويل أخبرتني فيه أن الكلب لم يمت بل ذهبليعيش في العالم الآخر حياة البهاء والسعادة حيث لا مرض ولا حزن أو سقم... وأنني سألتقيه يوماً ما هناك وستكون فرحتنا باللقاء أعظم وعلاقتنا أجمل، وأن منغصات الدهرستنتهي، ولن تشوب أبدا علاقاتنا مع من أحببناه في الدنيا والتقيناه في العالم الآخر أي شائبة... وأن الموت آت لا محالة، وسيأخذ منا كل عزيز إلى أن يحين دورنا ويأخذنا أيضاً، فما نحن إلا جثثا مؤجلة... والإنسان يجب أن يهيء لآخرته أكثر مما يهيء لمستقبله... و ختمت كلامها بعبارة جميلة قالت فيها أن ما فقدناه هاهنا لن نفقده في الحياة الآخرة، وأن الإنسان سينال من السعادة في الحياة الأخرى على قدر إنسانيته... وبهذا غدت كارمن في حياتي رمزا للإنسانية والروح الطاهرة... فما من حادثة أليمة أو مشكل استدعى حزني إلا ووجدتني بين أحضانها أحكي لها وأبثها آلامي... لقد كانت كارمن ببساطة حلمي عن صورتي في المستقبل وأنا أرتدي اللباس الخاص بالراهبات

الطاهرات...
وبلاغة الكاتب تكون على قدر بلاغة وجعه... ولأن أوجاعي كانت كثيرة، شرعت كل ليلة في نسج خيوط حكايات قصيرة لا لأسلي شهريار، بل لأرتق تمزقات كياني الداخلي وتراكمات ألف عام وعام... أنشأت حسابا افتراضيا على موقع فيسبوك، كنت أنشر من خلاله ما يفيض به حبر أحاسيسي ووجدي... أتلقى يوميا عشرات التعليقات كلها تذهب في اتجاه المدح أحياناً، وأحايين أخرى في اتجاه النصح والتوجيه لتفادي الوقوع في بعض الأخطاء الإملائية والنحوية... في كلمة أو كلمتين كان الجميع يبدي رأيه وفي حدود سبعين كلمة كان هو يبدي نصحه وتوجيهه... كان يبدو ضليعا في لغة الأوجاع، لأجل هذا كان الوحيد الذي استطاع قراءة ما بين سطوري قراءة عميقة بعيدة عن القراءات السطحية... محمد أمين راغب هكذا كان اسم صفحته على الفايسبوك... كان شابا في غاية الوسامة والجمال، له عينان سوداوتان جميلتان، أهدابهما كثيفة مثلها شعره وحواجبه، لحيته كثة سوداء، وطوله متوسط إلى طويل... أثار انتباهي احترامه ولغته الجميلة وهدوؤه، فشرعت كل ليلة في تصفح صفحته الخاصة على الفايسبوك، كانت منشوراته قوية وجميلة... في صوره يتقيد بابتسامة واهية تزيده رونقا وبهاء... يظهر بشكل واضح عدم تصنعه لمشاعر أو وضعيات أثناء التقاط المصور لصوره، واقعيته هي ما أسرتني في شخصيته... كنت أتفاعل معه بوضع إشارات الإعجاب على صوره والنصوص التي لم أكن أفهم منها الكثير... كانت كتاباته بعيدة عن المشاعر وما أبرع أنا في وصفه، كان هو عكسي تماما، يحتكم إلى العقل، يحلل، يستدل، ينتقذ ويناقش مواضيع سياسية واجتماعية كثيرة... وكنت أنا أكتب بلغة المشاعر، لذلك اخترت أكثر نصوصه وضوحا بالنسبة لي وأخذت أكتب تحتها التعليقات بأبجدية تكلفت كثيرا لأجعلها رائعة ترضيه...
لم أكن متعودة على نشر صوري على الفيسبوك، يرجع هذا إلى ثقتي الكاملة بأن لا أحد سيضع لي من علامات الإعجاب الكثير، لذلك بقيت مختبئة محتمية خلف كلماتي عوض إشهار قبحي للعلن... مرت حوالي سبعة أشهر وأنا أراقبه من البعيد البعيد... أعلق على منشوراته ويرد بتعليق رصين جميل بكل موضوعية واحترام... كانت تمر أيام دون أن يعلق على منشوراتي أو يتفاعل فكنت أستشف من هذا غيابه عن العالم الأزرق... قررت ذات يوم أن أنشر صورتي عبر تقنية الصطوري كي أرى رده عنها كيف سيكون... بات رأيه هو بالذات يهمني، ليس رأي الآخرين... تقنية الصطوري ستمكنني من رؤية رده هو فقط أما رأي البقية فسيكون ثانويا غير معلن... في تلك الأثناء تسللت إلى غرفة والدتي، حملت ما يمكن أن أستعين به من مساحيق تجميل، وخرجت بسرعة كي لا أثير حولي الشبهات... فما تعودت من قبل على استعمال مثل هذه المواد لإيماني الدائم بأن إنسانيتي هي منبع جمالي... لكن رؤية الجمال الظاهري

والباطني لشخصي المفضل زعزعت توجهي هذا... لم أجرؤ يوما على إرسال رسالة له، لأني لم أكن أملك من الكلم والمواضيع ما يمكن أن أحاكيه فيه... ارتأيت أن أبين له أول الأمر عن شكلي حتى يطمئن لي، بعدها أفكر في موضوع أناقشه معه... أمام المرآة جلست أتهيأ لالتقاط أجمل الصور بعد أن حاولت إخفاء عيوب وجهي بمساحيق ومستحضرات تجميل أمي... خجلت من نفسي بعد أن صرت أقرب ما يكون إلى الدمى... في الواقع لم أكن أنا من تبرجت، كانت أوجاعي وآلامي هي من تبرج أمام المرآة لتبدو في أحسن هيئة... لقد قدمت نفسي كقربان للقدر لأرضيه عله يجود بفرحة حب ينسيني ألم تمقيت الناس لي... كانت الهالات السوداء تحت عيناي بارزة متحدية كريم إخفاء العيوب لتشهر اكتئابي وأرق ليالي... تمنيت أن أعجبه رغم عيوبي، لتدون قصة حبنافي كتاب تاريخ قصص الغرام العالمية مثل: قصة فيروز وعاصي الرحباني، وفاتن حمامة وعمر الشريف، ومحمود درويش ورنا قباني... اخترت توقيت الليل لأنشر الصورة عبرتقنية الصطوري، وبالفعل وضعتها ودقات قلبي تنبض بسرعة كبيرة ويداي ترتجفان... ترى كيف سيراني؟! مضت الثواني بعدها الدقائق بعدها الساعات وأنا أنتظر...كان متصلا لكنه لم يعر اهتماما لصورتي المنشورة، كان واضحاً أنه لا يبادلني الإعجاب... فأن يعلق شخص ما على نصوص تنشرها لا يعني بالضرورة أنه معجب بك... يا لحماقتي وقصور فكري... كيف استكنت للخيال ليفعل بي ما يشاء؟! مرت الليلة ثقيلة وأنا أنتظر رؤيته لصورتي، لكنه لم يفعل، فآثرت الانزواء في ركني والنوم، فقد يجود الصباح بهدية على شكل تعليق جميل منه على صورتي... نمت نوما غير مريح في انتظار تسلل أشعة الشمس لغرفتي عبر ثقوب النافذة... إلى أن فعلت أخيراً، فنهضت مسرعة أفتح التطبيق وكانت المفاجأة أن رآها بالفعل لكن دونما تعليق أو ردة فعل... هكذا أشرقت شمس أول خيبة صباحية... تألمت لهذا و توقعته، فإعراضه عن رؤية الصورة أول وضعها جعلني أتوقع هكذا رد منه... لا يمكنني أن أنكر أنه أجمل مني، وما تعارف عليه الناس في قريتي أن المرأة يجب أن تكون أجمل من زوجها، حتى يخضع لها، وبالتالي لن يشجعه جمالها على خيانتها، في قصتي كانت الخيانة مشروعة منذ البداية....

أبي أحكم تربيتي وأغدق علي من حبه بالكثير كي لا أتسول مستقبلا حب الشباب... ولكنه وبالرغم من مراقبته كان يثق في احترامي لذاتي ولما علمني إياه في صباي... كان يخال أن لصوص القلوب يحيطون بالفتيات فقط في الواقع، وأغفل أن هؤلاء يوجدون أيضا خلف الشاشات التي تضاء كل ليل لتسلب البنات عقولهن بالكلام المعسول الزائف... في حالتي كنت أنا من تتصيد شابا لا هو، وبعدما أعياني الانتظار قررت أن أنال شرف البدء... بعثت له رسالة فكان الأخذ والرد في الكلام كالآتي:

-مرحبا.

-مرحبا.

-كيف حالك أتمناك بخير.
-في أطيب الأحوال... أشكرك، وأنت؟
-أيضا بخير.
-من أي مدينة أنت؟
-من مدينة يافا.
-أين تقع بالضبط؟
-معروفة لا يعقل عدم سماعك بها!
-لم أسمع بها من قبل.
- لحظة ما هي جنسيتك؟
-لبنانية أنتمي لإحدى قرى بيروت.
-جيد... يافا مدينة فلسطينية فيها ولدت.
هنا انقطع حبل كلامي، كنت أظنه لبنانيا فإذا بي أتفاجأ أنه خارج حدود بلدي وخارج حدود خيالي... لماذا يا رب لم أقع صريعة إلا في حب من تفصل بيني وبينه البحار والمحيطات والقيم والتقاليد وربما... ربما حتى الدين... لماذا؟؟
لا يمكن أن أنسى حجم بكائي ليلتها... أجبت على رسالته بكلمات الترحيب وأخبرت بأن اسمي هو مرام وأنني مسيحية الديانة، تأسفت في قرارة نفسي لحقيقة أن لا شيء سيجمعنا في المستقبل، لاشيء... حتى الحب نفسه يقف ضعيفا عند الاختلافات الكبرى التي لا يمكن غض الطرف عنها كالدين...
في الصباح توجهت إلى الكنيسة... صليت أمام تمثال العذراء وفضفضت لها بمكنون ذاتي... التقيت وأنا أهم بالمغادرة بكارمن، حكيت لها هي الأخرى ما يجري في مملكة أحاسيسي... نصحتني بأن أبتعد عن هكذا علاقات، إن كنت لا أزال متشبثة بحلمي في أن أصبح راهبة... أكدت لي كثيرا على مسألة الاختلاف الديني بيني وبينه، وقالت أن المسلمون في الغالب عنيفون جدا في تصرفاتهم، حتى في أفكارهم وتوجهاتهم... كنت أثق في نصح كارمن، لذلك قررت الابتعاد، فقط عندما كنت في الكنيسة، أما وأنا أمام شاشة حاسوبي فالسلطة تكون لقلبي... أرسلت له رسالة وقررت الاستمرار في خوض التجربة، حتى وأنا متيقنة من أنه لا سبيل لنجاحها في كل الأحوال... امتطيت صهوة فرس خيالي وسافرت بعيدا في عالم الحب... أبحرت في فضاء الأحلام، ومررت بصحاري الجفاء والقطيعة، وزرت بساتين وجنان المودة والوصال، سنة كاملة، دون أن أحدثه يوماً عن دينه، ودون أن يحدثني أيضاً... كانت أغلب أحاديثنا عن قضايا مجتمعية بحتة... كان يصف لي ما يتعرض له الفلسطينيون كل يوم من اضطهاد من طرف الصهاينة، وعن آلام السجن والمنافي والقتل... كان يتحدث بإسهاب ومرارة... كان حديثه لي عن قضية عمره يكفيني في كل الأحوال... استفسرت يوماً عن الإسلام والمسلمين، وخلت أنه سيقوم بدفعي لاعتناق ما يعتنقه من معتقدات، قال لي: ماذا تريدين أن تعرفي بالضبط؟
قلت: كل شيء عن دينك، فنصحني بتحميل كتاب المسلمين المقدس القرآن، وسيرة نبيهم محمد، وقراءة كتاب لمصطفى محمود اسمه حوار مع صديقي الملحد، أخبرته أنني سأفعل، فأجاب باقتضاب بإن شاء الله'... وكانت تلك هي النقطة التي ولدت في ذهني أحلاما جمة... يبدو أنه لا يعترض على ديني... إن مسألة حبنا ممكنة قد أسافر إليه يوماً أو

يسافر لي هو فنتزوج ونسعد بالرغم من أنف العادات والتقاليد والدين... وتجري الرياح بما لا يشتهيه قدري... فقد عرفت بعد عام ونصف من الأحاديث اليومية بيني وبينه أنه منضم لإحدى فرق الجهاد الفلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلي... بكيت خوفا من أن يخطفه الموت من عالمي... صارحت كارمن بما يجري، فقالت أنه يجب أن أحذر من مثل هؤلاء، قد يكون ممن يستدرجون الناس للنصب عليهم بعد ضمان شفقتهم وتعاطفهم مع القضية الفلسطينية...قالت أنه سيطلب الدعم المالي مني فيما بعد، لكني بقيت مصرة على موقفي فما عرفته عنه من خصال لا يمكن أن تزعزعه كارمن بتخاريفها... قرأت بعضاً من القرآن والسيرة لأفهم طبيعة ما يعتنقه من أفكار، فكان عسيرا أن أفهم لغة القرآن كونها فصيحة وبليغة جداً ومستواي اللغوي لا يفقه إلا لغة الأوجاع... السيرة النبوية فهمت فيها بعض الأشياء، واستشفيت مما فهمت أن رسولهم محمد رسول عظيم بحق... أما كتاب حوار مع صديقي الملحد للمصري مصطفى محمود فكان واضحاً أكثر، واكتشفت فيه أن الإسلام دين المنطق والحجة... وبهذا توطد حبي أكثر للنبي محمد وللإسلام، لدرجة أنني صرت مستعدة لأن أزاوج في نفسي بين اعتناق الديانتين المسيحية والإسلامية، فلا فرق بينهما ما داما تدعوان كلتاهما إلى الرحمة وتبني الخصال الحميدة...

أرسلت له رسائل كثيرة أخبره فيها عن إعجابي بدينه عله يعجب بي أيضا... لكنه غاب واختفى عن العالم الأزرق شهورا ظننت أنه لن يعود بعدها... فعاد بعد سهادي وألمي ليخبرني أن الأوضاع في بلده تزداد سوءا، وأنه يجاهد بشكل يومي، وقال أنه سيكون أسعد إنسان إن هو مات شهيدا...

ليتك ماعدت... ليتني مت قبل أن أعلم أنك تفضل الموت عن الحياة والحب... صدقت كارمن، المسلمون أشداء عنيفون خاصة في الدفاع عن أعراضهم وتراب أوطانهم... انتحبت كثيرا بعد أن ذقت من علقم الحب أشده مرارة، نحلت وشحب جسدي، في سبيل حب حكم عليه بالإعدام حتى قبل ولادته... بقيت أنتظر كل ليلة رسالة منه وأنا ألعن وأندب حظي المشؤوم... اختفى مجددا طويلا، كنت أظن أنه سيعود مثلما كان يفعل، لكنه غادرني للأبد...!

تأكدت شكوكي بعد أن نشر ذات يوم من لدن أحد أفراد أسرته الآتي: "محمد في ذمة الله..عاش عزيزا ومات شهيدا... اللهم إنا نسألك الشهادة وحسن الخاتمة... دعواتكم معشر الأصدقاء والصديقات"... هكذا ببرود أعلن عن نبأ وفاته، وببرود كان الجميع يعزي، فالاستشهاد في الحرب عند المسلمين أمر مستحب... لحظتها كان قلبي هو من استشهد، تصدع صدري، وشممت رائحة كبدي وهو يحترق... احتضرت أحلامي وسعادتي، وذبلت زهرة شبابي باكرا في سبيل حب عرفت نهايته الآسنة من قبل لكني آثرت خوض تجارب الصبابة وكأني في غنى عن الأحزان والمآسي... وها أنا اليوم أقلب صفحات وجعي واحدة تلو الأخرى، وأعدد خيباتي، وأجابه تمرد ذاكرتي التي تأبى النسيان... وقد بلغ مني السقم ما بلغ... فيا رب محمد حبيبي ومحمد رسول حبيبي ورسولي أعني على السنون المتبقية من عمري، واغفر لي كفري بقيم طفولتي إنك أنت الرحمان الرحيم...!

حكاية بابا غول

(خبّئيني عن كلّ عين)

كمال الإدريسي
المغرب

تُخبرنا الجدّة أنّ بابا غُول، كائنٌ حقيقيّ، تولّدَ من الضّباب والسّديم والضّوء. أحيانا يكونُ شفّافا، وأخرى يكون حالكا. نصفُه العلوي إنسان، ونصفُه التّحتي حيوان. وجهُه شاحب، عيناه غائرتان، وليس له فم..!

صاحت حفيدتها الصّغيرة مرعوبة:

- وكيف يفترسُ ضحاياه؟

سكتت الجدّة. ظلّت تحدّقُ في النّار ولا تصدر عنها أي حركة.

شعرتُ أن الصّغيرة تحتمي بي من شيء ما. همستْ لي:

- أنا أكره الليل! وأكره أن تتعمّد الجدّة إخافتنا!

قالت الجدّة وعيناها لا تريان إلا النّار:

- كان يكتفي بالنّظر. سلاحه نظره. ينفد إلى جوفِ الضّحية، فتتوقّف عن الحركة وتستسلم له، ثمّ يقتادها إلى غاره.

ورفعتْ رأسها، تنهّدت، وأشارت إلى الغابة المترامية الأطراف:

- غاره في مكان ما من الغابة، وسط أجَمَة، من يجده يكشف سرّه.

سألت الصّغيرة وكانت تلتصقُ أكثر بي:

- كيف يصيدُ ضحاياه؟

حرّكت الجدّة بؤبؤيها وصوّبتهما مباشرة في عيني حفيدتها:

- يَكْمُنُ في الغابة، فإذا ظهرت ضحية لا ينقضّ عليها، يتريّث إلى حين تغفل أو تتوه!

- ومن ثمّ؟ (قلتُ متحفّزا!)

- ومن ثمّ لا شيء!

- قالت إنّه لا يفترسُ ضحاياه! (قالت الطّفلة بقليل من الارتياح)

أمسكتِ الجدّة قصبة وحرّكت جمرات النّار ونفخت عليها، ظهر لسان أحمر يستجيبُ للنّفخ:

- هكذا يمكننا اصطياده قبل أن يصطادنا.. نحرقُ الغابة!

- حقّا؟! (قلتُ ساخرا، ثمّ تابعتُ) بابا غول أذكى من أن تنطلي عليه حيلة كهذه!

- وماذا ترى؟ (سألت الجدّة، وَ وَافقتها حفيدتها ذلك بإيماءة من رأسها)

- الحلّ عندك، بيدك إنقاذها!

- صحيحٌ هذا يا جدّتي؟ أتعرفين الوسيلة لإنقاذ أختي؟

تجاهلتِ الجدّة سُؤال الطفلة، وكشّرت عن أسنان اسْودّت وتآكلت، وحدّقت فيّ، لنظرتها أشواكٌ انغرزتْ في رأسي. لمْ أستطعْ مقاومتها فتحولتُ بنظري إلى الفتاة الصّغيرة التي صارت تغطُّ في نوم عميق، بإيعاز من جدّتها، فلقد غَمْغَمت بكلمات مُلتوية جعلتِ الطّفلة تنام. وقالت، وقدْ بَدَا حجمها أكبر، ساعد في ذلك ضوءُ النّار الرّقّاص:

- عيناك..! كان يجبُ أن أعرف..! منذُ حللتَ ضيفا علينا، كنتَ تتحاشى النّظر

في وجهي، فلا تكلمني إلا مُطرقا، أو ناظرا إلى السّماء، كيفَ لم أكتشف أمرك؟ كيف لأرصادي ألا تلتقطك؟!

في عصر أحد الأيام، قلّ الحطبُ في الخيمة، فسعتْ إلى جلب بعضه من الغابة، وهي تحملُ ساطورا وتتزوّدُ بالماء. قالت لي وكأنّها تُجيبُ على سؤال خطر على بالي وسَمِعَتْهُ:

- بابا غول محظُ خرافة!

ثمّ دنتْ من وجهي حتّى تذكّيْتُ برائحةِ بخورها. (هذه الرائحةُ المزيجُ من النّد والخزامى والقطران، كما سأكتشفها لاحقا...)

- لن أتأخّر، وإن عادت الجدّة لا تُخبرها شيئا. أو أخبرها أنها ذهبت لتقابل الغول!

ثم وهي تُقهقه وتخرج، لمست يدي، فَوَهنت فجأة، وأحْجَمت عن صَخبها، وَسَهَتْ فيما يُشبه الحلم، وهي كذلك، قالت:

- ماذا تسرّبَ منكَ إليّ؟ خليطٌ من مشاعر جيّاشة تمازجت في خلدي!!

ظلت لبرهة مشدوهة بنظرها إلى لا مكان، تُناجي رؤى وظلالا. وبغتة، انطلقتْ صوبَ الغابة تحثّ الخطوَ مندفعة، عَجْلى، تشقّ الطّريق. ناديت:

- يا هايْنَة عودي قبل مغيب الشّمس. (وفي نيّتي أُضْمِرُ ألا تعود)

لم تلتفتْ ورفعتْ يدها التي تحملُ السّاطور في إشارةٍ إلى التّحدي. سمعتُ ما وصلني من كلامها:

- دهنتهُ بالقطران! علاوة أنّه حادّ بوسعهِ قطعُ رأسهِ..! (ضحكتُ في سري، القطران ياما أدمنتُ شمّه)

شيّعتها وقلبي يهفو للقائها بعد الغروب، وأنا أفكر في الصدّمة التي ستغلفُ قلبَ الجدّة.

لم تخبرنا الجدّة أنّ بابا غول في استطاعته الطّيران، وأنه يسكن قُبّة في مكانٍ مخفي من الغابة، وعاطفته تغلبُ على وحشيته، ولا يؤثّر فيه القطران، وإنّما يُضيفه إلى كومةِ أعشاب يختارها ويدخّنه، ينفثُ الدّخان من غليونهِ ويسخرُ من الجدّة.

لم تُخبرنا أنّها كلفتْ به، نالها منه غموضه، واختلافه، وطبعه وغرابته.

أوقدتْ شموعاً في ضريح القريةِ وتضرّعتْ أن تراه مرة أخرى، وتطفئ ما التهبَ فيها. كانت المرة الأولى التي لاقته كفيلة أن توهّج قلبها ضَريم الهَوى.

وقابلته من جديد، وفي هذا نصبتْ لهُ وأوقعته، فخّخت كلّ مداخلِ الغابة، علّقت تَمَائِمها على الأشجار وبين الحشائش.

وفي بُكرة يوم مّا، برزت في ثوب أسودَ فضفاض عند النّهر. كانت تصرخُ وتنظر إلى الجاثم عند أعتابها بلا حراك، كانتْ خائفة أنّ طلاسمها آذته. رَنا إليها مُجاهدا ضعفه:

- أمسكي عن الصّراخ وخبّئيني عن كل عين!

حملته، لفّت عليه ثوبها وحملته كما تحملُ محطوبَ التّبن، وقصدتْ مخدعها. انتظرت حتى قلّت الحركة ودخلت تختلسُ المشي، وضعته على الأرض، فرّشت حصيرا، ثم سوّت وضعه.

أشعلتْ شمعة وتفرّست على ضوئها تقاسيمَ وجهه: ملامحٌ تُرابية، شعر بنيّ خفيف يكسو دقنه، حاجباه كثان، شعر رأسه ينبت انطلاقا من جبينه، مرّرت

الضّوء تتكشّف هيأته، له قدٌّ رفيع، فارعُ الطّول، يرتدي شبه سروالٍ معمولٍ من الليفِ يصل حدّ ركبتيه، ورجلاه اللتان تُشبهان رجلي جمل، تعطي لوقفته إذا اعتدلَ ركيزة واتّزانا. ولكن، أنّى له أن يقوم فيركز؟!

عضّت شفتها ندما على ما قَرفتْ في حقّه، ولعلّها تتذكّر وقتَ انهياره، لما أبصرها طريحة تَتَلوى ألما مُصطنعا وتئنّ أنينَ الثّكلى. نزلَ من عَلْيَائِهِ هارعا لنجدتها إلا أنّها باغتَتْهُ ورمتْ عليه سِحرها. اعتلّ واختلّ من آنهِ وأسلمَ للأرضِ خبطة دَوت لها جنباتُ الغابة.

وها هي الآن تبحثُ في أمر شفائه، وتتخبَّرُ مُداواته. خلّطتْ سوائلَ في قارورة، أعدّت طبخة أعْشاب، أحرقتْ لفائف ونفثت في عُقَدٍ. حركتهُ فأفاق. أوّل ما فاقَ فيه حلقه، خرجَ عن صرخة عظيمة وطار وحدّه سقفُ الحجرة:

- فعلتها يا ساحرة..؟!

مدّت يدها ضارعة إليه:

- ندمت، خشيت أن تموت. أحبّك!

- إذا نأيْتُ عن الغابة فإنها تذبل!

- لماذا لا ترغبُ بي؟!

- حرّريني (قال ذلك لما انتبه إلى أغلال من الرّصاص في رجليه)

- مهما تقوّيت تبقى ضعيفا أمامي..!

- الغابةُ من دوني تموت.. أنا روحُ الغابة.. أطلقي رجليّ!

- ألا تراني جميلة (وهي تدنو)

تجاسرَ. فتحَ جناحيه على طولهما. تضاخمَ وازدادَ حجمه. أرسلَ عاصفة من أوّلِ خَفْقةِ جناح فَأَكْفَأَهَا مع أشيائها وقلبها عليها. كسّر الأغلال وانْطلق لا يحوله شيء..

صرخت، نفذتْ عيناها إذّاك:

- سأحرق الغابة فوق رأسك!

وكانَ وَعيدُها مَنْسِيا، فهمتْ أنّ ليس لقوته حدود، فقد كاد يُبيدها، غير أنّه لم يرغبْ. ثمّ أنها في وقت مّا نذرتْ على نفسها أن تتعقّبه بالعار وتحطّ من سمعته وتشينها بالخزي. لكنها سِراعا ما خفتت ذؤابتها وكفّتْ عن إلحاقِ الأذى به وتلطيخ صيته. بخاصة أنّ ابنتها هَايْنَة مفقودة، مَضى على غيابها سبعة أيام، وقد حسمت ظنّها أن بابا غول يحبسها عنده كنوع من الانتقام..!

كانت هاينة كلّما جمعت كميّة من الحطب في حمّالها، انفكّ رباطه، وأُفْلتَ جَمْعها، وذهنها يستعيدُ تحذير الفتى: "عودي قبل المغيب" كانت تُبقي على بعضٍ من عزيمة، وشيء من جرأة، حتى داهمها الليلُ فجفلت واستشعرت النّدامة.

الليلُ في الغابة دامسٌ يُرخي سدوله فورَ غروب الشّمس، فلا يبطئ أو يتأنّى. بحثت في جدائلها وأخرجت سبعة عيدان كبريت، حكّتْ واحدا فأحدثَتْ بهِ شرَرا فَنَاراً ثمّ خَبَا. أُهدرَ عبثا أو كأنّ هناك من عملَ على إطفائه، فلا ريح تهبّ لتكون السّبب! بُهتتْ للأمر، وتضاربَ نبضها. قَرَعت الثّاني وحدث نفسُ الشيء.. وقبلَ أن تُولّعَ الثّالث، فطنت إلى شيء بعثَ على هلعها، لكنّها كابرت وهي ترفعُ عينيها ليسَ ببعيدٍ عن رُكام الحطب أمامها، وقالت تُخرسُ جرسَ خوفها الذي يُقرعُ في أذنيها:

- أنت هو.. تتفرّجُ على قلّةِ حيلتي!؟

- خائفة؟
- خائفة أن تقلق جدّتي علي، ولستُ خائفة منك!
- شجاعة؟
- لم تر شيئا من شجاعتي!
ابتسم ودنا منها، كانت تُقاوم رغبتها في الصّراخ، وفكّرت أن تغضّ بطرفها عنه، لكنّها عاندت لظنّها أنها قد تضعفُ أو تجبن أمامه، ونظرتْ في عينيه، وحاطها شعور بالخدر، وسُحرت به وأعجبت، وحاقَ بها ما كانتْ به تنكر:
- لستَ كما سمعتُ عنك من جدّتي، ولستَ كما تخيّلت..!
- هايْنَة، تقبلين أن تحلّي ضيفتي..؟
- أقبل!
مدّ يده، تلقّفتها، تماسّا، كلاهما فتن بالآخر. هو أيضا لم يقدرْ أن يرفعَ بصره عنها، حملها بينَ يديه، تضوّع منها عبق النّدّ والخزامى والقطران.
كان سكرانا عندما سمعها تقولُ بافتتان:
- الآن علمتُ الذي تسرّبَ منك إلي، أيّها الفتى الغول؟!
ثم تشبثت به، وطار.
كانتْ قد بدأتْ خُيوط الفجر تلوحُ في الأفق، وما انفكّت الجدّة تتعهّد النّار بالحطب لتبقيها لاهبة وسَعيرة. قالت:
- أبقي قلبها دافئا...!
نظرتْ إلى ما ورائي، وزفرتْ نفسا مصحوبا بأنّات موجعة:
- سامحني بابا غول، يا روحَ الغابة، لم أعرف كيف أحبّك! لكنّ هايْنة...!
هنا سكتتْ، وظهر دمع يترقرقُ في مقلتيها، تألّقَ أكثر عندما أشمسَ النّهار:
- سيكونُ لِزاما عليّ أن أحرّفَ الحكاية...!

حملتْ حفيدتها الصّغيرة، وتعكّزتْ بجذع شجرة ناتئ حتى اعتدلتْ. وارتني ظهرها، ودخلت البرّاكة.
تُخبرنا الجدّة أنّ وشما بركبتها يومضُ كلّما خاضتْ في سيرة هاينة والغول. يتّضحُ بلونِ الدّم، ويؤلمها كجرح طري، كأوّل لقاء في الغابة، كعلّةٍ لا تبرأ، كخاطر لا يهنأ، كأغاني الرّعاة والحَطّابة، كالقلب المتبول.
يؤلمها كبَابَا غول.

شيئا من سعاد

منيب مختار إسحق
السودان

كانت لا تشِيحُ نظرها عني، تتفحص وجهي و تتفرسهُ، كم من مرة شعرتُ بأنها لا تدقق سوى في أذنيَّ الكبيرتين وتتحسس خجلي البائن، تتحدث ببطء كما لو أنها تمضغ الكلام وتوشك أن تبتلعه ثم في لحظة ما تقرر تحريره من قبضة قدّها الصغير.

"هل عرفتني؟"، قالت وهي تخلع نظارتها الشمسية وتضعها على الطاولة.

نظرتُ إليها مليًا، عقدتُ حاجبي، استثرتُ ذاكرتي، لكن عبثًا أحاول استردادها من رأسي الأشيب؛ كما أنه ليس هناك أسوء من أن تُنَقِب في ذاكرتك المهترئة بحثًا عن امرأةٍ لا تُنسى، ستعثر على أشياء كثيرة يفترض دفنها بعيدًا عن متناولك، الأمر أشبه بأن تجد طاقية البرد الرديئة أثناء بحثك الصيفيّ عن ريموت التكيّف. أعادت خصلاتها السائبة إلى الخلف وكأنها تفسح المدى لعيني البريئة من أجل أن أتلمس ملامحها المألوفة أو هكذا أظن.

"لا واللّه، لم أعرفكِ"، قلتها بحسرة.

كُنت أرغب بشّدة في عدم قولها، أن أكتفي بقول أشياء غير نهائية، فكيف لامرأةٍ تثق في رؤيتي لها أن أُخيب أملها وأجيب بهذه الصرامة. وضعت كفيّها على الطاولة، ضغطت عليهما برفق، وقالت:

ـ هل تذكر شخصًا ما، تعهد بأنه سيكون في انتظارك؟

طلبتُ من النادل الذي انتصب أمامي كوب قهوة من دون سُكر وأخرى بسُكر خفيف، هي في الحقيقة قهوتها، وعدت بكامل هشاشتي أتطلع في وجهها الدائري وعينيها المُغرِورقتَان، أرى فيهما شيئًا من "سعاد"، ربما طيفها، ألعن تلك المسافة التي بيننا والمساحة التي تشغلها أنانية الطاولة، تفقد النادل طاولتي ونظر إليّ طويلًا فاغرًا فمه، ثم رحل وهو يهزّ رأسه تعجبًا. أشياء كثيرة كنت أظن أنها في انتظاري لكن لم أتوقع أن تكون من بينها سعاد. لم أحرز ولو للحظة أن يأتي العدم إليّ عِوض الذهاب إليه، أعادت بخِفة نظارتها السوداء إلى عينيها الدافِئتين المُنبعِثتين من رماد الأيام القديمة، وكأنها تصنع حاجزًا يخفف عنها ثقل الخيبة.

"هل تريد شيئًا آخر يا سيدي؟"

قالها النادِل، وهو يضع كوبيّ القهوة بجانبي، وكأنه لا يراها، كيف والمقهى مكتظ بها، كيف يتجاهل هذا الحضور المفرط لامرأةٍ نبتت في كرسيّ يخصه. أخذتُ القهوة برِقة وبأنامِل مُرتعشة إلى جانبها، جانبها الذي هو جانبي أيضًا في ماضٍ سحيق، كنت أبتسم ببلاهة كطفلٍ صغير نمى عصفورًا في كفه، وأدسُّ

خجلي خلف دخان المَارلِبُورو، أنّى يخلق الدخان ما يحول بيننا.
كُنا نتحدث عن أشياء كثيرة، عن طفلنا الذي كبُر وصار رجلًا، غرفتنا الطينية التي حوّلها "عبدالرحمن" إلى قفص لتربية العصافير الصغيرة، عزاء شقيقتي، كنت أستحي من "سعاد" وأنا أحكي عن كل ما لا يهمها، هي تريدني أن أذهب إليها، تريد أن أتحدث عنّي، عنّي الذي تدرك أنه معها منذ أول خطوة نحو العدم. كيف وحسم هذه المسافة ليس بيدي.
"يمكنني أن آخذ الكوب الآخر"، قالها النادِل في وجهي وهم بأخذ الكوب
"هذا يخص سعاد"، قلت وأنا أمسك بمعصمهِ.
وحين عدت إلى وعيّ أدركتُ أن الكرسي الذي يقبعُ أمامي فارغ، منزوع اليدين يجلس على فداحةِ المكان، شعرتُ أنه يمُدّ لسانهُ ساخرًا، أعرف هذه اللغةِ البذيئةِ كما أعرف "سعاد"، لغة الجسد التي تخص أمكنة أتيتُ منها، ربما لا يعرف النادِل أنني المُنتظر، أنا الذي يتحتم عليه أن يذهب، لكن يا ترى أيّ أبواب العدم يقود إلى "سعاد".
كان آذان العصر يخترق جسد المدى حين عدت إلى البيت وأبناء الحي يحملون أحذيتهم الرياضية متجهين نحو ميدان الحرية، ذلك الذي نقصدهُ كلما رغِبنا في ممارسة الاحتجاج على أجسادنا أو تكذيب الأنبياء أو نزع حق مشروع، دخلت دون أن أصدر ضجيجًا أو أسأل ابني "بلقاسم" عن أخبار العمل أو قضية خلع جارتنا "إحسان" من زوجها "حسب الدائم"، ولم أخض في مزاح اعتِدتهُ مع زوجتي "فاتن"، كان صمتي ملحًا وحامضا، يَنِزلُ في حلقي فيتدحرجُ الدمع ساخنا، لامِعا.
أذهب بعيدًا إلى حيث لا يمكنها رؤيتي ويمكنني وحدي أن أرى في الأفق شيئًا من سعاد.
"هل التقيت صديقك يا أبي؟"، قال بلقاسم.
"نعم، لا" قلتها تباعًا، إثبات ونفي في آن واحد.
لقد كان سؤاله مباغتًا ونيئًا، لا علاقة له بحالة القلق التي أعيشها.
"صديقك رائف، ألم تجده في مكتبه" أضاف وهو ينظر نحوي متعجبًا.
نعم لقد التقينا، ثم لَمْلَمتُني لأخرج من هذا الموقف الصغير اللعين، كنت كمن يهرب من محاكمةٍ ما تُفضي إلى أنني مذنب. هي فلسفة الآباء في التخفي واكتِناز الألم، أن نتكوّر على أنفسنا ونُعِد الأقنعة التي تُظهِرنا أكثر بشاشة، لأنه وحين نترك للألم مُتسع للتسرّب سيُحول بيوتنا الجميلة إلى فوضى. ثم كيف أحدثهُ عن والدته، عن الوعود التي قطعناها، الليالي الحمراء، رأسها الذي تهشّم في حادث سيارة المفتش الزراعي الإنجليزي، هل سأقول له أن جده "سيد أحمد" أخذ التعويض وسافر إلى الحجاز، قبض ثمن الدم الذي زين حقول القطن وزار بيت الله الحرام، لن أفتح فمي أبدًا وأسلخ ابني حيًا، لو سأل "بلقاسم" عنها سأقول إنها تنتظرني.
وجه النادِل البريء وهو يأخذ كوب "سعاد" من أمامها يطاردني، ينظر نحوي مشفقًا، فيما بعد أيقنتُ أنه لا يدرك شيئًا عن ذلك التمدد العجيب لامرأةٍ

أخذت تنمو في حيز المقهى من أجل عهدٍ قطعته يومًا ما لرجل ما فقد عقله للتو وبات يمتهِن الترقُب. أتذكر جيدًا كيف عم الضحك وأخذ الناس ينظرون إليّ، يسخرون من كهلٍ أكل دهرهُ ودهورًا أخرى لا تخصهُ.

لم يطرق "حسب الدائم" الباب، بل أوشك أن يقتلعهُ، كان الأمر أشبه باقتحامٍ شُرطِيّ لمنزل دعارة أنيق ومُهذب، وقف أمامي تتطاير من عينيه الشرر.

" تفضل، اجلس يا أبا الجار"

قلتها وأنا أتفحصُ ذراعيهِ، ربما يتأبط مدية أو خنجرا يريد بهما سوءًا. أعرف جيدًا كيف يفكر "حسب الدائم" إذ أن عقله في قدمه اليسرى.

"جئت لأُحذِر "بلقاسم"، لا يمكنه الدفاع عن زوجتي في المحكمة وخلعِها منيّ، أنا زوجها ولن أطلقها" كان يصيحُ ويتوعد ويسب.

لبُرهةٍ شعرت أنه من المُخزي نزع امرأةً من زوجها، كيف يسمح "بلقاسم" لنفسه أن يجلب كل هذا العار، وضعت نفسي مكانه، لكنني لن أصبح مثل "حسب الدائم" ولن تصير "إحسان" التي أعرفها، "سعادا" أبدًا. كلنا نعرف أنها مرأة ماجنة وخبيثة ونعرف أيضًا أن "حسب الدائم" أكثر خبثا منها، ما ولج بيتا إلا وله فيه مأرب أنثوي، تسوقه الشهوة والمال، يعتليهُن ويأخذ ودائعهُن ويُقلبهُن على أزواجهِن.

"هو محامٍ ويعرف ما يفعله" قلتُ ببساطة، وأخبرتهُ عن الطريق الذي يقود إلى الخارج.

"إذن سأفعل ما يحلو لي" ثم أغلق الباب بعنف أثناء خروجه...

لم تجد "فاتن" مدخلًا لبدء حديثها معي، جلست وأخذت تصب شايًا لم أطلبه، كانت تتحدث دون أن تحدد ماذا تريد؛ قالت أن جمعية نساء الحي نصّبت "سمية شاكوش" رئيسةً لها، وأن صيوان الجمعية ينقصهُ عمودين وستار، و"سِت الجيل" لم تلد طفلها في سنار كما زعمت، كنت أضحك بشدّة، لأيام عديدة لم أكحُ جراء الضحك، كيف "لفاتن" أن تتحدث عن ثلاثة مواضيع في ثانيتين، مواضيع لا تخصني ولا أخصُها، لكنني أستمع على أية حال، أعرف أن "فاتن" تحتاج لقول التفاهات أحيانًا كأية امرأة.

" وحشتنا ضحكتك يا حاج"، قالت، وهي تُقرّب كوب الشاي.

كُنت أعرف أن "سِت الجيل" لم تذهب إلى سنار قط وإلا كيف تبرر عدم معرفتها "لمَايِرنُو"، كل ما في الأمر أن هناك متسع بداخلي روضتهُ "سعاد" مسبقًا لتقبُل ثرثرتها، والآن تستغِلهُ فاتن لمصلحتها.

"فاتن" تُحب النميمة وأنا أحب "سعاد"، أجد في حديثها الفائض شيئًا أفتقدهُ، خِفتُها وصوتها، وفي "بلقاسم" أناقتها وسُمرتها، وفي لا وعيّ أرى فيهما شيئًا من "سعاد".

على عتبة الكهولة

سفيان العلالي
المغرب

عاش رشيد عمرا يناهز الستين سنة؛ تأرجحت حياته بين فرح وحزن، بين مسرّة ومضرّة، شأنه شأن أصدقائه وإخوانه من بني جلدته.

لم يسبق لرشيد أن ذاقت شفتاه طعم السجارة أوالنبيد ... بل ولم ينادم ولو لليلة واحدة مع من يتّخذون المنادمة عادة يومية، كان ملازما لصلاته في وقتها، وكان لا يترك زوجته وأبناءه إلا للحاجة الضرورية.

في منتصف الخمسينيات من القرن العشرين، غادر الرجل ذو الساق الأعوج مضطرا أرض وطنه، تاركا وراءه أسرة صغيرة مكونة من زوجة وثلاثة أبناء، وكانت زوجته طوال الأسبوع تبكي عويلا على رحيل زوجها، حتى قبل أن يغادر بكت بكاء شديدا، لكنّ الأبناء بقوا مشدوهين إلى وجنتي أمهم المحمرّتين، وينظرون في جو يخيّم عليه الصمت والسكوت. ويتفقّدون الحال وهم لا يدرون شيئا مما حصل أو مما سيحصل.

في الوقت الذي ظلّ فيه رشيد يعانق زوجته وأبناءه محاولا تهدئة نفوسهم والترويج عليها. لم يهدأ له بال ولم يذق طعم الراحة لمدة لا تقلّ عن الاثني والسبعين ساعة وهو غارق في التفكير، حارَ أمره ولم يستقر على هدنة ولا على تثبيت ...

آن الأوان أن يكون مكوث رشيد في منزله قد انتهى، جمع رشيد ملابسه المهترئة في حقيبته البالية، ووقف بباب المنزل الصغير الشبيه بالكوخ، ينظر تارة إلى صورة زوجته المسكينة التي بدا وأن لا حول لها ولا قوة غير الدعاء، وتارة إلى فلذات كبده، أبناءه الثلاثة الذين لم يتجاوز عمر الكبير منهم الحولين، ويحبس الدموع التي تكاد تنزل من على خديه اللذين يبدوان أنهما حزينان أشد الحزن على مغادرة الأسرة والوطن معا.

حانت اللحظة الفاصلة في حياة رشيد، فبعد أن قضى أربع وخمسين سنة في منطقة تسمى الصالحين، ها هو الآن يحمل متاعه ويغادر مكرها بحثا عن سبيل إلى الخروج من قوقعة الفقر الذي طالعه وعائلته لسنوات طوال عجاف. إن العيش في الحياة كأنه جهاد دائم، ما أصعب العيش على نغمات الفقر المدقع، وما أقسى الحياة في ظروف أمرّ وأصعب...

رفع رشيد يده معلنا انتهاء حياة قديمة رفقة أسرته وأناس يشبهونه، ومعانقة حياة جديدة بطعم جديد ومقادير وتوابل جديدة، ألقى التحية على زوجته و أبناءه وذهب، يمشي بخطوات متثاقلة وكأنها تقول إن نهايتك المؤجلة قد حان موعدها. وما فتئ يمشي غير أمتار قليلة

ثم يستدير ليرى جيدا ما الذي خلّفه وراءه غير تلك الزوجة وأولئك الأبناء.

ظلّ يمشي حتى اختفى عن أنظار السعدية، عادت إلى كوخها بعد أن تأكّدت أن رشيدا فعلا سيغادر أرض الوطن استجابة لنبض القلب الذي يحترق كل يوم على هؤلاء البررة. توضأت ثم صلّت ركعتين إيمانا منها أنهما ستقفان مع رشيد في رواحه ومجيئه.

وصل رشيد إلى مدينة الدار البيضاء تحسّبا لركوب السفينة التي كان من المفترض أن تنطلق على الساعة الثالثة عصرا، وتأخرت بفعل فاعل، لم يكن المنتظرون يعلمون شيئا عما يقع للسفينة والبحّار إثر تأخرهما، بقي الكلّ ينتظر بضع دقائق، ها هي السفينة تضرب دق الإعلان عن الحركة والتحرك، صعد الكل إلى السفينة إلاّ رجل مسنّ تجاوز الستينات من عمره، لم يقدر رغم إصراره أن يركب مع هؤلاء الشبان الذين يتمتعون ببنية جسمانية لا بأس بها، حاول مرارا وتكرارا قبل أن يفشل في كل محاولاته، فما إن يركب حتى تختنق رئتاه ضيقا، فينزل مرة أخرى، تكررت العملية مرات ثلاث وربّما أربع. لكن المسكين ظلّ يبكي على حلم ضاع وتبخّر.

اختفت السفينة عن الأنظار، وفي طريق الرجل وهوعائد إلى كهفه، سمع الناس على الرصيف وهم يتحدثون عن الهجرة، أسبابها ونتائجها، وسمعت أذناه أن أناسا غادروا هذا اليوم أرض الوطن معتمدين الدّيار الأوربية لا لشيء سوى حصد القليل من المال لسد ثغرات كبيرة خلّفها الفقر

...

في المساء وبعد أن اقتربت الشمس من غروبها، ذاع صيت أخبار جليلة مفادها أنّ سفينة من نوع **Atropicaw** أصابها الغرق في وسط البحر، على بعد خمسة عشر ألف كيلومترا عن مدينة إشبيلية، أو كما يحلو للبعض تسميتها المدينة الأندلسية، انتشر الخبر ونزل كالصاعقة على قلوب الساكنة، وانتشر الهلع والفزع في أنفس الناس قاطبة، لأنهم يعرفون أن الغرق إذا أصاب سفينة في منتصف البحر لا يبقي أحد على قيد الحياة، لهذا بقيت الأنفس معلّقة والقلوب مغلّقة، والكلّ يترقّب خبرا سارّا يطفئ جمرة ما جادت به الأخبار.

ولأن منزل رشيد كان بعيدا شيئا ما عن ضوضاء المنطقة، لم تعرف العائلة الخبر إلاّ بعد أن فاتت صلاة المغرب، حيث إن الشاهد الذي سمع الأخبار لم يجرؤ على أن يقصد بيت رشيد الغائب، احتراما لخصوصيات زوجته وأبنائه، وكانت الزوجة قد سمعت الأخبار في جهاز المذياع، بعد أن شغّلته، اتخذت وجنتاها حمرة الورد ممّا سمعته، فلقد كانت على علم أن زوجها خرج من البيت مغادرا الوطن قاصدا أوروبا بحثا عن لقمة عيش. الشي الذي جعل قلبها يضرب بسرعة وبقوة لا مثيل لهما.

تركت الأبناء في المنزل مع دماهم وسياراتهم المصطنعة، وهرولت مسرعة إلى بيت جارتها لتتأكد من صحّة الخبر.

لم تلبث غير ثوان معدودات حتّى وصلت بيت جارتنا صفية، دقت الباب دقتين ثم دلفت دون انتظار، ألقت التحية

المعهودة ثم أخذت تسأل صفية عن الحادثة وعن مخلفاتها أسبابها ونتائجها...
كانت حينها صفية علمت أن الغرق خلّف عشرة موتى والآخرون في غيبوبة بعد أن ارتوت رئاتهم ماء مالحا أجاجا، عندما سمعت ذلك اهتز قلبها خوفا على قرّة عينيها، ولم تصبر، غادرت الزوجة بيت صفية بعد أن شكرتها على إنارة سبيلها إلى معرفة الخبر اليقين.
أحسّت الزوجة وكأنّ شيئا يثقل خطواتها، وكأن الأمر شبح يشدّها من دبرها ولا يترك لها مجالا لمقاومة هذا الاستثقال، ظلّت تجاهد حتى وصلت إلى بيتها، حينها وجدت الأبناء يبكونبكاء 😭 كأنّ شيئا ما ينذرهم أن أباهم وافته المنية وهو على عتبة الكهولة، فجأة سمعت السعدية الباب يُدقّ، أسرعت لتتفقّد من الطارق، وجدت رجلا في متوسط العمر متكّئا على الحائط ينتظر، نظرت في عينيه بعد أن ردّت السلام، تنهّد الرجل ثم أردف يقول:
ـ إن زوجك رشيد وللأسف الشديد، أحصي من الذين ماتوا غرقا.
لم تقوَ رجلا السعدية على الوقوف بعد ما سمعته، وانفجرت من عينيها عينان من الدمع تجريان, شكرته لأن ثقافتها هكذا هي، ثم قالت بصوت يملأه الحَزَن والبثَ:
لا يمكن أن يكون زوجي العزيز، فهو لم يَشخْ بعد، هو على عتبة الكهولة فقط.
مستحيل مستحيل...

لوحة للفنان التشكيلي مهدي غلاب

على متن أغنيتين

سحر علي عبد الله
اليمن

يسير بين الأزقةِ بِخفةٍ وهوادة، الغمة والتيه هما ما يقودانِ روحه.
أين اختفى الناس؟ لِم كل هذا الهدوء المريب!
توقف أمام أحد الأزقةِ التي كانت تمتلك تصميمًا غريبًا جاعلًا من قلبه يخفق بِاندهاش. كان مدخلا ذو لونٍ أصفرٍ بِفتحةِ نصفِ قُبة، وعلى امتداد ذلك الزقاق يبدأ اللون الأزرق بالتسللِ مصادفةً ليعانق المكان.
تبادر لذهنه: ماذا لو أن فرشاة فان جوخ قد لمست هذا المكان!
ثم ابتسم بِخفةٍ لهذه الفكرة. أخيرًا قرر التقدم، ما إن عبرت قدمه اليمنى ذلك المدخل حتى صدح صوتٌ في الأفاقِ، رفع رأسه للأعلى مقوسًا حاجبيه باحثًا عن مصدرِ الصوت، كان نشيدًا حماسيًا!
استمر في التقدم ولم يشعر سوى بِلسانه يردد مع النشيد قائلًا:
"الأرض ملك المنتجين فما بقاء للخاملين".
توقف ذلك النشيد عند نهاية الزقاق ليعود الصمت المريب. استدار مودعًا ذلك الطريق الأخّاذ، لكنه تفاجأ بِاختفائه، حسنًا ذلك التفاجؤ لم يستمر طويلًا فلقد اعتاد على تلاشي اللحظاتِ المميزةِ دون مقدمات. أطلق تشه ساخرة وقرر أن يغمض عينيه ويأخذ شهيقًا عميقًا.

انكمش جبينه وهو يستمع إلى لحنٍ آخرٍ قد صدع في المكان، كان لحن نايٍ حزينٍ في بادئ الأمر ثم اندمج مع صوتِ شجنٍ يحملُ فاجعةٍ و لوعة.
"فين اللي راح فين اللي غاب..
قوليلي راحوا فين... واشكي الفراق لمين... وأروح لمين..."
فتح عينيه ببطء، فانطلقت من شفتيه شهقةَ ذهولٍ،
لقد كان يقف في وسطِ حقلٍ أصفرِ اللونِ يتلاعبُ به نسيم عليل.
بدأ يحدق فيما حوله بانبهارٍ تام، لم يكن يدري هل هذا حقل قمحٍ أم حقل محاصيلِ الكانولا!
هذا لا يهم كل ما يهمه الآن أن يحتفظ بهذا المنظرِ الخلّابِ داخل قلبِه لعلّه يستطيع بذلك التخلص من حقل الصبّار في داخلِه.
شعر باهتزازٍ داخل جيبه، كان ذلك هاتفه وعندما وضع نمط المرور للدخولِ، ظهرت له نافذة الساوند كلاود.
ذلك لم يكن سوى حُلم على متنِ أغنيتين.

قرن الغزال 2111

عبد المالك حسنيوي
المغرب

في سنه **2111**م، أحداث عجيبة ووقائع غريبة، عرفتها إحدى القرى الجبلية، قرية **"**قَرْنُ الغَزَال**"**، أشبه بالجنة فوق الأرض، طبيعتها الخضراء تبعث فيها السواقي_ المنبعثة من بين سفوح الجبال إثر ذوبان الثلوج_ روح الحياة، لكنها سرعان ما تحولت إلى أرض جرداء، مقفرة بيداء، خالية من السكان، لا طير فيها يطير، ولا إنسان فيها يسير، تمر من خلالها، لا ترى سوى الأطلال أو بقايا آثار الديار ، كما أصبحت أرضا رمداء إثر سطوة الحكام وبطشهم، وغضب الطبيعة وقساوة المناخ جراء السنوات المتتالية للجفاف**..**

في أحد الأيام من تلك السنة، وجدت نفسي تائها في دروب مدينة، أتأمل أحوال الناس، أجد فيها اختلافا كبيرا، وأشكال العمران قد تبدلت، بنايات متعانقة وعمارات شاهقة، تشبه الصناديق المصفوفة أو أحجار الصِّوان المرصوصة، والمساحات الخضراء التي لا تكاد تجد لها موطنا، حتى موضة اللباس لم تسلم من التغيُّر، لم أألف أن أراها بهذا الشكل، لقد صارت ألبسة قصيرة تماما مثلما كان يلبس الناس قديما، أو ما يعرف ب **"**حياة الغاب**"**، لا أدري أهو تقدم أم تخلف**!**؟ أم هو فقط حنين إلى الماضي ليس إلا؟**!**

وبينما أنا أجول وأصول في هذه الدروب وسط دهشة وذهول واستغراب، لباسي يختلف عن لباسهم، وملامحي غير ملامحهم، كأنني آت من كوكب آخر، فإذا بسيارة غريبة الصنع، قاتمة السواد، وقفت بجانبي بالقرب من الرصيف، لم أسمع صرير محركها ولا حتى أزيز عجلاتها، ترجل منها ثلاثة أو أربعة أشخاص، لا أتذكر العدد بالضبط، يرتدون لباسا لونه كلون السيارة، وجوههم غير مكشوفة، تبعث في النفس الرهبة، تحلقوا حولي ولم ينبسوا ببنت شفة، أدركت وقتئذ أن الدَّهْمة تطوقني بكفَّيها، و نُصول القدر تغشاني، و الخطر محدق بي من كل جانب، وضعوا على رأسي غطاء وشدوه بإحكام، كبلوا يدي من الخلف بأصفاد حديدية، قادوني نحو السيارة العجيبة، ثم وضعوني داخلها، تناسلت إلى ذهني أسئلة كثيرة وتضاربت في خلدي سيناريوهات عديدة، صبت معظمها في اعتبار مرتكبي هذا الفعل إما من أنصار أو دعاة الإرهاب أو من أفراد العصابات باعثي الفوضى في البلاد والعباد، بدوري لم أتفوه بأية كلمة، وكنت ساعتئذ، كما يقول إخواننا المصريون**: "**كالأخْرس في الزّفة**".**

لم يستغرق مكوثنا في السيارة، سوى مدة زمنية قصيرة، كنت رابضا في المقعد الخلفي بين هؤلاء الغرباء، حتى

لفظتني السيارة مثل كيس منبوذ، لا أدري كيف طوحت بي الإقدار إلى ملاقاة هؤلاء الأشرار!؟ ولا أعرف ماذا تخبئ لي الحياة من أسرار!؟

فكوا قيدي وأزالوا الغشاوة عن ناظري، ثم ركبوا السيارة، وانطلقوا كالصاروخ، كان لزاما علي أن أجلس لبرهة، حتى أستعيد توازني وأسترجع كياني، مازال عقلي لا يستوعب تلك الرحلة المكّوكية بسرعتها الجنونية،! ولا يصدق أنني غريب هنا بالفعل!

ما زالت كل تلك الأسئلة، تقبع في داخلي ولا تود الخروج، ربما بفعل الصدمة، حتى لفحتني نسمات البرد ولسعتني هجمات الزمهرير، التي بدأت تنفذ من تلابيبي لتخترق مسامي، حاولت لملمة أطراف ثوبي، وحث الخطى نحو ركن دافئ، لكن هيهات! هيهات! ..

صمت مطبق يغشى المكان، رهبة تبث الهلع والرعب في النفس، رعشة تعتور جسدي، أطرافي تيبّست، قشعريرة تصطك لها أسناني، انتابني الخوف وكنت كالمنكوب من سوء حظه، لا شعور بالزمان ولا إدراك للمكان، لم أتنفس الصعداء إلى أن سمعت صوت خطى يرتد صداه في كل الأرجاء، يشق عباب الظلام، صوت آت من فوق ، كأنني في سجن تحت أرضي، أو في غياهب جب سحيق.. عيل صبري، فبدأت أصرخ طالبا النجدة! لعل أحدا يسمعني، لكن دون جدوى! استسلمت لهول المكان وأيقنت أنه لا مجال للفرار، الانكسار جذ صدري وفؤادي اعتراه صوت الحتف، وحلق منتشيا بالمستقبل الذي أقبل مستلا سيفه البتار ..

وما هي إلا لحظات، حتى أوقظت من لدن أشخاص لم أتبين شكلهم، حملوني على الأكتاف واقتادوني نحو مركبة تشبه المروحية، لكنها أقرب الى المركبة الفضائية، أسدلوا الغطاء على عيني ووضعوا ما يشبه الكمامة على فمي، ثم انتشلوني، كما ينتشل الخروف للذبح في مناسبة عيد الأضحى المبارك، وصعدوا بي درج تلك المركبة الغريبة، أدركت بعدها أنهم ينقلونني إلى مكان آخر أبعد من الأول ..

أحضروا لي كأس ماء وتحدثوا إلي بالإشارة فقط، بألا أبرح مكاني وألا أسبب لنفسي المشاكل، سألتهم:

من أنتم؟! ولماذا أنا هنا ؟! وما الجرم الذي ارتكبته؟!

لم يجيبوا على أسئلتي، حتى أتى شخص يبدو من لباسه الهيبة والوقار ، ربما يكون مسؤولا حكوميا أو رجلا من وجهاء الدولة، يرتدي بذلة زرقاء عصرية أنيقة، وربطة عنق حمراء، وحذاء جلدي أسود، يمشي مشية الخيلاء..

خاطبني قائلا بعد أن انغرست عيناه في وجهي:

- أنا نائب حاكم هذه البلاد.

أتدري، لماذا أحضرناك إلى هذه البلدة؟!

أومأت برأسي يمينا وشمالا.

قال وهو يحاول إخفاء تهكمه وسخريته:

- حاكم البلاد، يريد أن يعرف لماذا كتبت رواية تتحدث عن قرية تابعة لنفوذ حكمه اسمها "قرن الغزال"؟ ويريد كذلك أن

يعرف الفساد الذي قلت أنه سينخرها؟!
وأن حاكما .. سيعيث فيها خرابا ؟!
قلت وأنا أجاهد كتماني: عن أي رواية تتحدث!؟ وعن أي قرية تتكلم!؟
قال: ويلك..! ويلك..! ثكلتك أمك..!
أتكذب في وضح النهار!؟
أمر أتباعه بإحضار جهاز التعذيب، كان أشبه بجهاز كشف الكذب، وسألني مرة أخرى:
- لا تريد التحدث إذن ؟! أتعرف ما هذا؟!
قلت: لا أعرف..
قال: إنه جهاز تكنولوجي متطور، تم ابتكاره خصيصا لأمثالك، سيجعلك تتكلم بدون إرادتك.. وستجيب عن أسئلتي كلها ..
وضعوا أطرافه في يدي، ووضعوا أداة تشبه الخوذة على رأسي، وبدأت أدرك أنني أجيب عن أسئلته كلها، سؤالا تلو الآخر، بدون تعذيب أو تنكيل أو ..
عجبا كيف تطور العلم؟! وكيف أصبحت التكنولوجيا تتحكم في الإنسان؟!
أحس بأني أتحدث لكن لا أتمالك نفسي..
رواية" قرن الغزال" من الروايات التي كتبتها قبل مائة عام، أحكي فيها عن قرية جبلية صغيرة تشبه الهضبة، تتدلى بناياتها من أعالي الجبال مثل ما تتدلى عناقيد العنب، كانت تنعم في عيش رغيد، حتى تسلط عليها حاكم فاسد، حلبها حلبا حتى عادت كالناقة العجفاء، ولما قضى منها وطرا، و قتل سكانها جميعا،باستثناء طفل صغير، نجى من مخالبه الجارحة بأعجوبة .."

وبدأت أسرد الرواية كلها بالتفاصيل الدقيقة المملة، ثم قال بصوت المنتصر :
- أنت إذن ذلك الطفل، الآلة لا تخطئ ، لقد بحثنا عنك في كل مكان، وجدناك الآن، ولن تسلم من العقاب، انتظر حتى ينظر الحاكم في أمرك، ويصدر قراره بشأنك...
ثم تلاشى في سبحة الضوء.. عاد مرة أخرى ليخبرني بصدور الحكم: الحاكم قرر أن تكون عقوبتك ، هي أن تعيش وحيدا منفيا في هذه القرية_ قرية قرن الغزال_ تعيش فيها حتى آخر نفس من عمرك، وذلك بسبب أقوالك وجراء أحكامك المسبقة..

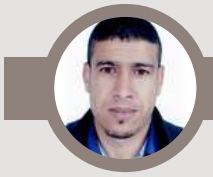

سكينة ماتت

كمـال العـود
المـغـرب

نزل عليه الخبر كالصاعقة، لم يصدق ما سمع، يحملق صوب أصدقائه، لا أحد ينفي الخبر، تجولت عيناه وسط الحاضرين، لا أحد ينفي الخبر، الحزن خيم على الجميع، تمسك بخيط اليقين، الخبر أضحى حقيقة مؤلمة:

- سكينة ماتت
- لا حول ولا قوة إلا بالله
- إنا لله وإنا إليه راجعون

استمر في حملقته للأصدقاء، ذهول لا يفارق محياه، يسأل:

- كيف حدث ذلك؟

أجابه ابن جاره باقتضاب:

- لا أعلم التفاصيل سيدي

سالت دموع غزيرة على خديه، احتضنه صديق مقرب، ضمه إلى صدره، مشهد إنساني انسل من صميم جو مأساوي.

لا عليك إنه الوطن! الوطن غير رحيم بفلذات أكباده.

سكينة دهستها عربة مجهولة أثناء وقفة احتجاجية.

سجلت الحادثة ضد مجهول.

عندما سمع الأب بأن زوجته حامل بطفلة طار فرحا، فرح ليس كفرحه عندما رزق بثلاثة أطفال، آنذاك كان مشغولا طيلة الوقت عنهم، يشتغل أستاذا جامعيا، وخارج أوقاته الجامعية يناضل إلى جانب رفاقه لتحقيق الحلم. زوجته تحل محله في مهامه الأسرية، زوجة تفهم زوجها، لا تعارض، لا تتذمر، لا تشتكي... تؤمن بدورها ب"الحلم المنشود".

كان عاجزا عن تحويل بصره عن غرفة العمليات التي ترقد فيها زوجته في انتظار خبر ولادة الطفلة سكينة.

تدلى رأسه بين رجليه، أحس بظل فوق رقبته وسمع:

- هنيئا لقد رزقت بطفلة.

انتصب واقفا، وقد غشته فرحة غامرة، انقلب الكرسي خلفه على الأرض مصدرا صوتا مزعجا في قاعة الانتظار لكنه لم يعر ذلك أدنى اهتمام.

كان قد دخل الغرفة وقد آتته الممرضة بالمولودة لكن كفيه ما عادتا تطاوعانه، فساعدته الممرضة. تحقق الحلم الأصغر.

حين ولدت سكينة حملت له مشاعر مختلفة لم يشعر بها من قبل، تغير مفهومه للأبوة، أصبح البيت جنة فوق الأرض بوجود قلب أنثى.

شبت سكينة، تشبعت بمبادئ أبيها، آمنت بالحلم. كانت تقف وسط ميدان الاحتجاج، تحتج ضد الوطن لحل مشكلات العاطلين عن العمل والمفقرين والمهمشين، وفتح أفق بناء الدولة والمجتمع والسياسة والثقافة والصحة والتعليم.

تحلم بتغيير الوضع والقضاء على الفساد بكل صوره وألوانه، إنه الحلم الأكبر عند الأب، والحلم المنشود عند الأم.

بينما تهم سكينة بعبور الشارع صوب منصة الاحتجاج إذا بسيارة هوجاء وبسرعة خيالية تصدم جسدها الرقيق، سقطت على الأرض متمرغة وسط دمائها، أسرع إليها زملاؤها في الاحتجاج محاولين إنقاذها، حملوها سريعا إلى المستشفى الحكومي، حاول الطاقم الطبي، لكن قوة الاصطدام لم تترك لهم فرصة إنقاذها، شدة الصدمة سببت لها نزيفا حادا على مستوى الرأس.

عاش الأب متألما، ممزقا، تائها بين دروب الحزن والانتظار. ينتظر الحقيقة وجثمان ابنته الوحيدة ليلقي النظرة الأخيرة، ويؤجل حلمه بوطن حر، حتى يتخلى الوطن عن مواجهة أي نهوض لأي حركة بالقمع العنيف أو بإسكات الحركة بأسلوب احتوائي أو تشويهي.

آه يا وطن ! كم أنت قاسي على أبنائك!.

لوحة للفنان التشكيلي مهدي غلاب

لغز الدائرة الثالثة

بسمة يحيى حامد
مصر

قاطعه معظم الأصدقاء والأقارب بسبب تكراره لسؤال"هل قوى الطبيعة تتحكم بالإله؟" بدعوى أنه مجرد رجل كبير السن مخرف أصابته كثرة القراءة بالجنون، حتى أخته الصغيرة قاطعته.

حديثه على أنه كان قطة فرعونية وقد تم ذبحه ليقدم قربانا للإله آتون أكد للجميع خلله العقلي.

لعل حبه الكبير لوطنه وتأليف القصائد الطوال في مدحه كان يحفظ له آخر ما تبقى من ماء وجهه عند أقاربه من العائلة.

ينفعل كثيرا حينما لا يصدقه طبيبه النفسي، فالقصص التي يسردها عن آلة السفر عبر الزمن أو فك طلاسم التعويذة لم تقنع الطبيب بواقعيتها أبدا.

يقول: "لقد كانت رحلة التعويذة مليئة بالمغامرات، فكنت أحاول أن أجمع أجزاء القرص الذهبي الذي يمثل مفتاح الآلة".

الطبيب: يبدو أنك عدت لنوبة الهذيان مجددا.

أمسك ورقة وقلما من على مكتب الطبيب ثم كتب: جلس ليقرأ الجريدة ويدخن سيجار كوهيبا، يضحك بصوت عال يسأل الشعراء: لماذا تجلسون أسفل المنضدة؟!

متى يموت خوفكم من القيل والقال؟

ها أنا أمامكم أدخن في العلن وبجوارنا صديقكم الروائي غريب الأطوار الذي يرتدي ثيابا متداخلة الألوان ويضحك كثيرا بلا سبب ويقرأ دائما كتاب "هكذا تكلم زراديشت" يشرب الشاي ويدخن المعسل أمام الجميع كل عام في شهر رمضان؛ فلما أراكم دائما بالأسفل؟

نهض الشاعر الشيوعي منسي المعروف بقصائده الجريئة وجلس بجوار الشيخ نيتشة.

قال: أنت لا تعلم سبب جلوسي بالأسفل، فأنا مختلف تماما عنهم، لا أعرف هل سبق لك ومررت بمحاولة تغيير الواقع الظلامي وفشلت؟

إذا كانت الإجابة نعم بالطبع ستعرف لماذا أجلس دائما أسفل المنضدة.

سرحت قليلا في ذكرياتي مع صديقي الزرقاوي، تذكرت حينما قال لي: لتذهب معي نذكر الله في حلقة الذكر لعله يغفر لك.

ذهبت معه ليس لأنني درويشا أو صوفيا مثلا لكن من باب الضحك والفرفشة.

قليلا لأعلى أطوح رأسي يمينا أرى الزرقاوي يذكر الله، يسارا أرى رجلا كبير السن يرتدي ملابس بيضاء، طوحت رأسي أكثر فأكثر لاحظت تصرفا غريبا من الرجل كبير السن؛ حيث اقترب من الزرقاوي ورمى له خاتما كبيرا ذهبي اللون، انحنى الزرقاوي ليمسك الخاتم المكتوب عليه(ع. د) أي عفريت الدولارات، فرك الخاتم فأتاه الخادم؛ فزعت من المشهد وظننت أنها هلاوس

بسبب إطاحة الرأس فتوقفت.
طلب منه العفريت أن يقرأ التعويذة بعد أن أعطاه أموالا كثيرة.
قرأ: الأمل أمامك يناديك أسفل(ه. خ)
يوجد الجزء الأعظم من العرش في مكان منحدر ناحية الشمال هو(أ. ك).
العفريت: فقط اتبعني لتصبح ملكا، التعويذة تأمرك بالتوجه أسفل هرم خوفو الموجود على أرض كيميت.
سار معه في الزحام بعيدا، مشيت خلفهما لأجد للعفريت ساق إنسان و ظهرا يشبه ظهر الشقيق الأكبر للزرقاوي.
تذكرت حينما حكى لي صديقي عن صراعه مع أخيه الأكبر_الذي يدعى إنكي_على الحكم من بعد أبيه الملك.
جريت مسرعا خلفهما حتى وصلا إلى أسفل الهرم.
جرى العفريت بعيدا بعد أن قتل الزرقاوي و سرق من جيبه خاتما مكتوبا عليه(ع. خ. ع).
قرأها الطبيب ثم قال: ما سر تلك التعويذة؟
وقف ليضع يده على رأسه، صرخ قائلا: انتفض جسمي بسبع هزات... أنا الآن أسبح في محيط بارد جدا، جسدي يشبه سمكة صغيرة، صعدت على سطح الماء لأجد سماء رمادية ممطرة.
ما هذه الأجواء المرعبة؟ ماذا يحدث حولي؟
أصوات مخيفة تكاد تخترق جسدي وكأنها أتت من الفضاء الخارجي.
لا أشعر بعمودي الفقري... يخرج من جسدي من يزحف على اليابس ومن يحلق بالسماء وآخر يمشي على أربع... ثم يرتقي جسدي ليشبه البشر تماما، نظرت على يدي اليمنى لأراها تتحول إلى يد بشرية بشكل طبيعي.
إنها الغابة الاستوائية التي احتضنتني طويلا بين حزن وفرح واستقرار وحروب مع أعداء.
يوم مشمس حمسني أن أجري في الغابة مرحا، وقعت متعثرا بحجر، أنظر خلفي لأجد ثلاثة مجلدات عتيقه باهتة الأحبار.
قرأت أول مجلد الذي شرح كيفية هبوط الفضائيين على كوكب الأرض.
يشرح المجلد الثاني آلية تهجين جينات البشر مع جينات الفضائيين وهو ما تسبب في تطورنا، ثم يذكر المجلد الثالث مجموعة أساطير وتعاليم للبشر يجب علينا اتباعها حتى نسعد برضى الآلهة.
تركت المجلد على الأرض وأخذت أفكر في الحقيقة التي رأيتها بيدي والزيف المسطور في المجلد الثاني.
الطبيب: أتقصد أن التعويذة التي قتلت صديقك كتبت في أساطير قديمة؟ لكن لماذا؟
_أعتذر لك، يجب أن أذهب للنوم؛ فقد أرهقتني الجلسة كثيرا.
بعد أن أغلقت مسجل الصوت جلست أفكر فيما يقوله هذا الرجل من هذيان وهو نائم" سترى الحقيقة بيديك، و تقرأ الزيف بعينك".
رسمت على الورقة ثلاث دوائر، كتبت بالأولى أساطير قديمة وبالثانية تعويذة قتل الزرقاوي وتركت الدائرة الثالثة فارغة ثم أخذت أفكر هل قتل الزرقاوي لمحاولته كشف حقيقة خاتم(ع. خ. ع) أم أن الشيخ نيتشة كبر ويخرف؟!

مخلفات وطن سابق

سكينة هكو
المغرب

وها قد تركتك أخيرا يا وطني، بعد محاولات عديدة وسنوات انتظار طويلة، سنوات كانت كأنها كلها كبيسة، تمر كالدهر على المشتاقين للرحيل مثلي. تآكلت روحي مع أيام عمري الذي يمضي في الترقب والرجاء وتحري اليوم الموعود الذي ولا بد آت. طرقت أبوابا شتى واتخذت طرقا أكثر، كان الأمل رفيقي فيها أحيانا ولكن اليأس كان وفيا أكثر.

ثم نجحت أخيرا.

لم ألق عليك نظرة أخيرة من الطائرة وهي تغادر ترابك المقدس، ولا زرت أماكن شهدت طفولتي وصباي، حزني وفرحي، نجاحي وفشلي، وانكسارات قلبي لأحفظها في الذاكرة، فتهون عليّ البعد وتقاسمني المصير. أتصدق يا وطني، أنا حتى ما ذرفت دمعة خوف، أو شوق، ولا حتى فرح. حملت حقيبتي وغادرت بكل هدوء. وعكس كل المغادرين، لم يعرف المطار ازدحاما لوداعي ولا استقبلت زوارا في بيتي لعشاء أخير ليلة السفر. فلا الرحيل يضنيني، لأبحث فيهم عن المواساة ولا حاجة بي لدموع تفسد رونق البدايات الجديدة، التي من المفترض أنها بلا دموع. أما نهايتي معكولأول مرة في تاريخ النهايات، كانت سعيدة!

أكانت الطائرة فعلا تحلق بعيدا، أم أني أنا امتلكت جناحين أطير بهما قصيّا في أعالي السماء، نحو أبعد نقطة ممكنة، لا يعود الرجوع بعدها إلى الوراء مستطاعا ولا حتى متاحا؟

بداية جديدة، بلد جديد وثقافة مختلفة. هنا سأجد كل ما بحثت عنه طويلا فيك. حياة أفضل، مستقبل واعد وآمال لا تخيب أبدا. هنا سأحقق أحلامي المجهضة، سأفجر مواهبي الدفينة وسأكون حرا طليقا في الأفق الواسع كما لم تتح لي يوما أن أكون. ولكن، هناك شعور غريب يرافقني منذ وضعت قدمي لأول مرة على أرض لا ترفرف رايتك فوقها، شعور أبعد ما يكون عن السعادة المتوقعة. أتراه الحنين؟! وكيف نحنّ لما تركناه عن سبق إصرار وتصميم؟ أم أني تركتك مرغما يا وطني؟ لقد جحدتني كما فعلت مع كل أبنائك واحدا تلو آخر.

وأجدني يوميا ودونما رغبة مني وعن غير قصد، كلما خطت قدمي عتبة الباب، تبدأ عيناي لا إراديا بالبحث عن أوجه الشبه، بين هذا المكان وذاك الذي تركت فيه الروح ذات رحيل. فلا شيء يشبهني هنا، كل شيء غريب عني، الأزقة، الشوارع والبنايات وحتى الناس، وجوه لا أعرفها وأجواء لم أعتدها. وكـأني ما غادرت إلا بحثا عن نفس الأشياء التي هربت منها بعيدا، فلا أنا وجدتها ولا وجدت نفسي هنا.

لم أكن أعرف وأنا أغادرك إلى غير رجعة يا وطني، أني قد حملتك معي في الحقائب، في توصيات الأهل والأصحاب، في الصور التي مزقتها وأعدت لصقها ألف مرة، في أوراق الهوية وفي جواز السفر الذي أخذنا معا إلى المجهول.

لقد غادرتك يا وطني، ولكنك لم تغادرني يوما. حتى إنني لا أنطق اسميَ إلا متصلين بياء الملكية والنسبة. فأنت ملكي وأنا لا أنتسب إلا لك.

فلماذا لم تتمسك بي، بينما أحملك أنا في كل ذرة مني؟!

مثابة

أسماء محمد هرماس
مصر

شمس عصاري، أدخنة متصاعدة من الكؤوس الممتلئة بشاي طازج مع أعواد النعناع، طلة بهية ونفس رضية لصبية متفاوتين في الأعمار أسفل شجر السسبان بوادي الجن**[1]** مجلسهم المعتاد لمناقشة أحوال شُبان الصعيد والأرض والزراعات، يلتف الجميع حول كومة من الحطب المقاد، يحتمون بدفئه لتفادي صقيع طوبة**[2]**، آنسهم الحديث حتى غروب الشمس دون أن يستشعروا ذلك، تذكروا تلك النصيحة وهي العودة من الوادي قبل الغروب، على عجل أخذ كل منهم شعلة من كومة الحطب لتضيء لهم طريق العودة، عادوا جميعا وظل هذا الأخير يمكن الحبل المعقود في كل بهيمة بحظيرة البهائم قبل عودته، حملق جراء ما رآه بإحدى زوايا الحظيرة، حتى كادت أن تخرج مقلتاه، ما رآه إذا؟

لقد وجد تلك الزاوية مضيئة تظهر بها شعلة من ضوء على خلاف غيرها من الزوايا والأركان المعتمة.

ولكن ما مصدر هذا الضوء بهذا الوادي الديجور؟

اختلطت الأفكار بعقله وكاد أن يجن، أخذ يمشي في أتولتثاقلت قدماه وهو يحاول العودة من الوادي، بات ليلته بين النائم والمستيقظ يفكر في الأمر، قرر أن يخبر الصبية بما رآه، أخذهم في ليلة اليوم التالي للوادي حتى يصدقوا ما قاله لهم، والعجيب أنه ما زالت شعلة الضوء في الزاوية، دهشوا جميعا وكرروا الزيارة لعدة ليالٍ متتالية ليراقبوا هذا الضوء لعلهم يعرفون كهنه ربما حقا الوادي مسكون بالجن كما يقال، قص الصبية ما رأوه لمثابة، طمأنتهم وخففت من روعهم وأن ما رأوه قد يكون سرابا والوادي آمن والله خير حافظ وهو أرحم الراحمين.

وكان لتلك الحظيرة سقف من البوص القديم الذائب وعروق خشبية، كان كثيراً ما يسمع الصبي صوت السقف وهو يتفرقعمن فوقه، فخاف أن يسقط السقف على البهائم، قرر أن يقوم بتجديده، فوجئ بعد تجديده باختفاء شعلة الضوء التي كانت تقلقه، اطمأن قلبه أخيرا وحضر في عقله إجابة هذا اللغز، أن الضوء الذي رآه ما هو إلا شعلة عمودية من ضوء القمر دخلت من إحدى نوافذ السقف المهترئ الذائب .

توالت الشموس والأقمار، دارت السنون ومرت الأيام، همد الوادي الديجور وهيعته أصبحت هناءة، تبدلت الأرض غير الأرض، انبثقت أرض أخرى حيث حلت بقعة خضراء فرشت بحقول وأفانين من الفواكه والثمار تتخللها شرايين من المياه السديم ومساكن متناسقة الألوان محل أرض الغوائل الصفراء، دبت الحياة بالوادي وسكنت النفوس والأرواح.

والعادة لدى تلك الوضيئة مثابة الخريدة

أصبحت هواية يذكرها الوادي بالشابة البهنانهعروبة سعد وهي تستقل الإناء الأبيض في الشروق والغروب جالبة اللبن لسعد ولأبنائها، أما الآن فلأحفادها، يذكرها أيضا بقطعة الأرض تلك المهداة من الحسن أباها كيف كانت وكيف صارت، كانت رملية صفراء مظلمة لا زرع بها ولا ماء وأصبحت بكدها هي وسعد أرض مساكن وصل إليها النور والماء، وجزء آخر حديقة من أشجار المانجو والتين والعنب ونخيل التمر والدوم وسطها قنوات لتوصيل المياه، فقد مات سعد وابلق الشعر، احتسبت صابرت وصبرت ربت وعلمت وزوجت الأولاد، لا زالت رقراقة رشوفة أنوفة عيناها كالعسل المصفى تظهر حولهما تجاعيد السبعين التي أضافت لها جلالة ومهابة، وأما عن عمرها مع الله فقد تضاعف أصبحت كالحسن أباها كلما سمعت حي على الصلاة حي على الفلاح تركت الدنيا والقول والفعل واستجابت في الحال للنداء، وحتى بعد آلام الركبة والظهر، قائلة ومن الذي لا يجيب لنداء الخالق سبحانه إلا من كان قلبه غافلا.

1) وادي الجن : يقع بكيمان المطاعنة بالضفة الغربية من نهر النيل بمحافظة الأقصر (قنا سابقاً)، ويقع شمال مدينة اسنا، وكان وادي قح غير مأهول بالسكان خاوي من البشر، وأطلق عليه وادي الجن لاعتقاد سكان المنطقة المجاورة بأنه موطن للجن.

2) طوبه : هو أحد شهور فصل الشتاء طبقا للتقويم القبطي، وأصل التسميه يرجع للغة المصرية القديمة.

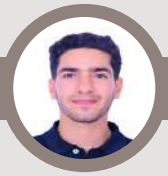

بائع الفول البلدي

وسيم الفائق
المغرب

قصة قصيرة جدا

يوم جديد، استيقظ كعادته على صراخ ابنه الرضيع، حَرَّك بعنف جثته الضخمة فوق سريره الخشبي العتيق، يمينا ويسارا. تأفف ثم جلس كالقرفصاء، فَرَك عينيه و مسح بِرَاحتي يديه وجهه، ردد بصوت يحمل في ذَبْذَباتِه بقايا من النوم " يا مولانا يا كريم دير تاويل الخير"، وضع طنجرته النُّحاسية المليئة بالفول والتوابل والماء فوق لهيب أسطوانة الغاز، رائحة الفول تنتشر في الفضاء، رَتَّب عُلب الملح والكمون، جَهَّز عربته اليدوية ووضع عليها طنجرته المليئة بالفول المطهي، ودَّع زوجته كنزة، كَو توكل نز البيت - هكذا كان يصفُها-وتوكل لحسن على اللّه، لِحُسن حظه أنه يوم الأحد، ساحة باب الأحد تكون مكتظة هذا اليوم - هكذا قال بينه و بين نفسه- لكن لسوء حظه كان اليوم قائظا، أشعة الشمس تقعُ على رؤوس المارين فتحولها إلى قطع ملتهبة من النار، من سيشتري الفول في هذا الجو الجهنمي؟ - هكذا رد على نفسه- عربة الفول ثقيلة الوزن، لكن الزمان كان أشد ثقلا، الشيء الذي دفعه أن يدفعها كل صباح من منزله حتى يبلغ الساحة. بَلغ لحسن مقصِده، يفتح فمه كأسد جائع و ينتصب لسانه كأفعى غاضبة، فيُردد بصوت مبحوح: "ها الفول البلدي والكمون والملح من عندي"، لا أحد يقترب منه، يراقبُ بتعب إيقاع الحركات، أصوات النوارس الجائعة، مواء القطط المتهالكة، ملامح بائع السجائر، دخان السيارات، سعال العجوز في الركن، إشارات شرطي المرور، لون المساء الكئيب... وبينما هو شارد، تائه، سمع صراخا من قريب، صديقه عمر يركض بجنون، يحمل بين يديه نصف سلعته والنصف الآخر يتطاير في الهواء، يصرخ كطفل فقد أمه: "الحناش، الحناش..."، لم يفهم لحسن من كلامه شيئا، بائع السجائر يجري هو الآخر و يهتف " الصقور، الصقور..." تساءل لحسن بينه وبين نفسه، ما الذي يجري بحق الجحيم؟ هل أعلنت علينا الحيوانات حربا؟ فاطنة بائعة الخبز - تبيع جسدها أحيانا- تهرول وتصيح هي الأخرى "صحاب الحال، صحاب الحال...". لم يستوعب لحسن ما يحدث، وفجأة باغتته صفعة من الخلف، الشرطة وراءه والقوات المساعدة أمامه، أخذوا العربة بكل ما فيها، وأخذوا معها أحلام لحسن وزوجته كنزة...

قناعات

فاطمة وهيدي
مصر

قصة قصيرة جدا

حدثَهم الشيخُ في خطبته عن حسنِ الختام،
ذهبَ لخطبةِ الفتاة التي أغواه جمالها؛ كررت رفضها له،
كتبَ على صدرِه خطابه الأخير لها (قلبي فداء حسنها)؛ وانتحر.

المسرح

مجلة امتداد للثقافة والفن

2023

الخضر

علي محمد الفشني
مصر

الفصل الأول

"المشهد الأول"

يجلس رجل يتوشح بالوقار بإيزاء خيمة الحكم بالقبيلة وأمامه فضاء ممتد، وفي مجلسه بضع من أهل العقد والربط بالقبيلة، يقيمون مراسم تنصيبه شيخا للقبيلة ويقدمون بين يديه فروض الطاعة والولاء، وإذا بأحدهم ويدعى كاظم يتعثر في خطاه فيلتقطه شيخ القبيلة الموشح بالوقار.

شيخ القبيلة: قم يا رجل وتحلى بالصبر ولا تعجل فالسير في الطريق يوصلك للغاية.

كاظم (يرتجف قليلا): الطريق وعر يا سيدنا.

شيخ القبيلة (وقد امتلأ صدره بالأمل): أحلامنا تعبده.

كاظم متلعثما: ولكن يا مولانا... ربما تصطدم أحلامنا بهذا الواقع المرير فتتحطم.

شيخ القبيلة (ثائرا من شدة الغضب): أي واقع هذا...؟ انظر إلى هذه السماء... ستكون خيمتنا ذات اللون الأزرق وسيصبح القمر سارية لعالمنا.

حكيم القبيلة: يا سيدنا هذه السماء قد غادرها المزن واستحالت إلى وهج محرق أحال العشب إلى رماد واستوطن الألم قلوب الرعية.

قاضي القبيلة: هذا قضاء خطه القدر وجرى بنا في أمواج من المحن.

شيخ القبيلة وهو يرتعد: كفى لا تبثوا سمومكم هكذا لا زرع بغير حرث ولا حرث بغير ساعد والحمد لله لم نعدم سواعدنا بعد.

كاظم وهو ينظر إلى ساعديه: سواعدنا فارغة.

شيخ القبيلة: بل قلوبكم هي الفارغة.

حكيم القبيلة: ورثنا من الأجداد فقرا وعوزا.

شيخ القبيلة: ورثنا منهم أملا يطمسه وصبرا في عقبه الفرج.

قاضي القبيلة: الصبر مفتاح الفرج.

شيخ القبيلة: أنصتوا إلي جميعا إن رأيتم مني ما يخالف فطرتكم فاصبروا، فإني أرى ما لا ترون فإن رأيتموني أخرق السفينة فلا تظنوا أنني جئت شيئا إمرا وإن رأيتموني أقتلع رأس غلام بيدي فلا تظنوا أنني جئت شيئا نكرا وإن رأيتموني أقيم جدارا في قرية لئيم أهلها فلا تطلبوا مني أن أخذ عليه أجرا ولكن اصبروا ما استطعتم، فالصبر كما قلت في عقبه الفرج.

حكيم القبيلة (وقد ألجمته الدهشة يبدي اعتراضا بيده): لأن صبرنا نحن لن تصبر الرعية.

كاظم: هذا ما فعله الخضر وأنكره نبي مرسل ولم يطمئن حتى أخبره بحقيقة ما

فعل.
شيخ القبيلة: هو كذلك يا كاظم ولكني لن أخبركم بل ستبصرون حقيقة ما أفعل.
قاضي القبيلة: إذا أنت خضر هذا الزمان.
يسدل الستار
"المشهد الثاني"
كاظم (وهو يهرول فزعا نحو شيخ القبيلة): تضرمت الرعية علينا يا سيدنا.
شيخ القبيلة (وهو يتفقد مجلسه): أين القاضي...؟ أين حكيم القبيلة...؟ أراهم غائبين عن مجلسنا؟
قاضي القبيلة مهرولا: لقد نفذ رصيدنا وتضاءلت حيلنا.
حكيم القبيلة على أثره: الرعية ترجمنا بالسفه يا سيدنا.
كاظم: نعم يا سيدنا نعتونا بالسفهاء رغم أنهم أتموا مهمتهم وحفروا أودية امتدت إلى خارج حدودنا كما أمرت يا سيدنا.
شيخ القبيلة: السفه لم يتجاوز هذا اللسان الملثم بالخوف، فالأنامل المرتجفة تشوه الخط وتجعله معوجا.
حكيم القبيلة: إنهم يبحثون عن الحقيقة.
شيخ القبيلة: ليس ما صنعناه سرابا يحسبه الظمآن ماء بل جعلناه ماء سنجده جميعا.
كاظم (وقد اشتدت العاصفة): لقد هبت الرياح يا سيدنا.
قاضي القبيلة: ستنثرهم كحبات الرمل.
شيخ القبيلة: إنها الريح الصرصر ستجعل الأوهام كأعجاز نخل خاوية.
حكيم القبيلة (وقد انفرجت شفتاه عن ابتسامة عريضة): إنه التوفيق... فالله خير حافظا...
شيخ القبيلة: أسرع يا كاظم وأذن في الناس بنصب خيمهم على ألواح من خشب ويحملون عليها أمتعتهم ورحالهم وأنعامهم، أذن يا كاظم بكل شيء ينصب على ألواح من خشب حتى خيم المذنبين ومثوى عقابهم، هلم يا كاظم، انصبوا كل شيء على ألواح من خشب فوق كثبان من
الرمال، فاليوم سترون حقيقة ما فعلت وما فعلته عن أمري إنما هو كما أوحى ربنا إلى النحل.
يسدل الستار
"المشهد الثالث"
يحث شيخ القبيلة مع حاشيته أوضاع القبيلة من مقر خيمته المنصوبة على ألواح من خشب فوق الكثبان الرملية والسماء ملبدة بالغيوم والأرض مبللة بالمياه من أثر المطر.
شيخ القبيلة: ما هذا الضجيج يا كاظم؟
كاظم: الرعية تزأر يا سيدنا.
شيخ القبيلة: وبما تزأر؟
كاظم: يزعمون أن ما يحدث مجرد عارض ممطر.
شيخ القبلية: بل هو حقيقة ما فعلت سيرونه الآن.
يدخل أحد الحراس إلى مجلس شيخ القبيلة ويودع رسالة في أذن كاظم ثم ينصرف.
كاظم: لقد جاء الخبر يا سيدنا.
شيخ القبيلة: وبما جاء يا كاظم؟
كاظم: لقد تصدع سد الجنوب يا سيدنا وأوشك على الانهيار.
شيخ القبيلة: أخبرهم يا كاظم بما أودعك الحارس، ثم أذن فيهم بالصعود إلى الخيام وعدم مغادرتها وقل لهم هذا ما لم

تستطيعوا عليه صبرا.
يخرج كاظم ويلبث غير بعيد ثم يعود مهرولا يزف البشرى إلى شيخ القبيلة في حين يكمل شيخ القبيلة حديثه في نشوة يكسوها شيء من الثقة بالذات.
شيخ القبيلة: وما زال التمر في مكتلي، ألا فتحنكوا به.
كاظم: لقد نجونا يا سيدي، واستحال الدمار إلى ازدهار، امتلأت العيون وفاضت الأودية بالمياه سبحت الخيم فوق سطح الماء كعائمات تجري لمستقر لها.
حكيم القبيلة: يؤتي الحكمة من يشاء.
قاضي القبيلة: واللّه لأنك أنت خضر هذا الزمان.
كاظم: الرعية تهتف باسمك يا سيدنا.
يهتف الجميع باسم شيخ القبيلة عاش... عاش... عاش... وعاشت قبيلتنا.

انتهت

مجلة امتداد للثقافة والفن

2023

رحلتي الأولى بقطار ألمانيّ

ألمى حلواني
سوريا

حينٍ وصلت إلى ألمانيا كان عمري ٢٨ عاماً قضيتها في دمشق وأذكر أنني زرت عدة محافظات من خلال رحلات أو تغطيات صحفية ميدانية، وقد كانت الباصات وسيلة النقل الشائعة في سوريا على تنوّع "حَسَبِها ونَسَبِها" انطلاقاً من باص رديء يُسمّى "هوب هوب" -ولا أعلم أصل التسمية- وصولاً إلى "مقاعد ال **VIP** في "البولمان" الحديث، مروراً بأشكال ومراتب عديدة لشركات سفر مختلفة.

أي أن فكرة التعامل بالقطارات المستخدمة في ألمانيا بكثرة كانت غريبة بالنسبة لي...

بعد شهر من وصولي طلب مني الذهاب إلى مكتب ضمن منطقة تبعد عني ساعة، وذلك بواسطة الباص الذي سوف يقلني إلى القطار الذي سيأخذني بدوره إلى المكان الرئيسي، ثم الباص ثانية فالمشي إلى نقطة النهاية... بدت لي المغامرة أصعب من بحث "جودي" عن صاحب الظل الطويل، ما أشعرني بالدوار رغم أنني ما زلت بمكاني...

لم يَذْكُر لنا أحد حينها أن هناك رحلة تمهيدية أصعب مما سبق ألا وهي قطع التذكرة التي كانت مثل أحجية مُعقّدة وخصوصاً لمن يحمل بطاقة تخفيض لأنه حتى إن أوقعك حظك الجيد بشخص ألماني حقق الشروط الأربعة الخارقة **(**يقف قرب آلة قطع التذاكر، لديه فائض وقت، يتحدث الانكليزية، يتمتع برحابة صدر**)** لن ينفعك ذلك شيئاً... لأنه على الأغلب لم يسبق له يوماً أن امتلك بطاقة تخفيض اللاجئين الجدد!!

خيارات كثيرة معقدة بلغة وأبجدية غريبة حتى وإن بدّلتَ اللغة للإنكليزية لن تعرف الفرق **"zone"** ١ ، ٢ أو بين **A ,B**...

في نهاية المطاف تلحق القطار وأنفاسك تتفوق على أصوات محركاته العالية، راصداً حاستي السمع والبصر لتتبع اسم المحطة المرجوة وإلا ضعت ولن تجد أي مغيث...

جلستُ وزوجي **/**بعد تجاوز ما سبق ذكره**/** في المقعد الأخير قرب الباب متوجسين متأهبين رغم علمنا التام بأن محطة النزول بعيدة، لم يفصل توترنا هذا إلا نظرة رجل ألماني اتجاهي مباشرة، يجلس قبلاتي من الجهة الثانية ويفصلني عنه مقعدين أو ثلاثة، بجانبه جهة النافذة شابة شقراء في مثلٍ سنه قرابة الثلاثينات، استغربتُ جداً تلك النظرات وخاصة أنني سمعت كثيراً أن هذا البلد شبه خالٍ من حركات الطيش، والرجل هنا مشغول غير آبه بتلك السخافات، وذلك على ذمة الراوي الذي بدا لي أن ذمته ليست على ما يرام.

دقائق مضتْ وأنا أسترق النظر بدهاء لأجد الرجل ما زال ينظر نحوي مستقطعاً

ثوان يلتفت بها لتلك التي بجانبه.
لاحظ زوجي الأمر فانتفض قائلاً لي: هل هذا معقول؟ هل انتبهتِ لوقاحة ذاك الشاب؟!
بين خوفي من ردة فعل زوجي وفرحي المضمر أنني جميلة ولافتة حتى في أوروبا!! توقف القطار معلناً اسم المحطة الحالية، فنهضت تلك الشقراء وأخرجت عصا مطوية وضعتها بيد ذلك الشاب وساعدته للوصول إلى الباب الذي بجانبنا... لأكتشف لأول مرة ذلك الشعار الأصفر والأسود الخاص بالمكفوفين قد وُضع على سترته ولأكتشف أيضاً سلامة ذمة ذاك الراوي!!...
بعد أن نزل الشاب ومرافقته، نظرتُ إلى زوجي فوجدته يخفي ابتسامة فَجّرَتْهَا ضحكتي وأنا أقول "أتذكر حلقة مستر بن... بل تذكر إحدى حلقات ذاك المسلسل الكوميدي..." وبينما أخذتنا الضحكات والذكريات مرّ اسم محطتنا بين المحطات ونسينا النزول وبتنا نبحث عن نجدة مغيث لساعات!...

مجلة امتداد للثقافة والفن

2023

الإعلام وعمالة الأطفال واقع ومستقبل

سوزان عبد البلاونة
الأردن

" من ملك الإعلام ملك الشارع **"**، بل ملك كل شيء، فالإعلام لا يسيطر على الشارع فقط، بل على الشارع والبيت، فإذاً هناك تأثير شديد للآلة الإعلامية**.** إن الطفولة مرحلة مهمة من مراحل الحياة، ولا سيما في مجتمعات خصبة كمجتمعاتنا، وقد بينت الإحصاءات الصادرة عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي أن **(40%)** من أبناء مجتمعنا العربي هم من الشريحة العمرية من **(0)** إلى **(14)** سنة **.**

ولذلك يعتبر الأردن من أوائل الدول التي صادقت على الاتفاقيات الدولية المتعلقة بحماية الأطفال من الاستغلال الاقتصادي، وهي اتفاقية حقوق الطفل والبروتوكولين التابعين لها والاتفاقيات التابعة لمنظمة العمل الدولية **(** اتفاقية الحد الأدنى لسن الاستخدام رقم **138** ، واتفاقية أسوء أشكال عمل الأطفال **182)**، وتعتبر التشريعات الوطنية المتعلقة بمكافحة عمل الأطفال منسجمة انسجاماً تاماً مع الاتفاقيات الدولية، أشارت نتائج مسح عمل الطفل الذي نفذ عام **2007** من قبل دائرة الإحصاءات العامة إلى أن عدد الأطفال العاملين في المملكة يبلغ نحو **33190** طفلا ممن أعمارهم **17-5** سنة**.** ويعتبر هذا الرقم أقل بكثير مقارنة مع دول نامية أخرى مماثلة للأردن في مستويات الدخل**.** وبينت الدراسة أن معدل الاستخدام منخفض جدا بين الأطفال ممن تقل أعمارهم عن **12** سنة**.** ويعتبر الاستخدام بين الأطفال الإناث ظاهرة نادرة جدا، وأظهرت الدراسة بأن عدد الأطفال العاملين في الأردن يتراوح بين **34** ألف و **39** ألف حسب بيانات وزارة العمل ودائرة الإحصاءات العامة، وأن إقليم الوسط قد احتل المرتبة الأولى من حيث عدد الأطفال العاملين، وذلك لما يتميز به من توافر فرص عمل أكبر للأطفال**.** ووجدت الدراسة أن التوزيع العمري لعمل الأطفال تركز على من هم ضمن الفئة العمرية **16** سنة أو أكثر وأن عدد الأطفال العاملين الذين تقل أعمارهم عن **14** سنة يقل عن **4** ألاف طفل، مما يعطي صورة جيدة عن وضع الأطفال العاملين في الأردن من حيث العمر قياساً ببقية الدول**.** وقد أكدت الدراسة بأن معظم الأطفال العاملين لا يلتحقون بالعمل في مقتبل العمر، بل بعد دراستهم **9** سنوات في المدرسة**. (1)**

وفي مجال الإعلام، فإننا نرى أن رسالة الإعلام يجب أن تقوم على مبادئ الحرية والمسؤولية الوطنية واحترام الحقيقة والمصداقية التي تمكنها من المنافسة، وعلى ذلك فلا بد من رفد أجهزتنا الإعلامية بالكفاءات البشرية اللازمة والأجهزة الحديثة المتطورة، حتى تتمكن من التعبير الجريء عن روح الوطن ومسيرته الخيرة وإنجازاته الكبيرة، ولا بد للإعلام الرسمي أن ينادى بنفسه عن أن يكون إعلاما لشخص أو حكومة، بل يجب أن يكون إعلام دولة ووطن، ثوابته معروفة وغاياته نبيلة وسامية**(2)**

تجدر الإشارة إلى أن عمالة الأطفال هي محل رفض وإدانة على المستوى العالمي، لأنها تتناقض مع الطفولة وحقوق الطفل، خاصة وأن العديد من القوانين التي تتعلق بحقوق الأطفال تؤكد على حق الأطفال في السعادة والعيش الكريم والصحة والنمو السليم، بالإضافة إلى حق الطفل في التعليم وخاصة المرحلة الأساسية من التعليم، مما يحتم على الدول والمؤسسات وضع حلول جدية للتخلص من تلك الظاهرة، حيث تلجأ بعض الدول إلى إخفاء النسب الحقيقية للأطفال المتسربين والعاملين فيها، لأن ذلك يعد مقياساً لما وصلت إليه الدولة ضمن مقاييس مستويات التنمية، هناك بعض القوانين التي تمنع تشغيل الأطفال الأقل من عمر **18** عاماً وبعضها الآخر يسمح بتشغيل الأطفال ولكن بشرط أن لا تزيد ساعات العمل

عن **6** ساعات يومياً**.** ولهذه الظاهرة العديد من التسميات الأخرى ومنها**:** التشرد، تشغيل الأطفال وأطفال الشوارع**,** كما أن هناك العديد من الدراسات اعتبرت أنه ليس كل عمل يقوم به الطفل يندرج تحت ظاهرة عمالة الأطفال وتأثيراتها لذا علينا التمييز بين مصطلحين هما عمالة الأطفال وعمل الأطفال، كما أن عمالة الأطفال لا تقتصر على الذكور فقط بل تشمل الإناث أيضاً، لكن نظراً للخصوصية ونظرة المجتمع فإن العديد من العائلات تخفي عمل الإناث لأسباب كثيرة**(3)**

وإعلام الطفل من أهم أنواع الإعلام إذا نظرنا له من جانب التقسيم بالشريحة العمرية، ولذا فإن الشركات تعمل على أساس أن الطفل عالم قابل للتشكيل بحسب الرغبات والأهداف المقصودة، وأنه رهان كبير على المستقبل والحاضر، إذ بامتلاكه والسيطرة على وعيه والتحكم في ميولاته يمكن امتلاك المستقبل والسيطرة عليه، فالطفل هو الغد القادم، وما يرسم هذا الغد هو نوعية التربية والتلقين التي نقدمها لهذا الطفل في الحاضر**(4)**

و لأن عمالة الأطفال من الظواهر المنتشرة في كل مكان وتعاني منها المجتمعات النامية والمتقدمة، فيجب العمل للكشف عن الأبعاد الكامنة وراء هذه الظاهرة التي برزت بشكل واضح مما يستدعي أن تتم دراستها ومعرفة أسبابها وآثارها، بالإضافة إلى عمل مقارنة بين ثلاثة تجمعات **(**حضرية**,** ريفية**,** مخيم **)** لكل منها خصائصها الجغرافية وظروفها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والسكانية لوجود نقص بالأخص في الدراسات التي تناولت هذه الظاهرة على شكل مقارنة**.**

لذلك يجب التعرف على الأسباب الحقيقة التي تقف وراء ظاهرة عمالة الأطفال في المجتمع الأردني، و السعي للتعرف على الآثار المترتبة على عمالة الأطفال، و من الضروري دراسة مدى تطبيق القوانين الخاصة بعمل الأطفال واقتراح مجموعة من الحلول الجدية والفعالة للحد من وجود عمالة الأطفال، ونوصي بذلك الإعلام و الإعلاميين في مواقعهم المختلفة بتزويد أصحاب القرار و السياسة بواقع عمالة الأطفال في الأردن بشكل خاص مما يخدم ذلك عرض ومناقشة تلك المشاكل في المؤتمرات وورش العمل العالمية، فضلاً عن الدور الشخصي للإعلام والإعلامين من خلال اقتراح مجموعة ممن الخطط والسياسات وانتقاء الحلول الأفضل لمواجهة عمالة الأطفال في الأردن**.**

المراجع**:**

1-وزارة العمل**,** **/http://childlabor.jo** .

2-كتاب التكليف السامي الأول لعلي أبو الراغب**,** **https://kingabdullah.jo/ar/letters/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%83%D9%84%D9%8A%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%A7%D9%85%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%84-%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%8A-%D8%A3%D8%A8%D9%88-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A7%D8%BA%D8%A8**

3-عبد القادر**,** الاء أسعد**,"** أسباب عمالة الأطفال**:** دراسة مقارنة**",** جامعة بيروت**,** كلية الأدب**,** فلسطين**,** **1019.**

4-الغامدي**,** ماجد بن جعفر**,** **"** الطفل و الإعلام**",** **http://www.saaid.net/tarbiah/213.htm** .

الرجل و ... المرأة

عـادل غـنـيـم
مـصـر

آدَمَ وحَوَّاء
بصرف النظر عن **«**نظرية التطور**»[1]**؛ المرأة خُلِقت من لحم**[2]** أما الرجل خُلق من تراب**[3]**؛ والفرق كبير بين اللحم والتراب، فالأول يعني الدم النابض بـ **(**شهوة**)** الحياة، والتراب لا يعني الموت أبداً، بل يعني التَجَّرد والاِنفصال عن العالم المُصطخب بالحياة إلى شهوة أخرى متمثلة في التَجلي والاستكشاف وتلقي العلم من المَلَأ الأعلى**.** اللحم هو الواقع الدنيوي الذي من دونه لا أطفال ولا ذرية، فالاستمرارية هي أساس نفسية المرأة، وهي بإنتاج الأطفال تُعيد بناء الحياة، وتمد الوجود البشري بطول الأمد **(**إلى حين**)!** شهوة الرجال **(**الحقيقية**)** هي التطلع إلى المعرفة، وفي منتهاها الذوبان في المِلّْء الإلهي - كل الرسالات السماوية أتت على أيدي رجال**!** وأي رجل أو امرأة أتى من امرأة - ما عدا **(**آدَمَ**)** و **(**حَوَّاء**)!** إن المرأة هي الحياة، والرجل هو **«**ما فوق الحياة**»!**

طبيعة المرأة
المرأة هي الحقيقة، هي الاستغراق والتواجد في الواقع لأقصى حد، وهذا ما يجعلها تصل إلى الحقيقة بسرعة، وهي في هذا الخصوص تتفوق على الرجل، فالرجل يصل إلى الحقيقة ويقول الصحيح؛ أما المرأة - فبشعورها - تضع يدها على حقيقة الأمر على الفور، كما تستطيع أن تميز بسهولة بين الكَذب والصدق، وإحساسها نادراً ما يخيب**.** فإذا وجدنا المرأة - في الوقت الحالي - تطالب بالتحرر الكامل - أو ما يسمى بالمساواة **(**الشاملة**)** بالرجل - فلابد أن نصغي إليها جيداً، فالأمر هو هام، فقد ازدادت الحياة جدية وأصبحت لا تحتمل هراء أو تورية أو افتعال أو مظاهر فارغة**.**

المرأة سمحت فيما مضى للرجل بأن يسود عليها في كل تفاصيل الحياة، وقد كان الداعم الأساسي لهذا الوضع هو رغد الحياة وسهولتها، أما حالياً فالمرأة لا ترغب في ذلك، ربما لأن الرجل لم يعد قادراً على الاستمرار في القيادة بمفرده، أو ربما بسبب أن الرجل - في عصر المعلومات - قد عاد إلى طبيعته الفطرية في الانشغال بأمور فلسفية نظرية تتعلق بالمعرفة والخلق والاِكتشاف وترك عالم الدم واللحم**.** إننا في بدايات زمن العلم والتَعلُّم والتحليق عالياً للرجل، وزمن الاستلهام ورد المرأة إلى طبيعتها الأولية في أن تكون صانعة للحياة وسنداً مهماً للرجل ومُلهمة له**.**

وحالياً سمحت المرأة لنفسها بارتداء الحجاب - كما يريد الرجال المُتَسلطين - ذلك برغبتها لا قهراً؛ لشعورها بوقت هذا لا أكثر، وكانت أيضاً - في نفس هذا الوقت - كما تريد هي لا كما يريد الرجل - نرى في مِصْرَ فتيات يُغَطينَ شَعرهنَّ **(**مُحَجبات**)** وهُنَّ يرتَدين بنطلوناً ضيقاً وأحياناً ممزقاً **(**عمداً**)**، وما زلنا نرى مَنْ هُنَّ معروف عنهُنَّ بأنهنَّ مُحَجبات - وأيضاً مُنْتَقِبات - وهُنَّ سيئات السلوك، ونرى في الغرب قانتات راهبات مُكَرسات لخدمة اللّه يَّرتدينَ السِروال القصير **(**الشورت**)** والقميص البسيط - الـ **(**تي شيرت**)** - أثناء ممارسة عملهنَّ التبشيري**.**

إن القلب والعقل هما مصدر السلوك**.** والسلوك هو مرآة لما يُحَاك في النفس من توجهات ورغبات تكون نتاج التربية والتعليم، لا المظهر الصِرف مطلقاً هو المُعلن عما يؤمن به الإنسان، لكن الهيئة العامة والأفعال هما المؤشران اللذان يُبينان لنا ماهية الإنسان**.** ولا يخفى علينا أن كل عاقل يستطيع أن يُمَيّز بين السلوك المُفتَعل والسلوك الحقيقي التلقائي النابع من القلب**.**

ونحن لا ندعي أن المرأة كائن ملائكي لا يخطئ، فالمرأة - تماماً كالرجل - تصاب بالأمراض النفسية التي تجعلها قاسية وحاقدة وغيورة، وهي تكون أشد شراسة من الرجل وقت الهجوم، وهي تستخدم وسائل ناعمة وخَشِنة لا تخطر

على بال رجل أثناء ذلك. إنها قادرة على أن تُحبط الرجل وتدمر مشاريعه العملية بالنَكَد المستمر، وقد تخدع الرجل بإظهار حبها له ورغبتها به لتستغله لتحقيق غاية ما أو لتسلب ما له، وقد تجعله يرتكب جريمة من أجل إرضائها، في الوقت الذي تكون كارهة له وتهييئ الطريق له إلى السجن. كما يمكنها أن تزلزل شرف رجلها فتدمر أُسرتيهما في لحظة، وقد تهدم بيوتاً مستقرة - بدافع الحسد أو الغيرة أو الإنتقام - من دون أن يدرك رجل البيت مَن المُتسبب في خراب بيته! ويجب على الرجال الإنتباه إلى هؤلاء النسوة المريضات، وأن يقوموا - بمساعدة الدولة - بمعالجتهن نفسياً وتجنيب أطفالهم من شَطَطِهنَّ!

حقوق الرجل والمرأة

إن للرجل وللمرأة حقوق وكذلك واجبات وإن اختلفت تلك الواجبات بسبب الاختلاف في قدرات كلٍ منهما، لذلك لا يصح أن نقول إنهما متساويان في الحقوق والواجبات بل هما متكاملان فيهما لصحة الحياة. إن كليهما مُطالب بالتعمير في الأرض. للمرأة واجبات تتقنها بالغريزة كتربية الأطفال وإدارة شؤون البيت من الداخل والاعتناء بالرجل نفسياً ومظهرياً. كما أن للرجل القدرة الفطرية على حماية الممتلكات وخوض الحروب والتفكير النظري. لكن في وقت «التشويش الفكري» - الذي نمر به حالياً - فقد كليهما (الحق) في أداء ذلك (الواجب)، وجعلنا اليوم نتفرغ للحديث عن «حجاب المرأة» مهملين كيفية (تَمْكِينَها) من أداء أعمالها.

المجتمع المريض

إن تَعنت بعض المجتمعات البشرية - في وقتنا الحاضر - بإصدار الأمر السُلطويّ بحجاب المرأة يدل على فشل تلك المجتمعات، ويشير بوضوح إلى واقعها المزري؛ بدليل أنها أنتجت رجالاً يستهويهم التفرس في المرأة واشتهائها جسديا فقط لا غير، ثم السعي لنوالها لمجرد إشباع غريزي. إن ذلك هرَاء بلا فائدة ولا إضافة حقيقية تثري حياة الرجل ونفسيته، فالرجل الذي يحب عمله والمنهمك فيه لا يهتم بمثل هذه التفاهات لأنه يكون مكتفياً بإثبات ذاته في عمله.

ونفس الأمر ينطبق على النساء؛ فالمرأة السوية لا تشتهي رجلاً بشكلٍ صرف، بل ما يكون دليلاً على صحتها النفسية أنها تحترم الرجل وتقدر أعماله وتتنبأ بمستقبله (الناجح) ومن ثم ترغب في الاقتران به وإقامة نسل منه واستكمال مسيرة حياتها معه. ففي الظروف الطبيعية (الصحيَّة)، المرأة - بإحساسها - هي التي تختار الرجل المناسب لها للزواج - لكن يكون ذلك متى أُتيحت لها الفرصة كاملة لتتعرف عليه - وهذه ميزة أخرى تتمتع بها النساء.

لا حجاب يُعلن عن إيمان امرأة أو عن عفتها، ولا غير حجاب يُعلن عكس ذلك، بل ما يُعلن عن هذا هو ما يُقرأ على الوجه وما توحي به لغة الجسد وكذلك الأعمال. والرجل السَوي لا تُثيره امرأة مكشوفة الشعر أو الجسد على الإطلاق، ولا حتى إغراء بالألفاظ أو بالحركات، بل إنه يَنفر من كل ذلك، وهو يحيل وجهه تلقائياً عن الجسم العاري، ولا يتفحص رجل جسد امرأة عابرة إلا إذا كان يعاني من فراغ في حياته - انتقل إلى ذهنه - فيكون في اهتياج غرائزه إثباتاً لذاته التائهة، وفي الفعل الجنسي تباهياً واكتساباً للثقة في النفس. ولم ينجح زواج بُني على علاقة جنسية صرفة، بينما ينجح الزواج إذا ما بُني على الاحترام والتقدير المُتبادلين - ومن قبلهما على المحبة - بين الطرفين. وهذا يتطلب تربية وتعليما متميزين نفتقدهما كثيراً. عجباً - في عالمنا العربي - لا تعارف جاد قبل الزواج، بل بعض من اللقاءات التافهة، أو مجرد عبارات مُتَكلفة بين الشاب والشابة في صالون المنزل مع وجود مراقبين!

السياسة المريضة

السياسة هي ترتيب العناصر المتوفرة لتعظيم أدائها لإنتاج أفضل ما يمكن منها، وليست السياسة مطلقاً رغبة بعض الأشخاص في الاستمرار في الحكم مستمتعين بـ (التَنّمر)[4] المَقيت - بحجة الحفاظ على الإستقرار -ومن أجل ذلك يمارسون شتى أنواع الوسائل - التي يسمونها سياسة - لخداع وتَخْوِيف وتوجيه وبلبلة فكر المجتمع، بل وأحياناً شل تفكيره، وتسليم إرادته لهم على الرغم من أن الإنسان خُلق بإرادة حرة. هذه سياسة مريضة حادت عن أهدافها في

صَون البشر وتنمية مواهبهم وتحسين سلوكهم ورُقيّهم، ومن ثم استقرارهم (ناجحين) - يبنون الحضارة - في المكان (الدولة) لمئات وآلاف السنيين.

لا يمكن لمن يَّدعى أنه سياسي - متواجد في الحكم - أن يفرض على نصف شعبه (النساء) - وبلا نقاش - بأن تُغطينَّ شعرهنَّ لكي لا تُثار غرائز الرجال وتتشتت أعمالهم فيقل إنتاجهم. إنه (الطاعة العمياء) قتل لإرادة المرء وتَغيِّيباً لذهنه. وكم يكون هذا تخلفاً بيّناً فاضحاً لهذا المجتمع يشير إلى قصوره ومراهقته الفكرية لو استجاب لهذا الأمر. في المجتمع السَويّ - عند التواصل بين أفراده - لا يهتم أحد بالشعر أو بالملابس أو بلون البشرة؛ بل يهتم بجوهر الفرد وروحه وثقافته - تلك العناصر تظهر في الأعين عندما تتلاقي أثناء الحديث - ويحترمه لكونه إنساناً بصرف النظر عن جنسه.

الحجاب الحقيقي

«حجاب المرأة» ليس مجرد تغطية شعرها وارتداءها الملابس الواسعة، إن هذا (مظهر الحجاب) ليس هو الحجاب نفسه، فالحجاب الحقيقي هو أن تحتجب المرأة أولاً عن الانسياق نحو أي شر - الذي لا يخفى على أحد - ثم ثانياً عن الصراعات القاسية، ومقارعة الرجال في محافل الحياة الصعبة مما يعرضها - لو فعلت - بالضرورة لكثير من المتاعب النفسية والجسدية تحطم كيانها الأُنثوي الرقيق، وتفقد بالتالي وداعتها وسلامها الذي تغذي به نفسية أطفالها ورجلها، بل والمجتمع بأسره بصفتها عضواً به. كيف يمكن أن تكون امرأة رئيسة مدينة أو مديرة شركة أو جُنْديَّة وهذه الأعمال هي مواهب فِطْرية للرجال، تماماً كيف نتصور أن يكون الرجل مُربي لأطفال في الروضة أو راعي لمسنين. إن لكل جنس عمله الذي تتجلى فيه مواهبة الطبيعية فيكون إنتاجه - عند آدائه له - في منتهى الفاعلية.

لذلك أمر الإسلام المرأة أن تحتجب - هذا النوع من الحجاب - وأن تتفرغ لأداء عملها الحقيقي (الكثير) و (المهم) المطلوب في نطاق البيت والأُسرة واختراق نفوس الأشخاص، فتتجلى مواهبها فيه، وينشأ على يديها جيل من الأبناء أسوياء نفسياً يصبحون إضافة للحياة وتحسيناً لجودتها. ويا لها من مهمة صعبة لا تقدر عليها سوى المرأة. وهنا يكون من مظاهر هذا الحجاب الهدوء والاقتصار والسلام العميق مع النفس.

إن عمل المرأة في المنزل يجعلها - متى خرجت منه لأداء مهمة ما - بسيطة في ارتداء ملابسها متخذة زياً جميلاً (إسلامياً)[5] يشبه زيَّ الرجال في (شبة الجزيرة العربية)[6]، ولن تشعر مطلقاً بالرغبة في التَزَيُّن وسط الناس، فذهنها ومشاعرها يكونان موجهان لأداء ما تقوم به لا أكثر، فهي مكتفية من كل شيء، موهوبة كلياً لبيتها وأولادها وحِسها المجتمعي ولا تخطر على بالها رذيلة.

وبهذا التعريف للحجاب نجد أن كثير من الرجال مُحَجبين، فذو التربية والتعليم الراقيين لا يفعلون الشر، وعادةً لا يرغب رجل في المكوث في المنزل يومين متتاليين، ولا رجل يريد أن يُرضع طفله اللبن صباحاً قبل مغادرة المنزل متوجهاً إلى عمله.

لقد أفسد الإعلام نصف سكان البشرية بهذه الترهات التي تجعل المرأة والرجل كائنان لديهما نفس البنيّة النفسية ونفس قوة الأعصاب والقُدرات العملية والتحمل الجسدي. هذا الإعلام مقصود ومُوجه لتدمير المجتمعات البشرية (الجاهلة) لكي يسود عندئذ - وبشكلٍ حاسم - الشعب أو الشعوب المُتعلمة التي تلتزم بسُنة الحياة.

التربية والتعليم

التربية أهم من التعليم، فبعد الأدب يأتي العلم، وقد مارس الإنسان الفنون والآداب قبل ممارسته (التقنيّة)[7] بآلاف السنين[8] لأنه كان يعمل بالسَجِيَّة لا بالعقل. والتربية تتيح للإنسان إذاك الخير والشر بسرعة بـ «السجية السليمة» - الناتجة عن طهارة النفس - من دون عِلم أو دراسة. في حين أن العِلم - من دون أدب - عادةً ما ينتج شقاوة ومتاعب، بل وجرائم لنوال ما يمكن نواله من دون حق. يمكن أن يستخدم أي شيء - مادي أو معنوي - في إنتاج الخير أو الشر حسب أدب مستخدمه، والتأديب الجيد ينتج أدباً وعِلماً وسلوكاً جيدين.

إن بناء الأُمم يأتي - قبل كل شيء - ببناء

الإنسان، والإنسان المُؤدب المُتعلم يمثل النموذج الصالح الذي تُقام عليه الحياة الجيدة، فهو لا يكذب- لا يسرق- لا يعتدي- لا يشتهي ما لغيره، ومتى عمل يكون عمله مُباركاً مُنتجاً للكثير المُفيد المُتنوع في مجال عمله. هذا النموذج الناجح من الرجال لا يَري امرأة من دون غطاء للشعر أو به، فغريزته تُكبح وهمجية الحيوان به تُقمع، كما أن انشغال عقله بالأعمال الجيدة يَصرفه كلياً عن صغائر كهذه، وبالمثل المرأة في مجال عملها.

ويل للمجتمعات التي تُعاني من البِطالة تلك الناتجة عن الجَهل وسُوء التربية، فالعمل تكليف من الله للبشر منذ (آدَمَ)[9] ومن لا يعمل يخالف ناموس الحياة وسُنة الله في خَلِيقَته. وفي زمننا هذا أصبح العمل فرصة لأنه أصبح نادراً نتيجة هذا الجَهل الذي أنتج نمواً سكانياً غير مدروس لا يواكبه نمو في حُسن إدارة وسياسة الموارد الطبيعية واستغلالها بأعلى كفاءة، وهذا أنتج نزاعاً مجتمعياً وتدنياً لمستوى المعيشة. ما دامت هناك أرض إذن هناك عمل، فالأرض - كما نعرف - هي مصدر الثروة، لكن سوء معالجة الموارد أطاح بقدرات شعوب كثيرة، وأنتج أجيالاً ضعيفة بائسة تعاني من الفقر والتخلف وتنشغل أذهانها بأتفه الأشياء.

إن المجتمع الفاضل لم يُبن بعد، وما تعانيه البشرية من ألام هو نتيجة انهيارها الأخلاقي في المقام الأول! فالجهل يعالج بسرعة بتلقين المعرفة، أما الأخلاق فتحتاج لكثير من العمل لإنشائها ونموها في الأفراد والمجتمع عامة، ويكون إثمارها في المدى الطويل. مع ذلك فالبداية قد حدثت بالفعل (مع ظهور الرسالات السماوية). إن هذه الآلام هي المخاض الذي سَيَلد هذا المجتمع المثالي المنشود.

وعندما يصح ذِهني الرجل والمرأة تسترد الحياة عافيتها، وتعمل البيئة من حولنا لصالحنا بعد أن كانت تعمل ضدنا، وتتدفق خيرات الأرض علينا بلا حساب، وننعم بالطمأنينة والسلام، ويتحول عملنا إلى لِعب وتَسلية على أرض فِردوسيَّة سهلة، لا كما هو الآن (كد وشقاء على أرض عاصية وَعِرة)، وتزداد الخيرات من كل ناحية، بل ويهطل علينا "منَّ[10] السماء"! عندئذ لن نتكلم عن حجاب شكلي للمرأة فهي ستكون مُحَجَبة تلقائياً نتيجة سلامة حسها.

فلنبدأ ببناء الإنسان، وإصلاح التربية والتعليم، وإضافة مادة (الدِين) كمادة أساسية في منهج الدراسة بالمدارس لدراسة الديانات السماوية بشكلٍ عام، ثم بشكل متعمق - لكل ديانة - في المعاهد والجامعات حسب اختيار الطالب!

لائحة المراجع والمصادر المعتمد عليها في المقال:

الرجل و ... المرأة

(رؤية عن حِجَاب المرأة)

المرجعيات الدينية:

1- «الكِتَابُ الْمُقَدَّسِ»: نسخة (كِتَابُ اَلْحَيَاةِ).

2- «القُرآن الكَرِيمُ»: مُصْحف (المَدينة النَبويَّة).

مصدر تعريفيّ: «نظرية التطور» (Theory of Evolution) و «التقنيّة» (Technology):

www.definitions.net

تَفْسِير كلمات: «التَنَّمر» و (الجلباب) و«العِقالُ» و«المَنُّ»:

معجم المعاني الجامع:

www.almaany.com

---

[1] «نظرية التطور» (Theory of Evolution): نظرية علمية تُفسر أَصْل أنواع النباتات والحيوانات وكذلك الإنسان للعالم الإنجليزي (تشارلز داروين) (Charles Darwin) (١٨٠٩-١٨٨٢).

[2] فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ، ثُمَّ تَنَاوَلَ ضِلْعاً مِنْ أَضْلاَعِهِ وَسَدَّ مَكَانَهَا بِاللَّحْمِ، 22 وَعَمِلَ مِنْ هَذِهِ الضِّلْعِ امْرَأَةً أَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ. الكِتَابُ الْمُقَدَّسِ (سِفر التَّكْوِينْ 2:21-22).

[3] جَبَلَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ مِنْ تُرَابِ الأَرْضِ وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ، فَصَارَ آدَمُ نَفْساً حَيَّةً. الكِتَابُ الْمُقَدَّسِ (سِفر التَّكْوِينْ 7:2).

[4] التَنَمر أو التَخْوِيف (Bullying): هو التلذذ باستخدام قوة ما (مزعومة أو حقيقية) - من قِبَل أشخاص أو حكومة - على الآخرين، ويمكن أن نسيمه «مرضاً نفسياً»، وهو مُجَرم في مِصْرَ.

[5] ... وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ... القُرآن الكَرِيمُ (سُورَةُ النُّورِ - ايَة 30).

[6] يرتدي الرجال بـ (شبة الجزيرة العربية) «العِقَال»، وهو غطاء لأعلى الرأس ينسدل على جانبي الوجه.

[7] التقنيّة: هي تطبيق المعرفة العلمية لتحقيق أهداف عملية في أي مجال، وترجمتها إلى الإنجليزية: (Technology).

[8] ظهر ذلك في الرسومات الجميلة المتناسقة التي اكتُشفت في كهوف «الإنسان الحجري»، وفي الفن المِعماري الراقي في الأزمنة القديمة.

[9] وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَفْلَحَهَا وَيَعْتَنِيَ بِهَا. الكِتَابُ الْمُقَدَّسِ (سِفر التَّكْوِينْ 15:2).

[10] «اَلْمَنَّ» (Manna): نوع من الطعام كالخبز المُسكر ينزل من السَّمَاءِ على الأشجار أو الحجر، ينعقد ويجف كالصمغ. أو قد يفرز من بعض الشجر.

الكفاية التأويلية: قراءة في قصيدة " تموز جيكور"

التهامي أغنيم
المغرب

توطئة:

نروم في هذا المقال تقديم قراءة نموذجية لقصيدة تموز جيكور للشاعر العراقي بدر شاكر السياب، هي قراءة يحكمها منطق الكفاية التأويلية التي تعتمد بالأساس على موسوعية القارئ، حيث القارئ من وفق هذا التصور الذي نطمح من خلاله مقاربة قصيدة **"تموز جيكور"** للشاعر العراقي **"بدر شاكر السياب"**، لا يوجد خارج المقروء، بقدر ما يجسد جزءا لا يتجزأ منه، إن المقروء منطلق أساس لكل قراءة تأويلية يرومها القارئ المؤول، الذي يُباشر قراءته وهو مزود بشتى التمثلات القبلية، التي تسمح له بممارسة التأويل.

1) بصدد الممارسة:

أ) أن تقرأ **/** أن تكتب أيها القارئ، يعني ببساطة أنك مارست التأويل، وأن تمارسه، يعني أنك تمارس كفاياتك المتنوعة على شتى الوحدات اللسانية الدالة التي يبثها المقروء، حتى يتسنى لك القبض عن المعنى الإيحائي الذي يكون خرْجا لكفاياتك، أنت كفء إذن**!** إنها ممارسة تبدو في غاية البساطة من حيث التنظير، بيد ما تغوص في الإجراء والممارسة، في الإنجاز والتفعيل، ما أن تدخل في مجال الاشتغال بصفة عامة، حتى تتماهى الخطوط المرسومة ويتلاشى وهم البساطة كسراب يحمل آماله ويذهب بعيدا، ثم يعود مرة أخرى ليطمئن، لا تساورك الشكوك في أهمية الكفايات في تلق الكتابة، لكن صعوبتها تكمن في كونها ليست معطى كي تحفظها **-** كما تعودنا في مسارنا التعليمي**-** ثم تعمل على تطبيقها أو إسقاطها بشكل ميكانيكي، على كل مقروء قد يمثُل أمامك، بقدر ما تكتسب بالممارسة والدربة الدائمة، وما إن تمتلكها حتى تغدو قادرا على صدّ كل الكتابات، قراءة وإبداعا.

ب) القراءة كتابة، والكتابة لذة وتدمير لكل صوت سلطوي قد يسكن المقروء، ويمحو أثر كتابتك، وفقا لذلك تُمارس الكفاية وتكتسب، وفقا لذلك اقرأ **"تموز جيكور"**، دون أن تشير إلى أقنعتك، فالقراءة إيحاء للإيحاء لا تقول ولا تشير إلى مرجع، فالمرجع خطيئتها وذريعتها، وقتئذ تصبح الكتابة تجليا حرّا للقراءة، إن كل معرفة تستطيع الكفاية الموسوعية أن تتمكن منها، تصبح تناصا لقراءات غائبة لن يعود بمقدورنا معرفة أصلها**:** التذكر والنسيان، آليتان لممارسة القراءة، آليتان لكتابتها.

ت) لن تستطيع تقديم عدة تأويلات لهذا المقروء، ليس لأن ما كنا بصدد الحديث عنه نظريا لا يمكن إجراؤه، من حيث احتمال كل كتابة لقراءات لا متناهية العدد، وإنما لأنك هنا لن تكون سوى قارئ واحد، وإن تعدد القراءات مرهون بالأساس بتعدد القراء، أو تعدد قراءات قارئ لمقروء واحد، لذا لن تكون قراءتك هنا سوى احتمال واحد من بين الاحتمالات الممكنة، كما أن كتابة القراءة لا تعني تسطير معانيك تجاه المقروء فحسب، بل تشمل طرائق إبداعها أيضا، أي قراءة القراءة **(Métalecture)**، ضف إلى ذلك أن قراءتك هذه لا ترقى إلى عدّها نموذجا للقراءة بالكفايات، فهي ستكون حتما على قدر ما تسمح به كفاياتك، وربّ قراء أكفاء ينسجون قراءات أخرى.

ناب الخنزير يشق يدي
ويغوص لظاه إلى كبدي.

2) بداية ونهاية**:** هكذا يبدأ المقروء، لكن ليس منطلقك نفسه أيها القارئ، فمجرد ما يُطلق العنان لاشتغال الكفايات لديك، حتى تتلاشى نقطة البداية وتتماهى معالمها، وإزاءها يغيب أفق النهاية ويُفترض، ووقتئذ لن تستطيع تحديد

نقطة انطلاق كفايتك الموسوعية، إنها خزان من تناص القراءات السالفة المنسية والضائعة، التي لا تدري أيها بالتحديد استندت إليها لإضاءة المقروء. الخنزير وحش بري نعرفه جميعا، في علاقته والمؤشرات الدالة التي بثها المقروء، قد يُمسي إحالة إلى أسطورة تموز، ما هي الأسطورة؟ -وهي الميثاق المسجل بينك وبين المقروء- هي انحراف دائموإبداع سياقات قرائية تتلاشى فيها أصوات الكتابة، سياقات تزيح الأسطورة في الآن ذاته عن أساسها وهيكلها الأولي، الانحراف لا يقتصر على تعدد القراءات، بل يجعل المقروء يقرأ ذاته ويقوّمها كل لحظة، مادام هناك قراء يكتبون قراءتهم، من دون أن يكون ثمة خرق لما سُمي "المواضعات الأدبية"، تستطيع إذن أن تقرأ المقروء كما تريد أن يصير وتصير، لكن في ظل الأسطورة التي بدورها تستطيع أن تُقوّلها مالم تقل، إذن بداية المقروء ونهايته الحقيقية، تظلان أفقا يفترضه القارئ وحده.

تأسس المقروء على نسيج من أصوات رئيسة: تموز، جيكور، عشتار، ما العلاقة المفترضة بينهما؟ قد تعرف مسبقا علاقة تموز بعشتار لكن ما علاقتهما بجيكور؟ تموز، يجسد إله الخصب عند البابليين قتله خنزير بري، فسال دمه ونزل إلى العالم السفلي المظلم، فماتت الطبيعة بموته، وفي كل عام تنزل حبيبته عشتار إلى العالم السفلي للبحث عنه، فتقبله قبلة الحياة ويعود إلى العالم العلوي(الأرض) باعثا معه فصل الربيع، ويصير دمه ورودا حمراء كشقائق النعمان، ولا يعدو هذا التحليل أن يكون أكثر من حكي تفصيلي للأسطورة، سَمِّ هذا الحكي دال الأسطورة أو شكلها العام التقريري، حيث الأمل والعودة والبعث منشود، هذا الدال هو حافز الأسطورة على التكاثر والتكثيف، ولتقول إن الأسطورة كلام يدل ويشير.

ودمي يتدفق ينساب:
لم يغد شقائقا أو قمحا
وتقبل ثغري عشتار،
فكأن على فمها ظلمه

3) التحول، انحراف الدال وبناء المدلول: الكتابة/ القراءة تدمير وإبداع، استطاع المقروء أن يدمر دال الأسطورة [الدم= القمح، والقبلة= الحياة] بغية بناء مدلولها [الدم ≠ القمح، القبلة ≠ الحياة]، حيث عمد المقروء إلى تفكيك الأسطورة التموزية واستخدام شكلها الأولي (الدال)، لإعادة إبداعها كتابة عبر مدلول خاص، وهذا ما أتاح له أن يجمع بين الصيغة البابلية والعربية للأسطورة، بشكل تكاد أيها القارئ لا تحس بأدنى تعارض بين الصيغتين، حيث يعطي لنفسه صفة تموز. ومن ثمة صيَّرها تتأسس على ثنائية: تموز عشتار وتموز جيكور، ليبني فراغا يمكن أن يسكنه أي قارئ قد يصبح ذاته تموز جيكور، أي مدلول الأسطورة، إذ في الوقت الذي تبني وتبدع مدلول الأسطورة، تبني في الوقت نفسه فراغا لأي قارئ محتمل، يقوم بالدور نفسه، فتموز جيكور يتخيل أن الخنزير البري الذي قتل تموز البابلي، نال منه أيضاً فسال دمه، لكن دماءه لم تتحول إلى شقائق النعمان بعد، كما هو الشأن عند تموز البابلي، بل غدت ملحا، وبعد ذلك ينشد أملا تجاه عشتار ويتمنى لو تقبله قبلة نور كالبرق يومضُ في عروقه فيضيء له الدنيا، بيد أن قبلتها كانت مظلمة لا تحمل أدنى شرارة الأمل في البعث والحياة.

عشتار التي تهب الحياة قبلة لتموز البابلي، لم تستطع جيكور أن تهبها لتموزها، تُمسي الأسطورة في المقروء على غير دالها، فهي ليست قالبا ولا قناعا، ليست مكانا لاختفاء المختفى، بكل بساطة هي كلام ... صوت لا موضوع له قد يكون محددا قبلا في المقروء، فالأسطورة وقد اتخذت مكانتها، تُدرك من خلال طرائق التلفظ بها، لتغدو صوت القارئ بالتحديد، الصوت المنفلت الذي لا/لن يقف عند حد ما، لكن يجعلها تتحدد في سياق ما، حيث كل أسطورة تحوي إمكانية الانتقال من وجود منغلق، صامت وأخرس، إلى وجود كائن يتلفظ، يشير ويقول، حينما تصبح أيها القارئ صوت الأسطورة ذاتها، إذاك تُمسي الأسطورة صوت أناك، ولا خوف عليك ولا أنت تحزن أيها القارئ المحتمل، سنعيد الأسطورة سيرتها الأولى، فغدا أو بعد يومين ستكون صوتك أنت، فانتظر فقط ريثما ينهي تدابير قراءته، واعلم أن

الكتابة كلما أوجدتها سرّا قالت: ما أجهلك.
عشتار: أنت لا تعرفها، لم تسمع بها قط، إذن هي خرساء صماء، لن تعني أي شيء، على الأقل لن تستفزك، وحين تقرأ، وتمتلك حق الكتابة، آنئذ لن تعود خرساء تماما بقدر ما تصبح نسيجا من الأصوات خُضعت لإبداعات القراء، بصيغة أخرى تحيا الأسطورة حينما تكون عرضة لممارسة القراءة، حينما يُضاف إلى دالها أشياء أخرى عبر القراءة، فمدلولها إذن هو تاريخ القراءات المتعاقبة عليها، تاريخ الإيحاءات المسندة لها من لدن القراء.

جيكور ستولد من جرحي،
من غصة موتي ومن ناري،

4)القراءة محو للاعتباطية: الانتقال من ثنائية تموز عشتار صوب تموز جيكور، تمت عبر تدمير صوت دال الأسطورة لتوائم محتوى المدلول الجديد الذي رغب المقروء في التعبير عنه، هذا المدلول المسند للأسطورة وفقا لدالها بدا أكثر صلاحية لرسم أفق رؤيا المقروء، حيث واقع الظلم والقهر الذي خيّم على عالمه صيّر الفرد مصروعا كما صرع تموز من لدن خنزير بري، بيد أنه لم يُبعث كما بُعث تموز البابلي، جيكور لم تمنح قبلة الحياة لتموزها. في مسار التحول ذاته، أليس كذلك أيها القارئ؟ أتشاطرني الرأي نفسه؟ حيث عمد المقروء إلى رسم معالم طرائق بعث الأمل لولادة جيكور، مسار يجسد انحرافا آخر للأسطورة، بعدما فشلت عشتار/ جيكور في بعث تموز، لذا سيجعل المقروء تموز باعثا لجيكور من صلب جرحه وغصة موته، وستنبت الأرض قمحا وتورق الطبيعة، ويفيض البيدر: محو دال الأسطورة، كل مدلول يصبح دالا لمدلول آخر محتمل.

دال الأسطورة ليس مجموع أصواتها، إنه شكلها الأولي، ومدلولها هو كل إيحاء محتمل يمكن أن يُسند لها:

الدال = قبلة عشتار ⬅ الأمل ⬅ بعث تموز ⬅ ولادة الحياة من جديد.
المدلول = قبلة عشتار ⬅ أمل البعث ⬅ الظلمة واندثار الأمل ⬅ موت الألق (موت الحياة).

مجموع دال ومدلول هذه الصيغة يصبح دالا لمدلول آخر هو:
المدلول الثاني= موت تموز ⬅ أمل بعث جيكور ⬅ الإخفاق والفشل.

وتبعا لهذا لن تكون العلاقة بين الدال/ الماثول والمدلول/الموضوع، علاقة اعتباطية أبدا، حيث تكون أثناء القراءة مسوّغة ومسيّقة، تمثلاتك ومعرفتك السابقة، أو المؤول الطرف الثالث في اشتغال العلامة السيميائية كفيل بتسويغها، إذ يضفي على المدلول ما يجعله يتلاءم والدال، لا أحد يستطيع التكهن بالمعنى الإيحائي الذي يمكن أن تُسنده لهذا المقروء- المعنى الإيحائي هو المدلول، والتقريري هو الدال- لكنك ستسنده حتما، هذه الإضافة لن تأتي من فراغ بقدر ما ستكون خرْجا لشيء سابق قد قرأته وصار ذكرى، أو شيء موجود في المقروء، فلنقل إزاء ذلك أن العلاقة هنا اعتباطية المبدأ حيث لا ندري أي من المعاني ستضيفها، لكنها حتمية المآل، لأن المعنى الذي ستسنده في الأخير للمقروء سيكون حتما في علاقة وطيدة بالدال الذي يشكل المعنى التقريري، إننا لا نفهم الإيحاء ولا نبدعه، إلا بالرجوع إلى التقرير، وتسويغ علاقة الدال بالمدلول جزء من عمل الكفاية الاستدلالية. إن الدال يؤسس المدلول، والمدلول يوسع الدال ويفتح له آفاق الملء، وتبعا له يصبح المقروء غنيا نتيجة تاريخ القراءات المتعاقبة عليه.

هيهات أتولد جيكور
إلا من خصّة دمي؟
هيهات أينبثق النور
ودمائي تُظلم في الواد؟

5) تناص القراءات وتفكيك الأسطورة: تمّ التواطؤ بيننا أيها القارئ على تعريف الأسطورة بوصفها كلاما يدل ويشير، هذا الكلام يكون في أصله مسنّنا من الدرجة الثانية: أي أن الأسطورة تحتاج بالإضافة إلى فك تسنينها اللغوي تفكيكا آخر بخصوص رموزها وإحالاتها، فهي ليست فضحا ولا تعرية، ليست قناعا ولا قالبا، إنها إشارة تكثف المعنى. نلاحظ أنه رغم الصورة التفاؤلية التي رُسمت للأسطورة بغية بعث جيكور، إلا أن "تموز جيكور" سيبقى في سجنه

مجروحا، حزينا، مادامت عشتار لن تؤدي وظيفتها كما أدتها مع تموز البابلي، فقبلتها مزيفة يكتنفها الظلام، ولم تحي في تموز جيكور غير موت الألق، كيف تعرّفت على انحراف الأسطورة؟ أمن المقروء؟ قد يكون كذلك، بيد أن هناك صدى الكلمات يتداعى من عشتار "أنشودة المطر" حيث يقف تموز ابتهالا أمام أنثى تتصف بصفة الماء، حينما تبتسم عيناها وتورق الكرم باعثة الحياة، هي صفات تغدو رمزا مليئا باحتمالات الخصب والنماء والعطاء... إحالات تجسد لحظة الولادة المأمولة: ولادة الطبيعة حينما يهطل المطر، الذي يتحول بدوره إلى رمز للأمل ووسيلة في بعث الحياة، مصير مشترك بين عشتار والمطر يتمثل في الأفول والرجوع: أفول المطر يعني محو صفة الماء عن عشتار ومن ثمة موت الحياة وتلاشي الأمل، عودة المطر وهطوله، منح لعشتار صفة الماء، عبرها تعيد الحياة وتبعثها، وتبعا له يكون نجاح عشتار في البعث رهينا بالمطر. ليس هذا سوى إحدى مدلولاتها، فعشتار "جميلة بوحيدر": عشتار العذراء الشقراء مسيل دم، صلّو ... هذا طقس المطر، إذاك يمسي المطر رمزا للدمار والفناء بدل البعث والولادة، ذلك الصدى الذي يتداعى فور بدء القراءة، عبره تُفكك الأسطورة، حيث تفكيكها لا يكون خرجا لمواضعات المؤسسة الأدبية، فتلك المواضعات تقف عند حدود الدال، أما المدلول فمسؤولية الكشف عن وظيفته مرهونة بمواضعاتك وحدك أيها القارئ، التي تشكلت عبر قراءاتك السالفة، وتجعل الأسطورة أقرب إلى الانحراف منه إلى الاختفاء والفضح، والانحراف بدوره هو ما يقوِّل الأسطورة كلاما، وذلك الكلام هو معنى الأسطورة الذي تمنحه أنت لها، وهو ليس سوى أثر لمجموع المعاني التي راكمتها حول الأسطورة، واعلم أن الذات القارئة ليست بريئة تماما، فما أن تقف أمام مقروئها، حتى تفتح أبوابا لقراءات سالفة تقارب عبرها مقرؤها. فافتح رؤاك على المقروءات لتجد نفسك دوما ترافق جلغامش في رحلاته الطويلة، وتصاحب السندباد في مغامرته السبع وأنت تردد رحل النهار، وتحمل مع سيزيف صخرته الصماء وتعيش مع المعري محنته، وتطوف مع فاوست في دهاليزه المجهولة، أتتقن السباحة؟ فأبحر مع أوديسيوس الوسيم بحثا عن الهوية المفقودة، وترافق عشتار للبحث عن تموز في العالم السفلي منتظرين ولادة الربيع، وقد تذهب مع ميدوزا فتتحجر عيناك وتُخطئ الطريق، وإن أصابك التعب الق عصا الترحال صوب طفولة أخرى حيث فينيق لتنبعث من رماده.

هيهات أتولد جيكور

من حقد الخنزير المدثر بالليل

6) تدفق الأفكار وانفتاح المقروء: تحدث لذة القراءة، حيث تتداعى القراءات السالفة وتتلاءم والمقروء، وقتئذ يتبع جسدك أفكاره الخاصة والممكنة، الأفكار التي لا تُشبه أفكارك، المقروء يستطيع أن يجعل منك أنا آخر، أنا لن يشاكل أي أنا محتملة قراءته للمقروء ذاته. يتساءل المقروء في النهاية عن إمكانية ولادة جيكور، في وقت تظلم فيه دماءه في الواد، كاتبا بذلك لحظة التشاؤم وانحراف المسار المألوف، حيث المقروء وهو يستحضر مراسم وطقوس الأسطورة التموزية، عمل على تحريف المسار الذي تتخذه أثناء بعثها للحياة، قصد الملاءمة والسياق الجديد الذي قد يكون المقروء رغب في إبرازه، إذ أسند لمسار الأسطورة مدلولا مأساويا معاكسا لدالها. وهو بذلك يكون قد أبدع أسطورة جديدة، إذ تستطيع حتما أن تصل -وإن لم تصل فلا بأس فكل القراءات محتملة- إلى أسطورتين تؤطران مسار المقروء توفرت لهما نفس العوامل من حيث البعث: الأولى، تموز عشتار بُعث إلى الحياة إزاء قبلة عشتار، والثانية: تموز جيكور، فرغم توفره على عوامل البعث نفسها التي توفرت لتموز عشتار، إلا أنه يستبعد الأمل في الحياة والنور المشرق، لا هو قادر على بعث جيكور ولا جيكور قادرة على بعثه، فالمغزى الأساس والمعروف من الأسطورة –وأنت أدرى بهذا- هو البعث والولادة الجديدة، وهذا المغزى لا يتحقق إلا من خلال فعل التضحية والفداء، وهذا ما لم يتحقق في مسار المقروء، القبلة كانت ظلمة والدم الذي سال لم يغد شقائقا أو قمحا يخصب الأرض، مثل تموز عشتار، بل غدا ملحا.

إن هذه النهاية لا يمكن أن تكون سوى بداية محتملة لقراءة أخرى، ألم يصادفك قط أيها القارئ الكفء أن توقفت عن قراءة مقروئك، رافعا رأسك أمامه حيث السماء وأنت تصلي راجيا المزيد، فتجثو على يديك مرة أخرى عسى أن تستمر القراءة، وبعد هنيهة تعيد مراسم الفعل ذاته، وأنت تخاطب نفسك، لا تنسى مرة أخرى، ليس لأنك لم تفهم أو لم تهتم بما تقرأ، ليس لأن المقروء بدا تافها، وإنما يجعلك تفكر وتتذكر، تُسائل شطط الذاكرة باستمرار عما سلف، فتتدفق المعارف وتتداعى كالسيلان، حينها يذكرك المقروء بما قُرئ ونُسي، فتجد ثمة إمكانية لرسم معالم القراءة من جديد، حيث المقروء وهو يستنطق الذاكرة في كل لحظة من لحظات القراءة، إنما يدلُّك على طرق قراءات محتملة عبر كلمات آمرة **(Mots d’ordre)**، تكون امتدادا لنهاية المقروء ذاته، فتموز الذي فشل في بعث جيكور وجعل التشاؤمية والمأسوية نصيبا لنهايته، تستطيع استنادا إلى تلك النهاية وتداعي القراءات، فتح بداية جديدة تتخذ مسار التفاؤل، حين لا تعرف من الأزهار غير شقائق النعمان، فتصير النهاية بداية محتملة، حيث يكون المقروء منفتحا لانهائيا، لا ذات ولا قارئ ولا علم أو تصور يستطيع إيقاف تدفق معانيه، فلا تبحث إذن عن المعنى أو حتى المعاني ولا تحاول أن تحاصرها، لكن وأنت تحاول ذلك، تجد نفسك تعيش وتتخيل وتتصور تعددية المقروء وانفتاحه.

المصدر المعتمد عليه في الدراسة:

السياب **(**بدر شاكر**):** أنشودة المطر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، **(**د ط**) 2012.**

ثنائية الحب والقتل، قديما وحديثا

آية الكحلاوي
مصر

في عام ١٩٨٥ قدم الثنائي إسماعيل عبد الحافظ وأسامة أنور عكاشة رائعة الشهد والدموع في جزئه الثاني، ومن ضمن الاضطرابات والصراعات الكثيرة التي قدمها المسلسل، نجد قصة الحب المضطربة بين ناهد وأحمد أبناء العمومة، قصة الحب التي ساورتها مشاعر الكره والانتقام والتشفي، هذه المشاعر رغم قوتها وتملكها وفيضانها على جو المسلسل إلا أنها لم تستطع أن توحي لعقل أسامة أنور عكاشة أن يجعل من أحمد أو ناهد قاتلين... لم يكن يتصور عكاشة أنه إذا فعل مؤلف في العقود التالية هذا الأمر فلن يكون فيه مبالغة في أحداث العمل الدرامي، هذه المشاعر رغم تأججها لم تجعل من أحمد يقتل ناهد كي ينتقم من عمه أو زوجة عمه، ولا جعلت من ناهد تقتل أحمد لتغريره بها وخداعها بعدما تزوجها لليلة واحدة ثم طلقها من أجل الانتقام، ثم ردها لعصمته وظل يتلاعب بها، ما جعلني ألجأ لهذا التقديم هي كلمات ناهد في المشهد الأخير من المسلسل، الكلمات التي تعمل بصدى عالي التردد داخل رأسي عندما تتوارد الأخبار عن قتل الشباب للفتيات باسم الحب في الآونة الأخيرة، فاستنكار وتعجب ناهد وهي تقول لأحمد بأدائها الرفيع: منطق جديد... أعمل كل اللي أنا عايزه باسم الحب... أكذب باسم الحب، أضرب باسم الحب... أقتل باسم الحب!! هي نفس علامات التعجب والاستنكار التي تظهر علينا عندما نقرأ مثل هذه الأخبار، غير أن ناهد كانت تقصد قتل الروح لا الجسد، حتى ناهد لم تتخيل الدماء التي ممكن أن تسيل باسم الحب!

بدأ الأمر بخبر قتل نيرة أشرف على يد صديقها محمد عادل بعدما رفضت حبه، تعاملت مع الحادث على أنه حدث عارض، يحدث لمرة واحدة كل عدة عقود ولن يتكرر، لكن الحادث تكرر بعدها لا لمرة واحدة بل مرات عديدة في بضع شهور، وبمنطق تبريري واحد وهو الحب! فمن نيرة لأماني لخلود لسلمى لإيمان..، تتغير الأسماء والضحايا متشابهون.

تكرار هذه الجرائم لهو أمر يثير الذعر والاندهاش والخجل، يثير الذعر بسبب وحشية الفعل، والاندهاش بسبب عدم منطقية الأسباب- أن يكون الحب سبب لمثل هذه الجرائم أمر يدعو إلى الدهشة- أمر غريب علينا نحن كعرب، ويثير الخجل عندما ننظر في عيون التراث والتاريخ الرابض في الظلام يراقبنا ونجد قيسا وجميلا وكثيرا وأشباههم يتابعوننا، وهذا المقال سيضع الماضي واليوم في ورقة واحدة، سنوضح كيف هو الماضي الذي تشمئز منه المرأة لما فيه من تسلط عليها، وكيف هو الحاضر الذي من المفروض أنها تحصلت فيه على بعض حقوقها.

كثرت قصص الحب في تاريخنا العربي، كقصة عنترة وعبلة وجميل بثينة وقيس لبنى وقيس ليلى وكثير عزة وتوبة وليلى الأخيلية وأبي نواس وجنان وأبي العتاهية وعتبة والكثير ممن لم يخلدهم الرواة أو الشعر العربي، وكل هذه القصص إذ انتهت بنهايات حزينة ولم يجد الزمان على أصحابها باللقاء إلا أنه ولا قصة واحدة منها انتهت بقتل أحد الطرفين للآخر ، أو بقتل الرجل لحبيبته التي تمنى وصلها دون غيرها من نساء جيلها.

ومن القصص التي أحبها وسأتعرض لها في هذا المقال هي قصة قيس وليلى، وكثير عزة، وأبي نواس وجنان، مع التعرض سريعا لقصة أبي العتاهية وعتبة لنرى مآل هؤلاء الأبطال.

قيس وليلى من أشهر قصص الحب على الإطلاق، ليس فقط لمأساة القصة وإنما لجمال الشعر الذي وثقها، الشعر الذي كتبه قيس في ليلى وحبه يجعل من القلوب القاسية قلوبا رقيقة عذبة لو درسها هؤلاء القتلة لما تجرؤوا قط على فعل جرائمهم، وهنا موضع إشارة

مهمة، وهي إلى أي مدى يستطيع الأدب والشعر والثقافة أن يهذب النفوس؟ فكلما اقترب الإنسان من الشعر والأدب كلما ابتعد عن الجريمة والعنف، الحكاية تقول أن قيس بن الملوح من بني عامر أحب ليلى العامرية من عشيرته منذ الطفولة، ولكن قيسا في مرة و ذات ليلة غلبه شعره وهزمته مشاعره، فعبر وأفصح عن حبه وهيامه بليلى في شعره، وكان من العادات القديمة التي لم يستطع الإسلام أن يغيرها، أن يحرم ويمنع من يشبب بفتاة- قولا وشعرا- من الزواج منها، لأنه سيكون مبعث شك وريبة أن هذا الزواج لم يتم إلا سترا للعار الذي وقع بينهما، وهذا التشبيب أكبر دليل عليه، فحلت الكارثة على قيس جراء شعره الذي ذكر فيه ليلى، وتم رفضه من طرف والد ليلى كزوج لها عندما تقدمت عشيرته لخطبتها، ولكن قيسا لم ييأس طالما ليلى لم تتزوج بعد، ومرة بعد مرة تخفق محاولات الوساطة التي كان يحاولها قيس، فلا رأينا قيسا يجمع صعاليك عصره ويذهب لبيت ليلى ليتعرض لها، أو يعتدي على أهلها، ولا رأيناه يهددها ويتوعدها، ولكنه راح يقول الشعر للتعبير عما بداخله فنجده يعبر عن أمله حيث يقول:

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا.

ولكن اليأس بدأ يتملكه بعدما علم بزواج ليلى وتصل إلينا حسرته ملتهبة كما هي كأن لم يمر عليها قرونا طويلة في قوله:

قضاها لغيري وابتلاني بحبها فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا.

وهنا أشير إلى أن الحب لم يكن وقتها خطيئة، بل اعتبره قيس ابتلاء من الله وعليه تحمله، بل ويلجأ إلى الله كثيرا في دعاءه فنجده يقول:

فيا رب سوي الحب بيني وبينها يكون كفافا لا عليا ولا ليا

فيا رب إذ صبرت ليلى هي المنى فزني بعينيها كما زنتها ليا

وإلا فبغضها إليّ وأهلها، فإني بليلى قد لقيت الدواهيا

وفي البيت الأخير يتناص مع نص دعاء صلاة الاستخارة، فقيس لم يفقد إيمانه قط كما فقد حبيبته بل نراه يزداد إيمانا، هذا ولم يتعرض بالسب لليلى ولا وبالوعيد والتهديد أبدا، كلها دعوات موجهة إلى الله وتعبير عن معاناته، وسيرة الموت والقتل عندما أتت على لسان قيس جاءت بهذه الطريقة:

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه وإن كنت من ليلى على اليأس طاويا

خليليّ إن ضنوا بليلى فقربا لي النعش والأكفان واستغفرا ليا

عندما فكر قيس في القتل والموت كحل لمعاناته، فكر في قتل نفسه، فركوب النعش حل إن لم ينل ليلى. وبعد كل هذه المعاناة والجراح والرفض والألم يختم قيس قصيدته بإلقاء السلام على ليلى، أكرر السلام، فيقول:

وإن مت من داء الصبابة أبلغا.. شبيهة ضوء الشمس مني سلاميا

فأين لنا برجال مثل قيس؟! على مثل حب قيس أن يغبط نساء عصرنا ليلى العامرية.

أما كثير عزة، فهو من شعراء العصر الأموي ، وسمي كثير عزة لعشقه عزة بنت جميل الكنانية، أعجب كثير بعزة وتغزل فيها، وكعادة العرب فهم لا يزوجون بناتهم لمن ذكرهن أو شبب بهن، وقد تزوجت عزة وغادرت مع زوجها إلى مصر، ولكن كثير ظل يذكرها ويهيم بها، وما يهمني من هذه القصة، هي القصة التي ذكرها أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني عن كثير عزة، يقول فيها: أن كثير عزة دخل على عبد الملك بن مروان، فقال له بن مروان أخبرني بأعجب ما رأيت من عزة، فذكر كثير قصة شتم عزة له، حيث كان يحج في أحد الأعوام وكانت عزة وزوجها يحجون في العام نفسه دون أن يدري أحدهما عن أمر الآخر، فلما كانوا في الطريق أمر عزة زوجها بشراء سمن لتحضير الطعام، فجعلت عزة تدور بين الخيام تبحث عن السمن حتى دخلت خيمة كثير دون أن تعلم أنها خيمته، وكان كثير يبري سهما، فلما رآها أُخذ حتى أنه برى يده حتى برى اللحم وهو لا يشعر وبدأ الدم يسيل، فلما رأت عزة ذلك دخلت وبدأت تمسح الدم بثوبها، ولما عادت لزوجها رأى الدم وحلف عليها أن تخبره بما حدث فأخبرته، فشتمها وحلف عليها أن تذهب معه حتى تقف على كثير

وتشتمه وتخوض فيه، ففعلت عزة ذلك وشتمت كثير حتى رضي زوجها، هنا لم يغضب كثير ولم يتعصب رغم أن سمة العرب التعصب والغضب السريع، ولكنه رد ردا جميلا على شتيمة عزة إذ قال:

هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استحلت

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة لدينا ولا مقلية إن تقلت

وهي أبيات من تائيته الشهيرة، ومعنى الأبيات أن هنيئا لعزة ما استحلته لنفسها من شتيمته والخوض في عرضه، فهي إن أحسنت أو أساءت إليه القول غير ملامة عنده، ولا هو يبغضها حتى إن هي أبغضته، فلم يرد لها الشتيمة أو يعيرها أو يفضحها بالقول، ليثور لكرامته التي أهدرتها عزة، ومن أشعار كثير في حب عزة نجده يقول:

أيا عز لو أشكو الذي قد أصابني إلى ميت في قبره لبكى ليا.

أيا عز لو أشكو الذي قد أصابني إلى راهب في ديره لرثى ليا

أيا عز لو أشكو الذي قد أصابني إلى جبل صعب الذُرى لانحنى ليا.

إن قوة الحب والمشاعر تبدو في هذه الأشعار السابقة التي لم يستطع أن يكتمها الشاعر فتبدت في كلمات عذبة وشجية كأنها مرثية يرثي بها حاله التي تستطيع أن تبكي الميت في قبره والراهب في ديره حتى أن الجبل صعب الركوب سينحني له عندما يسمع شكواه من عزة الغير مبالية به.

أما حالة أبي نواس وجنان فهي الأكثر شيوعا هذه الأيام ، عندما يتقدم أحدهم لخطبة فتاة لا يليق لها من نواحي كثيرة، فترفض الفتاة طلبه لطيشه أو خوفا من طبعه المتقلب أو غرابة أفكاره عنها، كما في حالة سلمى وصديقها التي أدت إلى حتفها، ومن المعروف عن أبي نواس انحلاله حتى أنه لقب بشاعر الخمر، عرف بخلاعته وأنه متقلب الهوى، وجنان هي حبيبته الوحيدة التي أخلص لها دونما عشيقاته، ولكنها صدته وجافته ولم تحبه كما أحبها، ربما لخوفها من طيشه وعدم مسؤوليته، وعدم وثوقها فيه، ومن الأجدر بأبي نواس أن تأخذه العزة وهو من يقول من هي جنان حتى تأباني، ولكنه أنشد قائلا، أبياته الشهيرة:

حامل الهوى تعب يستخفه الطرب

إن بكى يحق له ليس ما به لعب

تضحكين لاهية والمحب ينتحب

تعجبين من سقمي صحتي هي العجب

أبو نواس المعروف بلعبه وضحكه وخلاعته يبكي وينتحب! ولم يرد في شعره أنه أجبرها عليه أو هددها وتوعدها أو هجاها حتى، وليس أبو نواس هو الوحيد الذي يرفض، بل إن الشاعر أبا العتاهية والمشهور بزهده الشديد أو قل المتطرف، لم يولد زاهدا، إن ما أوصل أبا العتاهية إلى سكة الزهد هو حبه المرفوض، في حين يأخذ الرفض شباب أيامنا هذه إلى القتل وسفك الدماء، فإن الرفض أخذ أبا العتاهية للزهد والعفاف، وشتان بين الرجل الشاعر الأديب وبين الجاهل المتبلطج، أبو العتاهية هو إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، ولقبه يقال أنه اكتسبه لأنه كان ماجنا في بداية حياته حتى كاد يفقد عقله، وعتبة هي جارية الخليفة المهدي، وأخذ يشبب بها ويذكرها لمدة عشرين سنة حتى زمن هارون الرشيد، بلا ممل حتى تنسك وزهد. ومن العجيب أننا في وسط أشعار أبي العتاهية الزاهدة، نجد شعره في عتبة إذ يقول فيها:

عتب ما للخيال خبريني ومالي؟

لا أراه أتاني زائرا مذ ليالي

لو رآني صديقي رق لي أو رثى لي

أو يراني عدوي لان من سوء حالي

ويقول في صدها وهجرانها:

يا إخوتي إن الهوى قاتلي فبشروا الأكفان عاجل

ولا تلوموا فيّ أتباع الهوى فإنني في شغل شاغل

إن الأجيال الجديدة هي في قطيعة مع أدبها وماضيها وتاريخها، والأدب هو الوحيد الذي يستطيع أن يجعل من المفسد مصلحا ومن الجاهل عالما، ومن المتعصب هادئا ومن الغضوب حليما، ومن المحب عفيفا، وهذا هو الذي فهمه وعرفه قيس ليلى من قرون زائلة، إذ نراه يقول في تداويه بالشعر:

فما أشرف الأيفاع إلا صبابة ولا أنشد الأشعار إلا تداويا

فما أحوجنا نحن نساء اليوم لرجال مثل قيس ورفقائه، كم نحن بحاجة إلى رجال الماضي.

المراجع:

1 -موقع الديوان، موسوعة الشعر العربي.

2 -مجنون ليلى بين الأدب العربي والأدب الفارسي د/ محمد غنيمي هلال.

3 -نصوص من العصر العباسي الأول والثاني د/ هانم السيد شاهين.

4 -كتاب الأغاني.

العلامة اللغوية وفائض المعنى: نحو تأويل موضوعي

مصطفى امرشيش
المغرب

تبحث النظرية السيميائية في تحليلها للغة عن المعنى الموضوعي الذي يستجيب لقصد مستعملالعلامة، بتحري طبيعتها وموقعها داخل نظام سيميائي معين، بينما يتجه البحث في النظرية التفكيكية نحو العلامة نفسها لتفجيرها، وتجريدها من كل سياق موضوعي، جاعلة من التناظر بين موضوعات العالم الخارجي المشكلة للكون أساسا لكل عملية تأويل. فالتأويل ها هنا، في حقيقة الأمر، تفكيك يلغي قصد النص، ويعيد بناء موضوعاته وفق نموذج توليدي، ليست له قواعد صارمة. ومرد هذا إلى النقص الموجود في القوانين التي تحكم الفكر نفسه، ولهذا نجد دريدا في "الكتابة والاختلاف": "يصر على أن قواعد اللغة -إن نحن سلمنا بوجودها- غير ثابتة، فاللغة تتشكل من الاختلاف، ما يشجع المؤول على توليد دلالات كثيرة ومتعددة من الجملة الواحدة، ناهيك عن النص الواحد" **[1].**

ومما لا جدال فيه أن الاختلاف بين النظريتين السيميائية والتفكيكية لا يلغي اشتراكهما في بعض العناصر، إذ إن كليهما ينتصر لمبدأ التأويل المفرط، بمعنى أن عملية التأويل في كلتا النظريتين هي بداية لتأويلات جديدة، فالنص سلسلة لا متناهية من العلامات الدالة والتي تكون دلالتها مجرد بداية لدلالة أخرى، وهذا ما يشكل سيرورة العلامة أو ما يصطلح عليه في سيميائيات بورس بالسيموزيس، وكما يقول أمبيرطو إيكو: "سيكون من حق المؤول، داخل كون يحكمه منطق المماثلة والتداخل الكوني أن يفترض أن ما يعتقد أنه دلالة علامة ما فإنه لا يشكل في واقع الأمر سوى علامة تشير إلى دلالة إضافية"**.[2]** ويدفعنا هذا التماثل إلى التساؤل عن إمكان توقف المعنى. بمعنى كيف يتوقف ومتى؟ وما الذي يدفعنا لاختيار وتبني فهم معين باعتباره الفهم الذي يتوقف عنده المسار التوليدي؟

دفعت هذه التساؤلات السيميائيين إلى ابتكار برامج ونماذج لحصر بنية الأنظمة اللسانية وتمكين المؤول من أدوات لحصر المعنى دون الرجوع إلى قصد المؤلف، وهذا يحتوي على مفارقة لأن السيميائيات تسعى إلى تحديد دلالة العلامة وفق ما أراده المؤلف دون الرجوع إليه، بمعنى إيجاد قصد المؤلف من خلال العلامات التي تكون النسيج النصي فقط. ولهذا نجد أمبيرطو إيكو "يتحدث عن العمل المفتوح"**[3]** الذي يتميز بقبول قراءات متعددة، مرجعها إلى الشرخ الحاصل بين قصد النص وقصد القارئ، فالنص سلسلة من العلاقات التي توجد بعد الواقعة الخطابية، ما يجعله محتفظا بمسافة عن المرسل والمرسل إليه.

إن الوصول إلى تأويل أحادي عملية معقدة، إن لم نقل مستحيلة، لأن الجملة -وهي أصغر وحدة في الخطاب- تخضع لتحولات كثيرة قبل الظهور على السطح، ولهذا كان الوصول إلى البنية الأولية للدلالة أمرا صعبا لتعدد الإمكانات التركيبية. لكن التحليل السيميائي رغم ذلك - وإن كان ينطلق من فكرة استقلال المؤلف عن عمله - يتحرى الموضوعية ولا يخرج بالدلالة عن القصد الذي أراده المتكلم. فالنص يحتوي على بنيات ينبغي للمؤول أن يبرزها لكشف المغيب من خلال الظاهر، انطلاقا من قواعد محددة تمكنه من تقصي توالد الدلالات.

تنطلق السيميائية في تعريفها للعلامة من لا نهائية فعل التدليل، بحيث يقتضي العلم بالدال علما بالمدلول، ثم يصبح المدلول دالا في مسار تدلالي آخر في إطار ما يسميه بورس ب"الانحدار اللانهائي للعلامة"**[4].** وهذا بخلاف تفكيكية دريدا التي تنسلخ من كل قواعد التأويل، ليصبح غياب القاعدة هو القاعدة الأساس في تحديد المعنى في منهجه، وبذلك

يصبح تخمين القارئ عنوانا لكل تفسير، فيتلاشى الدال ويبرز الدور المحوري للمدلول المنعزل عنه، وتعطى السلطة للمؤوِّل المستبد الذي يستطيع أن يستخرج من النص ما أراده من دلالات دون الالتفات إلى السياق الذي يختزل فرضيات المعنى ويؤكد محدودية النظام السيميائي.

وقد انتبه أمبيرطو إيكو إلى هذا الفرق الجوهري بين التصورين السيميائي والتفكيكي، جاعلا من الأول -أي السيميائي- وسيلة للبحث عن جوهر الدلالة الذي ينفصل عن عملية التأويل ومن الثاني مدخلا للتأويل المضاعف حيث نلفي انفتاحا للنصوص علىتعدد القراءات، وانسحابا شبه كلي للعلامة التي تزحف بكل دلالاتها نحو دائرة المحتمل؛ يقول إيكو: **"**لقد خلف لنا التاريخ تصورين مختلفين للتأويل، فتأويل نص ما حسب التصور الأول، يعني الكشف عن الدلالة التي أرادها المؤلف، أو على الأقل الكشف عن طابعها الموضوعي، وهو ما يعني إجلاء جوهرها المستقل عن فعل التأويل. أما التصور الثاني فيرى على العكس من ذلك أن النصوص تحتمل كل تأويل**"[5].** وإذا احتملت النصوص كل تأويل غابت الحقيقة، ودمرت الدلالة، واتسعت الهوة بين قصدي المؤلف والقارئ، واتجه المؤول نحو الحفر في جوانب المعنى بدل استهداف الجوهر، ومن ثم يغيب مفهوم القصد نفسه، ومعه مفاهيم النسق والسياق والمرجع، لتتفشى **"**وحشية التأويل وخشونته**"[6]** بتعبير سوزان سونتاغ، وتتبدد العلاقة بين قطبي العلامة اللغوية، بحيث يصبح الدال دالا على كل شيء بفعل التماثل الموجود في العالم والذي يسهم في بناء دلالات جديدة بعيدة عن الدلالة الأصلية، إلى حد يمكن معه في بعض الأحيان أن نعتبر النتيجة التي يصل إليها المؤول شيئا آخر لا ينتمي إلى حدود النص، ولا يندرج البتة ضمن استراتيجياته، فعندما فقد التأويل نظامه القاعدي وأصبح فعلا لا واعيا لا قواعد له، فقدت النصوص أيضا تنظيمها الدلالي واتسمت بالانفتاح الذي يقود في الغالب نحو المجهول، حيث يصبح التأويل أداة لإفقار النصوص بدل إغنائها، وذلك بسبب تجريدها من الصورة المرجعية والاحتفاظ بالمفهوم الجاف والمائع، ومن ثم إحداث شرخ كبير بين الفكر والعالم، بتغييب التلازم الضروري بينهما، والاكتفاء بظلال المعاني بدل معاني الأشياء كما هي في العالم الخارجي، تقول سوزان سونتاغ في مقال لها بعنوان **"**ضد التأويل**":** **"**إنه انتقام الفكر من العالم، فالتأويل يعني الإفقار -استنفاد العالم- من أجل رسم عالم يتكون من ظلال المعاني**"[7]**، ولذلك ينبغي أن نحقق نوعا من المصالحة بين اللغة والمرجع لإعادة الألفة بين ما يعنيه الكاتب وما يقوله النص، وبين ما يقوله النص وما يرغب فيه القارئ.

وبالعودة إلى النظرية السيميائية، وبالمقارنة مع النظرية التفكيكية، فإنها على الأقل متشبثة بوجود دلالة أصلية للنص يقودنا إليها مسار معقد من الضرورات التي تقيد حرية المتلقي في التعامل مع النص، وتفرض عليه نوعا من الموضوعية والحياد الصادرة عن منطقية العلامة اللغوية، مما يقلص من فرضيات المعنى بفعل تبني مفهوم التمفصل المنطقي للمقولة الدلالية، بحيث يؤدي العلم بالشيء إلى العلم بشيء آخر يرتبط به في إطار لزومية دلالية مضمرة خلف علاقات التكامل والتناقض والتباين التي تفرز نقاطا للتلاقي.

يرى كل من غريماص وراستييه أن **"**الذهن البشري لكي يتوصل إلى بناء موضوعات**:** ثقافية، أدبية، تصورية، خرافية، ينطلق من عناصر بسيطة ويتابع مسارا معقدا من الضرورات أكثر من الخيارات، إذ يضعان في الحسبان تاريخانية التجليات **(** إنتاج وتنظيم الدوال **)**، فالتحققات سواء كانت مضمرة أم لا، تعتبر نسقا قيميا جدليا محايثا لجميع البنيات السيميائية للمجتمع المعني، وأي كاتب باعتباره مخرجا لموضوعات سيميائية سوف يتحرك في نطاق معرفية ما، تكون هي ناتج فرديته والمجتمع الذي يحيى فيه**"[8].**

لا يقيم ديريدا وزنا للنطاق المعرفي الذي يحيط بالكاتب، لأنه لم يعد مهما بالنسبة إليه أن يبقى التأويل في دائرة فهمالمؤلف، أو محاولة ذلك، فالنص ذو استقلال دلالي عن دلالة التلفظ

الأول، بمعنى أن العبارة التي تثق فيها الكتابة وتودع فيها المعنى الصوتي ليست قادرة على تحمل التجربة الحقيقية بكل حيثياتها، فالكتابة فقيرة وميتة لا يمكن أن تكون خطابا، إلا بوجود القراء الذين يمتلكون القدرة على القول واستنطاق المكتوب.

وكأن دريدا لما نادى بالقتل التام للمؤلف بقتل عمله (فعل الكتابة) احتاج إلى من يعيد الثقة في الخطوط والرموز عبر شحنها مجددا بالحياة (المعنى)، فاستنجد بالقارئ الذي يمتلك القدرة على استنطاق النصوص والتحدث بصوتها لا صوت مؤلفها الذي ما يزال مفارقا للحياة. لكن إذا اختلف القراء فإن الأصوات ستختلف، وهذا يدفعنا إلى أن نعيد النظر في ما يقوله هؤلاء عن النصوص، أهو من صميمها أم هو مجرد أصداء وظلال لأصواتها ومعانيها؟

إن تعميم النص نفسه على قراء مختلفين لن يأتي بالنتيجة نفسها، إذ ستختلف قراءاتهم باختلاف مشاربهم الثقافية وأنماط التفكير المهيمنة لديهم، وستكون قراءتهم مبنية على نوعية الفرضيات التي يطرحونها حول نصوصهم، فالمعرفة السابقة تحظى في كل تأويل بعناية فائقة، حيث يصبح الإدراك محاطا بأفكار قبلية تتحكم في مصير التأويل وتفرض على القارئ مجموعة من الاختيارات. فإذا قمنا بإخضاع مجموعة من الطلبة الذين ينتمون إلى المستوى الدراسي نفسه لتجربة يقوم خلالها كل فرد منهم بتحليل قصيدة شعرية، فإن النتائج التي سيتوصل إليها كل واحد منهم ستكون مختلفة عما توصل إليه الآخرون ومتعارضة معه أحيانا، وإذا قمنا قبل تزويدهم بتلك القصائد بتضييق أفق التحليل لديهم، عبر تحديد بعض العناصر المهمة داخل بنية القصيدة وإبرازها من خلال ملاحظات سابقة لعملية التحليل، فإن هذا سيؤدي حتما إلى تأويلات متقاربة نسبيا بالمقارنة مع المرحلة الأولى التي قدمت فيها القصائد مجردة عن أي توجيه. الشيء نفسه يحدث في نظرنا أثناء استنطاق النصوص المكتوبة حيث يصبح السابق جزءا من اللاحق وتسهم التمثلات في تحقيق التفسير والفهم والتأويل.

عندما يتحول الخطاب إلى نص يفقد التحديدات السياقية الأساسية التي تدخل في تكوينه، فتحل هذه التمثلات محلها، ويصبح بذلك فهم النص معرضا لسوء الفهم الذي يمكن اعتباره نوعا من الفهم كذلك، فالمؤول يقرأ النص في ضوء الفرضيات التي يستمدها من تمثلاته المختلفة، ويختار من المعاني المعنى الأمثل الذي يستجيب لما هو حاضر في النص، ويعدل من فرضياته باستمرار كلما تقدم في القراءة باحثا عن نوع من التطابق بين المعنى المدرك والتفسيرات الممكنة للبنيات اللغوية الخاضعة للمعالجة الذهنية، ويصبح كل معنى مدرك فرضية مؤسسة للمعاني اللاحقة. ويوضح دريدا الاختلاف القائم بين الكتابة والصوت، من خلال المثال التالي:

-"ألو، أيمكن أن تكتب ل "لوموند" الأحد مقالة في اللغة؟

يتساءل دريدا عن كيفية تحديد المعنى الحقيقي المقصود من هذا الكلام إن كان مكتوبا، هل نعتبره تساؤلا عن القدرة أم الموافقة؟"[9]

إن تحديد تأويل للمعنى يحتاج إلى تواصل حسي يؤسس لعلاقة حية بين طرفي الحوار، علاقة تغني عن الحاجة إلى الإحالة وتمنع العلامة اللغوية من التضخم الذي يؤدي إلى نزول قيمتها الدلالية وتراجع حضورها أمام فيض الدلالات. وهذا بالتحديد ما تفتقده الكتابة في نظر دريدا، لكونها لا تمتلك نبرة الحوار ولا تحتفظ بالسياق؛ يقول معلقا على تأويل المثال السالف الذكر: "إن تأويلي سيعتمد على نبرة الحوار وعلى العلاقة التي ستجمعنا على طرفي الخط، وعلى ألف معطى آخر. بإيجاز على سياق لا يمثل على الفور سياقا لغويا، إنه نص أوسع، دائم الانفتاح ولا يتحدد بفن الخطاب وحده"[10]. ويخلق اللاتحديد أزمة تأويل تشتد في الأدب بحكم المسافة الجمالية التي يقيمها بين تاريخية التأليف وحداثية القراءة، فالأدب "يخلق مجتمعا متخيلا يسكنه مؤلفو الماضي والقراء الآتون". [11]وهذا بالتحديد ما انطلقت منه مدرسة براغ حينما زعمت عدم وجود تطابق معنوي بين ما يقوله النص باعتباره نظاما من العلامات وما يقوله القارئ أثناء تفسيره لبنياته، لأن تفسير

النص من هذا المنظور لن يكون سوى استخداما للنصوص المحللة لخدمة مدلولات معينة، فالنص مجاوز لسياقه التاريخي، ولا توجد شروحات وتفسيرات أحادية أو متطابقة مع النصوص عموما والأدبية منها على وجه الخصوص.

---

[1] دريدا جاك، الكتابة والاختلاف، ترجمة كاظم جهاد، تقديم محمد علال سيناصر، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ٢٠٠٠، ص ١٠٣.

[2] إيكو أمبيرطو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠٠٤، ص٥٥.

[3] إيكو أمبيرطو، التأويل والتأويل المفرط، ترجمة سعيد بنكراد، ص ٣١.

[4] إيكو أمبيرطو، التأويل والتأويل المفرط، ترجمة سعيد بنكراد، ص ١١٩

[5] إيكو أمبيرطو، التأويل والتأويل المفرط، ص ١١٧.

[6] سونتاغ سوزان، ضد التأويل ومقالات أخرى، ترجمة نهلة بيضون، ص٢١.

[7] سونتاغ سوزان، ضد التأويل ومقالات أخرى، ص٢١.

[8] غريماص بالتعاون مع راستييه، مقال بعنوان: حركية الضرورات السيميائية، ترجمة عبد الحميد بورايو، ضمن كتاب: المنهج السيميائي الخلفيات النظرية وآليات التطبيق الذي يشتمل على مقالات لغريماص وكورتيس وآخرين.

[9] دريدا جاك، الكتابة والاختلاف، ترجمة كاظم جهاد، تقديم محمد علال سيناصر، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ٢٠٠٠، ص ٦٥.

[10] نفسه، ص ٦٥.

[11] تودوروف تزيفان، الأدب في خطر، ص ٣٣.

مقومات القصة القصيرة جدًّا

"قبل النوم بقليل" للقاص المغربي حسن برطال نموذجا

ياسين اليعكوبي
المغرب

توطئة:

تُعَدُ القصة القصيرة جدًّا من الفنونِ الأدبيةِ الحديثةِ التي ظهرتْ منذ التسعينيات من القرنِ الماضي؛ نظرًا لمجموعةٍ من الظروفِ الاجتماعيةِ والاقتصاديةِ والسياسيةِ والثقافية. وللقصةِ القصيرةِ جدًّا عدّةُ خصائص نذكر منها:

ـ الاختزال والتكثيف: وهي من أهمِّ سماتِ القصةِ القصيرةِ جدًّا، إذ لا ينبغي لكاتبِ القصةِ القصيرةِ جدًّا أنْ يَدخُلَ في التفاصيل، بل عليه أنْ يختزلَ إلى أكبرِ حدٍّ ممكن، ولعلَّ هذا من بين صعوبات كتابة القصةِ القصيرةِ جدًّا، ولعلَّ الغايةَ من هذه الخاصية هي تركُ مساحةٍ للقارئ من أجلِ التأويل، هذا الأخير الذي يختلفُ باختلافِ القارئ، فلو أنَّ الكاتبَ ذَكَرَ كلَّ شيء لنْ يكونَ هناك مجالٌ عند القارئ لتشغيلِ مخيلتِه قصد التأويل، ولهذا الغرض يستعملُ الكاتبُ نقطَ الحذفِ الدالةِ على غيابِ المنطوق، كما أنَّ الاختزالَ والحذفَ قد يكونان لأسباب سياسية واجتماعية وأخلاقية وفنية وإبداعية.

ـ السخرية: تُعَدُ السخرية مِن أهمِّ مميزاتِ القصةِ القصيرةِ جدًّا، إذ لا تكادُ تخلو قصةٌمن القصصِ القصيرةِ جدًّا من هذه الخاصية، حتى أنَّ القارئَ لها يَخالُ نفسَه يقرأُ نكتةً أو مستملحة، غير أنَّ توظيفَ الكاتبِ للسخريةِ لا يكون بغرض التّنكيت، وإنما يضمِّنُ القاصُ من خلالِها رسائلَ مشفّرة ينبغي للقارئِ فكّ شفراتها.

ـ القفلة المدهشة: ويقصدُ بها النهاية والتي من شروطِها أنْ تكونَ مدهشةً وصادمة، بحيث لا يمكنُ لها أنْ تخطرَ على بالِ القارئ، وفي القفلة المدهشة تكمنُ المُفارقة.

ـ محدودية الكلمات: اتفقَ أهلُ الاختصاصِ في هذا المجال على ألا تتجاوزَ ال"ق.ق.ج" الخمسين مفردة دون احتسابِ حروفِ الجر، ففي حالة تم تجاوز هذا العدد قد نصيرُ أمامَ أُقصوصة. وعمومًا هناك خصائص كثيرة تميِّزُ القصةَ القصيرةَ جدًّا كجنسٍ أدبي، منها ما هو فني ومنها ما هو دلالي، وما الخصائص التي ذكرناها إلا جزءٌ بسيطٌ منها.

ومِن أهمِّ روّادِ القصةِ القصيرةِ جدًّا: زكريا تامر(من سوريا)، محمود شقير(من فلسطين)، ومن المغرب: فاطمة بوزيان، عبد الله المتقي، الزهرة رميج، وحسن برطال الذي سنتَّخذُ من مجموعتِه القصصية الأخيرة "قبل النوم بقليل" نموذجًا نبيِّنُ من خلاله مقوماتِ القصةِ القصيرةِ جدًّا عنده.

"الابن الرقمي" هو عنوان أول قصةٍ ضمن المجموعة: "لم تجد فيه الذكاء المنشود فتركته (فارغًا) وتكفلت بهاتف تشحنه خمس مرات في اليوم".

تميَّزتْ هذه القصةُ بالتكثيفِ والاختزال، بحيث لم تتجاوزْ سطرين، وقد استطاعَ الكاتبُ أنْ يُصوِّرَ مِن خلالها واقعَ بعض الأمهات في عصرِنا الحالي، ممن أدمنَّ على الهاتفِ وأغفلنَ تربية أبنائِهن، وهو الأمر الذي نجدُه مع بطلةِ القصة؛ فبدل أنْ "تشحنَ" ابنَها وتهتمَّ لحالِه فضَّلتْ أنْ تشحنَ هاتفَها، كما تميَّزتْ هذه القصة بوجودِ قفلةٍ مدهشةٍ، فالقارئُ للقصةِ ينتظرُ من الأمِّ أنْ "تشحن" ابنَها بعدما لم تجدْ فيه الذكاءَ المطلوب، لكنه في النهاية يُصدَمُ بأنَّها لم تهتم لأمرِه وتركته على نفسِ الحال، وقررتْ في المقابلِ شحنَ هاتفها!

القصة السابعة ضمن المجموعة "قبور الأثرياء": "أكدت له العرافة على أن الكنز سيكون في قبر أخيه، فعجل بقتله ليصل إلى مكان دفنه".

صوَّرَ لنا الكاتبُ من خلالِها حالَ بعض الإخوة الذين قد يدفعُ بهم الطمعُ إلى قتلِ بعضهم بعضًا، كما هو الشأن بالنسبةِ لبطلِ القصةِ الذي قَتَلَ أخاهُ طمعًا في الحصولِ على الكنز غير آبهٍ بما يجمعهما من أخوة، فكمْ صادفنا على مواقعِ التواصلِ الاجتماعي قصصًا من هذا القبيل

لأشخاص قتلوا إخوتَهم من أجلِ الإرث، فكما يُقال: " قديمًا كان الإخوةُ يقسمون الإرثَ، أما اليوم الإرثُ يقسمُ الإخوةَ"، وهذه القصة هي الأخرى تميَّزتْ بالاختزالِ وبوجود قفلةٍ مدهشةٍ.

وقد جاءتْ القصةُ الثامنةُ ضمن المجموعة تحت عنوان "رِجل وحذاء": "هو لباس لها وهي تعيش في قلبه، هذه المرة خرجت ولم تعد وفي المخفر تلقى خبر وفاتها تحت التعذيب و(الفلقة) وسؤالا: لماذا يجمعكما (الشارع) ويفرقكما (البيت)؟"

وقد اختزلَ من خلالها الكاتبُ كميةَ النفاقِ الاجتماعيّ الذي يتخبّطُ فيه بعض الأزواج، بحيث تجدُهم في البيتِ يعيشونَ في صراعٍ دائم، لكنَّهم يَظهرون للناسِ خارجَ البيت على أنَّهم أزواجٌ مثاليون، وأنَّهم يعيشونَ في سعادةٍ وهناءٍ، والحالُ أنهم ليسوا كذلك البتة.

في حين نجده قد مَحوَرَ القصةَ الثانية عشر من مجموعته الموسومة ب "اسمه عزيز" حول مسألة عزةِ النفسِ التي فقدَها الكثيرون حيث يقول: "سُجنت بتهمة الخيانة، ولما زارها الزوج اعتذرت ثم عانقته وقالت: سامحني يا (عزيز) واعتبرني زليخة فأجاب: أنا لست عزيز مصر".

إذ ينبغي للرجلِ الحق أنْ تكونَ له غَيرة على زوجتِهِ وأهله، إذ لا ينبغي له أنْ يسمحَ لزوجتِه بأنْ تخونه، وألا يمرَّ مرورَ الكرامِ على أمرٍ كهذا، كما هو الشأن بالنسبةِ لعزيزِ مصر الذي أرادتْ زوجتُه "زليخة" خيانتَه مع يوسف -عليه السلام-، لكن سيدنا يوسف أبى واستعصم، ولمّا عَلِمَ العزيزُ بالقصةِ لم يقمْ بأيِّ ردةِ فعل تبينُ رجولتَه، بل اكتفى بقول: "يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبكِ إنكِ كنتِ من الخاطئين"، فبطلُ القصةِ وإنْ كان يشتركُ مع عزيز مصر في الاسم، إلا أنَّه يختلفُ معه في الرجولة وهو ما يدلُّ عليه قولُ الكاتبِ على لسانِ البطل: "أنا لستُ عزيزَ مصر".

وفي القصة الخامسة عشر من نفس المجموعة "نهاية المنع" نجدُ أنَّ الكاتبَ قد تطرَّقَ للحديثِ عن موضوعِ جائحةِ كورونا التي اجتاحتْ العالمَ وقلبتْهُ رأسًا على عقب حيث يقول: "كوفيد منعنا من المصافحة، وهم يطلبون منا أن نضع (اليد في اليد) للوصول إلى المناعة الجماعية".

وما ميَّزَ هذه القصة أنَّها احتوتْ على مُفارقةٍ عَجيبةٍ؛ ذلك أنَّ كوفيد فرضَ علينا عدم المصافحة درءًا للإصابةِ به من جهة، وفي الجهةِ المقابلة يُطلبُ منا وضعُ اليدِ في اليد من أجلِ التصدي لهذا الفيروس اللعين.

أما القصة السابعة عشر ضمن المجموعة "القياس" والتي قال فيها الكاتب: "كلما قرأ ورقة من مقرره الدراسي يقتلعها.. المعلم يُوبخه، لكن التلميذ يتكلم عن حكايةِ أبيه مع (اليومية العصرية)".

فتنبِّهُ لمسألةٍ مهمة، بل مهمة جدًّ ا ألا وهي تقليدُ الأبناءِ لآبائِهم، فالابنُ في القصةِ حاولَ تقليدَ أبيه، إذ كلما قرأ ورقةً من مقررِه الدراسي يقومُ باقتلاعِهاكما يفعلُ والدُه مع اليومية العصرية، لذلك ينبغي للآباء الحرص على أنْ يكونوا قدوةً حسنةً لأبنائِهم؛ فكلُّ تصرفٍ صادرٍ منهم سينتقلُ مبدئيًّ ا إلى أبنائِهم.

وقد تشابهتْ القصة الرابعة والعشرون **PCR** مع القصة الخامسة عشر من حيث الموضوع، إذ هي الأخرى تمحورتْ حولَ فيروس العصر كوفيد **19!** يقول فيها الكاتب: "يحشر أنفه في صندوق القمامة.. الرجلُ يبحث عن دليل على عدم إصابته".

فالكلُّ في هذه الفترة كان لديه خوف رهيب من الإصابةِ بالفيروس اللعين، فحتى لو أصيبَ الواحدُ منا بالإنفلونزا تجده خائفًا من أنْ يكونَ مصابًا بكورونا؛ نظرًا لتشابهِ الأعراض، وهو الأمر الذي حدث مع بطلِ القصة؛ إذ قام بحشرِ أنفِه في صندوقِ القمامة بُغيةَ التأكُّدِ من عدمِ إصابته بالفيروس، أو لربما أخبروه في المستشفى بعد قيامِهِ بالتحليلات بأنَّه حاملٌ للفيروس رغم أنَّ التحاليلَ التي أجراها بخصوص هذا الأمر كانتْ سلبية، وقد فعل ما فعلَه ليبيِّنَ لهم أنَّه غير مُصاب.

في حين جاءتْ القصةُ الثامنة والخمسون تحت عنوان "دلتا" وتقول: "لم يستوعبْ قيمة (دلتا).. الطالبُ لم يجد حلولا لمعادلة من الدرجة الثانية".

وهي قصة تبيِّنُ كيف أنَّ بعضَ الدروسِ التي ندرسها ضمن المناهجِ التعليمية لا تفيدُنا في شيءٍ في الحياة، ولعلَّ هذا ما حصل مع بطلِ

القصة، إذ لمْ تنفعْهُ لا دلتا ولا المعادلات أمامَ مصاعبِ الحياة، فهو في حاجةٍ إلى دروسِ الحياةِ حتى يتعلم.

وأما قصة "ذخيرة الملاعق" (القصة الواحدة والسبعون ضمن المجموعة): "قصفوا بيوتَ غزة وفتشوا(مطابخها) خوفًا من آليات الحفر الخارقة الموجودة هناك".

فتذكّرنا بقصة الفلسطينيين السّتة الذين هربوا من سجنِ المحتل الإس*رائيلي، وذلك عن طريقِ نفقٍ حفروه بواسطة ملعقة، ولعلَّ هذا ما جعلَ المُحتلَّ في القصةِ يفتِّشُ المطبخَ خوفًا من وجودِ ملاعق حتى لا يُعادُ نفسُ السيناريو، ولعلَّ هذا يشِفُّ عن مدى جبنهِ، كيف لا وهو يخافُ مما قد تفعله ملعقة!

وقد ارتبطتْ القصةُ السادسة والسبعون المعنونة ب "الحمال" بظاهرةٍ اجتماعيةٍ خطيرةٍ وهي زواجُ القاصرات حيث يقول فيها الكاتب: "الطفلةُ التي أتعب ثقل المحفظة كتفها تتزوج اليوم.. بعد تسعة أشهر من الحمل، عادت المحفظة إلى ظهرها". فنسبةٌ كبيرةٌ من الفتيات يعانين من هذا الأمر خاصة اللواتي يسكن في البوادي، فتجدهن يتحملنَ مسؤولياتٍ أكبر من عمرهن خاصة بعد الحملِ، في الوقتِ الذي كان من المفترضِ أنْ يتواجدن داخل حجرات الدراسة.

وأما قصة "حرية التعبير"(القصة السابعة والسبعون ضمن المجموعة):" والتي يقول فيها حسن برطال "المناضل يُضرِبُ عن الطعام (شهرين متتابعين)، ولمّا سألوه عن السبب، تكلَّمَ عن عدم صومِه رمضان عمدا".

فتميَّزتْ بوجودِ مُفارقةٍ عجيبةٍ؛ ذلك أنَّ المناضلَ أضربَ عن الطعام لمدةِ شهرين متتابعين، وحينما سُئِلَ عن السبب تكلَّمَ عن عدمِ صومِه رمضان عمدًا، ومن هنا يُستنتجُ أنَّ حريةَ التعبيرِ مجرَّدُ إشاعةٍ ليس إلا.

وفي قصة جدتي(القصة الواحدة والتسعون ضمن المجموعة): "في بيتنا، كان لدينا (LA VAR) يعود إليه أبي؛ ليتخذَ القرار الصحيح.

نجدُ الكاتبَ قد شبَّهَ الجدة ب"La var"، ولعلَّ وجهَ الشبهِ يكمنُ في أنَّ كلًّا مِن La var والجدّة يتمُّ العودةُ إليهما لاتخاذِ القرارِ الصحيح؛ فالقصةُ تصوِّرُ لنا قيمةَ الجدّةِ في البيتِ، وكيف أنَّها صاحبة "الري والشوار" وذلك لما راكمته من تجاربَ عديدةٍ في الحياةِ جعلتْها تحتلُّ مكانةَ الحاكمةِ في كلِّ بيت.

ورشح حسن برطال للقصة الثالثة والتسعين من مجموعته عنوان "أقوى من الرصاص" وقال فيها: "حمامي الزاجل الذي يحمل رسائلي تم القبض عليه، الحرف سلاح محظور في زمن (الحرب الكلامية).

مبينًا كيف أنَّ أثرَ الكلمةِ أقوى من الرصاص، فكما يُقال: "الجرحُ المادي يُشفى بينما الجرح المعنوي فلا". ولعلَّ هذه القصة تذكِّرنا بقصةِ الرسول -صلى الله عليه وسلم- لمّا دخل إلى مكةَ في عُمرةِ القضيّة وعبد الله بن رواحة يمشي بين يديه يقول: خلوا بني الكفارِ عن سبيله، نحن ضربناكم على تنزيله، ضربًا يزيل الهامَ عن مقيلِهِ، ويذهلُ الخليلَ عن خليلِهِ، فقال له عمر: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وفي حَرم الله تقول الشِّعر؟ فقال له رسول الله -صلي الله عليه وسلم- خلِّ عنه يا عُمر، فلهيَ أسرعُ فيهم من نضحِ النبل.

ويقول الكاتب في القصة السابعة والتسعين "حادثة شغل": "عامل البناء يسقط من الطابق الرابع، وفي وجود أبنائه (الثمانية) يكتشف المحققُ أنَّ سببَ الوفاة يعود إلى عدم استعماله لوسائل الوقاية".

وهي قصة يمكن تلخيصها في القول القائل "العبرةُ ليست بالكم وإنما بالكيف" فالأب في هذه القصة رغم كثرة عدد أبنائه، إلا أنَّهم لم يفيدوه في شيء وإلا ما كان في حاجةٍ إلى العملِ أصلا، وبالتالي ما كان ليسقطَ من الطابق الرابع أثناء مزاولة عمله.

على سبيل الختم:

إنَّ قصصَ المبدعِ "حسن برطال" قد تميَّزتْ بمجموعةٍ من الخصائصِ الفنية من قبيل الاختزال والتركيز، السخرية، المُفارقة، القفلة المدهشة، والخصائص الدلالية التي تجلَّتْ في تنوعِ المواضيعِ التي تناولتْها مجموعتُه، وقد نجحَ الكاتبُ من خلال قصصه ـ فضلًا عما امتازتْ به من التكثيف والاختزال ـ أنْ يعالجَ مجموعة منِ القضايا الاجتماعية والنفسية، وأنْ يمرِّرَ مجموعة

من الرسائلِ القيمة، فيمكن وصف قصصه بأنَّها قليلة المفردات كثيرة المعاني وهذا ما جعلها تستحقُّ وعن جدارة إدراجها ضمن القصص القصيرة جدًّا كجنسٍ أدبي إبداعي له وجوده وخصائصه ومقوماته التي يمتاز بها عن غيره.

نبذة مختصرة عن حسن برطال:

من مواليد سنة **1958** بالدار البيضاء، يعدُّ أحدَ أهم رواد القصة القصيرة جدًّا في المغرب، حيث صدرتْ له مجموعةٌ من الأعمال القصصية جدًّا، نذكر منها: أبراج، قوس قزح، الماء والبنون، فارسة الأحلام، مغرب الشمس، لا شرقية لا غربية، النرجيلة الرقمية، إلخ...

أسفار الفنون

مجلة امتداد للثقافة والفن

2023

الأبعاد التّفاعلية في المشروع الفوتوغرافي للمغربي عبد اللّطيف الغازي

مهدي غلاب
تونس

لَئِن كانت الصُّورة الفوتوغرافيّة في بدايات ظهورها **(1838)** - برغم قيمتها الإستكشافيّة العلميّة- مجرّد تقنية وظيفية للتّسجيل البصري للأحداث والإنجازات **(**الثّورات، الصّراعات والحروب، الإخبار، التّوثيق**...)** ولتخليد ملامح شخصانيّة لبعض الوجوه المترفّهة من أصحاب السّلطة والمال **(**البورتريه**).** فإنَّ اِنتشارها جاء سريعا، خاصّة بعد اِفتكاك المجالات البورتريتيه والتوثيقيّة والتأريخيّة من الحركة التّشكيلية الصباغيّة**.** فاِحتكرت بذلك الممارسة الفوتوغرافيّة عددا من الإختصاصات الفنيّة البصريّة المعتبرة **(**الملامح، المعمار**..).** تبلور ذلك مع الظُّهور التَّدريجي للعناصر اللّونيّة في الصّورة الفوتوغرافيّة، ما أدّى إلى اِلتحاقها بالفنون، خاصّة بعد تتالي الأعمال البحثيّة العلميّة التّطويرية التي اِمتدّت إلى حدود بدايات القرن العشرين**.**

أن تلتقط صورة مهما كان نوعها، بورتريه، أوتوبورتريه، منظرية **(panoramique)**، فهذا هو السّائد والمتداول في النّشاط الفوتوغرافي، لكن أن تصنع صورة فهذا ما يُبهر ويجعلنا نلتفت إلى الأبعاد والخلفيّات الإطاريّة والمشروعيّة**.** هذا ما يقوم به الفوتوغرافيّ المغربي الموهوب عبد اللّطيف الغازي، الّذي اِستطاع أن يستبدل قصور المُقدِّراتِ والوظائفِ البصريّة الشّخصيّة بوسائطَ بحثيّة مفهوميّة فنيّة مرتبطة بحجم قراءاته وما تشكّلهُ من اِنعكاسٍ للواقع في مخيّلته المشحونة بِانطباعيّة نفسيّةٍ متفاعلة مع محيطها، غير منقطعةٍ عن التّعبير والتّدبير**.** بذلك أقدمَ على إنشاءِ قناعة مشروعيّة لقراءة بصريّة فنيّة عبر تطوُّر تجربته ونضوجها، وهي قناعةٌ لا ترتكزُ على المُعطى الجمالي المُتداولِ حسب المفهوم الكانطي المستندِ إلى الإمتاع الرُّوحيّ والإبهار القيميّ. بل بِاتّباعِ مُقارباتٍ، تفاعل فيها الفنّان مع محيطه وتجادل مع ذاته واعيا بكامل العناصر المتجدّدةِ والمتطلّبات الفنيّة والتّقنيّة المواكبة للسّيرورة المتصالحة مع عصرها، سيما أن المشروع الفوتوغرافيَّ المجدّدَ، يحملُ عُمقا مشحونا بإرهاصاتِ بوحٍ فرديّةٍ، اِعتمدت على الفعل وردّةِ الفعل، على المقاربةِ والقراءةِ المُنفتحة على ثقافة التخفّي والتّواري الّتي تبنّتها بعض التّجارب الشّرقيّة**.** فجاذبيَّةُ العمل تتغذّى من خصوصيّته وإثارته تتولّد من غُموضِه كما يرى الباحث المصريّ مصطفى عيسى في مُؤلّفه **"** فتنةُ المُتواري**"** الصادر بالقاهرة في أفريل **2021**عن دار بتانة للنشر**.**

لقد عبّرَ لنا الفوتوغرافيُّ المغربيُّ عبد اللّطيف الغازي من خلال تجربةِ التَّعامل مع الإشارة لتوليد الإثارة عن خصوصيّة تشكيليّة خطوطيّة في شكل رشماتٍ متألّقة بارقة وسط الظُّلمةِ ترصد الإنارةَ، بِاعتماد قبَسِ الضّوء المتحرّك**.** وهي خصوصيّة داخليّة تنشُدُ لتأسيسَ وهجٍ جديد للخُروج من العَتمةِ التي تُحاصرُ الحدودَ التعبيريّةَ المحسوسةَ، فيها إصرارٌ على الخلقِ والإنشاء لإيجاد بقعةٍ ضوء وسط عالمٍ تحجُبُه الأقنعةُ وتكبّلُه سياقاتُ الفعلِ المُتناوَلِ والأصل المُتداوَلِ كسمةٍ مُحدّدةٍ للفصل بين المفهوم الحديث والمعاصر، أوالواقع والمجازِ **(métaphore)**، في سعي لتحويل البروتوكولِ البصريّ الصُّوَري المُنعتِق عبر حضور العالم في الذّات إلى المفهوم التّجريدي المُنغلقِ عبر حضور الذّاتِ في العالم حاملا لإشكاليّة التأرجح والعبث، فظلَّ يحتفل بمشروعيّة الفردِ وإنطلاق التّأويل التّفاعُليّ المتعدّد الأبعاد**.**

هذه القراءة المتفاعلة مع الذّات تقدّم المحيط كمساحة سوداء مجهولة **(**حسب زاوية نظر الفنّان**)**، وهي قراءة نفسيّة صعبة تولّد الممكن من **"**اللاّممكن**"** والضوء من الظّلمة والشكل من الهلام والتجسيد من الأحلام والقبس من النّفس**.**

ولمحاولة تحديد أبعاد هذه التّجربة التشكيليّة المُتحرّرة و"المتحوّرة" وجب الإشادة بعنصرين اِثنينِ:

1/ المعطى التِّقني والمتطلّبات الإجرائيّة:

من ذلك:

- خصوصيّة التّجربة تجعلها مرتبطة بتفاعلٍ خاصّ وسط محيط عامٍّ (الحركة، السّرعة، المقياس..).

- المتطلّبات التكنولوجيّة وأهميّة البحث عن تشكيل بناء "رموزيٍّ" اِفتراضي عبر توليفة تجمع بين الرَّسم والصُّورة بإعتماد الضّوء.

- مدى اِرتباط المشروعيّة الفنيّة بالوسائل الرّقميّة الحديثة حسب طبيعة الفضاء ونوعيّة الآلة.

2/المعطى الفنّي والعلامات المفاهيميّة:

من ذلك:

- القراءة التشكيليّة البحثيّة الإعتباطيّة (arbitraire) التي لا تخضع لسببيّة محدّدة، لا بالتّواطؤ ولا بالإتّفاق (convention). وهو نفس ما طرحه المفكّر فرديناند دي سوسير في العلاقة اللّغويّة بين الدّال والمدلول أو الأداة والمضمون وهي علاقة مجرّدة من كلّ اِرتباط مفهومي. فعلاقة الخطوط بالمساحة تبدو منفلتة يغلب عليها التّوجّهُ التجريديُّ السّرياليُّ مادام الفعلُ ينبني على الأوتوماتيكيَّةِ الذِّهنيّة المستقلّة عن الإرادة والمُنقلبة عن الإدارة، بالإحتكام إلى التصوّر المتجرّد من كل مقاربة حسيّة بحسب مفهوم الفرنسي أندري بريتون.

- عمق المبحث وتناوله الخاصّ حتّى من قبل بعض الفنّانين المجدّدين في أوروبا جعل سمته التعبيريّة تطوريّة ومتفاعلة مع محيطها، في ضوء تطوّر الفعل التّشكيلي وتشعّبه طبقا لمقتضيات العصر(التكنولوجيا، الأزمات، البيئة، الطاقة، البيولوجيا ،الاقتصاد، رغبة التّفرّد...).

تبعا لذلك يصعب أن نجد سمة مشتركةً أو تيّارا يُنبئُ بمشروع تأسيسيٍّ ذات أبعاد فكريّة، فنّيةٍ، فلسفيّة، أكاديميّة. لذلك نعتبر أنّ مجمل الأعمال تنحصرُ في النّشاط التفاعلي المعاصرِ(interactif)، وهي مجموعة علامات تشكيليّة تتجرّد من السّمات والإنطباعات التّقليديّة لتنفتح على أفق الإحتياجات الوظيفيّة الشخصيّة والعالميّة مثل تشتيت وثراء التّشكيلات التّعبيريّة وإعتبارِ المنحى البراغماتي

في الطّرح الذاتي وإدراج التّوجّه النّفسي والنّظر إلى الارتباطات الفنمنولوجيّة
(التّحليل، التّجربة، الواقع المُعاش**..)** وتسليط الوعي على العناصر الجامدة لتصير متحرّكة تحتكمُ إلى جدليّة اِفتراضيّةٍ في إشارةٍ إلى جدليّةِ المنطقِ الهيغلي كأوَّل ثنائيَّةٍ مُتقابلةٍ تحتكم إلى تفاعل الذّات بالموضوع**.**

في الطّرح الذاتي وإدراج التّوجّه النّفسي والنّظر إلى الارتباطات الفنمنولوجيّة
(التّحليل، التّجربة، الواقع المُعاش**..)** وتسليط الوعي على العناصر الجامدة لتصير متحرّكة تحتكمُ إلى جدليّة اِفتراضيّةٍ في إشارةٍ إلى جدليّةِ المنطقِ الهيغلي كأوَّل ثنائيَّةٍ مُتقابلةٍ تحتكم إلى تفاعل الذّات بالموضوع**.**
تتّسمُ الأبعاد الفنيّةُ المُتداولةُ في النَّشاطِ المرئيّ للفوتوغرافي عبد اللّطيف الغازي بخصوصيّة الصّراع بين الذّات والعالم وهو صراع موضوعي يؤكّد القطيعة الحسيّة مع المحيط والواقع، مقابل الاِرتباط بالمفاهيم الذّهنيّة**.** إنَّ الاِحتكام إلى هذه المقاربة وُلد عن رغبةٍ وإصرارٍ بعدما اِستنفذ كُلَّ الإمكاناتِ الواقعيّةِ المنفتحةِ على المحيط والمُعاش، فنراه يحتكم إلى توق النّفس لسبر أغوار المحيط المجهول **(**اِستحالة التّمعّن المباشر في العناصر الكونيّة الطبيعيّة**)**، ممّا يؤسِّسُ لديناميكيّة تشكيليّة سيكولوجيّة تحاول فرض مُعطياتٍ تنبثقُ من حقيقةِ الذّاتِ وتعكِس الرّغبة في الحضور الواعي والاندماج الفنّي**.**
هذا الاِنحياز للحدسِ واللّمس بدل النّظر والتّذوق الوجداني بدل البصر وإن كان حاملا لتناول مثاليٍّ مُتقوقع داخل الفردانيّة فإنه اِستطاع إيجاد ملامح مشروع بصريّ متكامل لتشكيل ذات فنّية باحثة عن الجديد ومُتأقلمة مع عصر التقنية وظروف الوسائل الرّقميّة وتفاعلات المفاهيم التّحليليّة الظاهراتيّة التي صارت رافدا مهمّا من روافد الفنِّ التشكيلي المعاصر لتفعيل الخروجِ من مساحة الصّورة المحدودة والسّفر في أغوار النّفس العميقة**.**

المراجع**:**

-Emmanuel Kant,” Critique de la raison pure” , Aubier, Paris 1997.
- سامي بن عامر، **"**معجم مصطلحات الفنون البصريّة**"**، دار المقدّمة، تونس **2021(** الطبعة الأولى**).**
- مصطفى عيسى، **"**فتنة المتواري**"**، دار بتّانة للنّشر، القاهرة **2021.**

متى نُحرِّر ؟!

مهدي غلاب
تونس

متى...
يا... صَديقي
..نُحرِّر...؟!
**
ذَهبتَ...
..كليمًا... عليمّا
بِنَصّي و قَصّي
.. لِكيْ
لا... تَقُلْ لي:
"اِختَليتُ... بنَفسي"
وأنتَ...
تَراني... بِعينٍ
وعَينٍ... تُبرِّرْ
**
متى...
يا صديقي... نُحرِّرْ؟!
أُكَرِّرْ...!
متى...
يا صديقي... نُحرّرْ؟!
**
أتاكَ... سلامي
وسَيْلي...
ونَصّي...
لِكيْ...
تَستَفيقَ...
وتَنهي... وتَأمُرْ
**

فَقُلّي...
بِحقِّ... الجِبالِ المُحيطة
و"حسن" و"كوثرْ"
متى...
يا صَديقي... نُحرِّرْ؟!
**
وأنتَ...
تَراني... بِعينٍ
وعينٍ... تُبرِّرْ
**
وتَغد... وتَأتي
وتَحسَبُ نَفْسًا
صَبِيّة... غَبِيّة
... وتَقهَرْ
فَعلْتَ...
كجَدْيٍ...
يَهِيمُ... وحيدا
فيصعدُ تَلاًّ
يَعلو... ويَعلو
... لِيَصغُرْ
**
وأنتَ... الصّبِيُّ
تَمُرُّ خَجولاً
تَراني... بِعينٍ
وعَينٍ... تُمرِّرْ
فَلمّا
دخلتَ...

لعُمقِ... التُّرابِ
تُقَبِّلُ... "قَعرًا "
... يُصادِفُك السَّيلُ
يَأخُذُ...
مِنكَ الثِّيابَ
... ويَعبُرْ
**
مَتى...
يا صديقي... نُحرِّرْ؟!
وأنتَ...
تراني... بعَينٍ
وعَينٍ... تُبَرِّرْ...
.. أُكرِّرْ...
مَتى...
يا صديقي... نُحرِّرْ؟!
**
جَلَستَ... وحيدًا
عَنيدا... شَديدا
تُواري... تُسطّرْ
**
أتَتكَ... السُّيولَ
وزُرتَ... التُّرابَ
وطارتْ ثِيابا
فَقَرِّرْ... فَقَرِّرْ..!
... مَتَى
.. يا... صديقي...
.....نُحرِّرْ...؟؟!

وقفة سِيريّة

مهدي غلاب
تونس

"السّانُ" يسحَبُ أحضانهُ
بعد فترة انقطاعٍ عن قلب العاصمة الباريسيّة، عدت مرّة لزيارة الملهم الأوّل، نهر **"السّان "** وروافده والمحطّات الحالمة على الضّفتين**.** وصلت مسرعا إلى منتجعي**-** رغم صُعوباتِ التّنقُّلِ**-** بعلّة زيارة أحد الأقاربِ المسنّين قاطعا الحيّ اللاّتيني، بكلّ ما فيه من منعرجات ومسالك ملتوية كانت لزمنٍ قريبٍ زاخرة بالسّلع والمعروضات والمارّة، تكسوها الألوان من كل جانب**.** يعترضني ويراوغني في كل خُطوة خيالي، وبعض البؤساء المستقلّين، المتمدّدين على الرصيف**.** ظلّ يسابقني خيالي الطّويل بعدما أودعت ظهري للشّمس تشرق ثم تغيب**.** كلّما أسلك مدخلا يتغيّر وينحرف، يصعد فوق المساحات، ثم يختفي في لحظات**.** يطاردني، ثم يسبقني وأحيانا يختبئ في مداخل الشّرفات الكئيبة المغلقة، ثمّ بعد مسيرة متواصلة، اِرتطم بالكنيسة المحاذية، وفي لحظة اِستقرّ فوق سقفها المحترق**-** و هي البناية التي يسمّونها **"**سيدتنا العجوز**"- (**سيّدة نفسها **!)-** قلت فيها شعرا مرّة، إثر الحريق الهائل الذي دمّرها تقريبا، أذكر المقطع القائل**:**

أَقْفَلْتُ بَابَ العِشْقِ صِرْتُ زَاهِدًا
وَالنَّارُ رُهبَانٌ يُعَادِي تَوْبَتِي

تَأْتِي عَلَى الأَعْتَابِ تُنْهِي مَعْلَمًا
تُلْقِي بِهَا الأَقْدَارُ فِي تَرنِيمَتِي

"فِيكْتُورُ**"** بَيتُ الحُبِّ يُشْفِي سُقْمَهَا
لَمَّا تَلَا نَصًّ ا تَلاَشَت غُصَّتِي

اِستقرّت الظّلال عند الجرس العظيم، تودُّ أن تقرعه من جديد حتى تستفيق البشريّة من سباتها، وتنتبه للمحضورات والأخطار المحدقة، كانت هي تدقّ الجرس وأنا أركل الأرضيّة وألعن الزّمن لتعود إلى لعبتها الطفوليّة، حتّى شارفت على تجاوز الخلفيّة المواجهة للنهر**.** بعد فترة، أرسلت لي ريحا خفيفة شهيّة النّوم واِنقطعت المطاردات**.** صار النّهر، سجّاني، يخاطبني بصمته وأنا أكتب المفردات، أُصنّف الكلمات**.** يغذيني وهو جائع، يتوقف الخرير كلّما تكلّمت**.** وفي لحظة، تذكرت الفترات الورديّة والعشق الثمين في أهداب الشّقراء والمراكب تحرسنا والضّوء يدفعنا إلى الأعماق حدّ الاِنطلاق**.** كان اليوم صامتا حزينا لا يقارن ب**"**مجردتنا**"** الحبيب، نهرنا الخجول، لا يعوّضه ولا يضاهيه**.**
كنت كلّما ألتصق بجسد التّمثال تتدفّق المعنويّات وفجأة توقّف الخرير، غاب الطّير، لبست الموجات سترتي الوحيدة لتنتصر على **"**التّيّارات السلبيّة**"**. وتغلق عين الغائبالمُتهاون**.** أفقت بعد برهة عاريَ الصّدر والكدمات تنتشر في أضلاعي، كانت ظلالي تتمتّع وحدها وتصطاف وتتجوّل وتطير في عالم مجهول بعدما تحطّمني وتقزّمني**.** اِنتقل **"**السّانُ **"**، رحل وحيدا**.** لم يطفئ اللّهب في داخلي**.** بينما ظلّت العجوز المقدّسة مستلقية للشّمس، كما تستلقي الغانية للغُرباء**.**

لوحة للفنان التشكيلي مهدي غلاب

رحلاتٌ نصيّةٌ مختصرة تبحثُ في مكامنِ السِّحر الإبستيمولوجيِّ للفنونِ البصريّةِ).

الصّناعاتُ الرّافائيليّة بين الوجدان والوجود.

مهدي غلاب
تونس

يأخذنا دفقُ اللّونِ المتوهّج البرّاق وتقودنا فوانيسهُ في ظلمات المسيرةِ المتغذّية من شفقِ الرّوح إلى مدارات التشكُّل والإختلاف رغبة في تجسيد السّكينة البشريّة بعد القفزات الماراطونيّة المتلاحقة في الشّكل والماهية بالحفاظ على التّجربة المتقادمة مع الزّمن في مقاربة إئتلافيّة أخويّة فنيّة متفرّدة **(Brotherhood)**انحرفت عن التمشّي المتداول **(الفنّ الرّافائيلي الحديث)**، بإخضاعهالتجارب متهوّرة غريبة أحيانا ومميتة أحيانا أخرى**.** ما مهّد المجال لإنقسام الخطّ الرافائيلي الذي أسّسه أنصار العالمي رفائيلو سانزيو **(1483-1520)** إلى متعاطفين مع المنحى التّشكيلي الرياضي العلمي ومجموعة من **"**المنفلتين**"** المعارضين للتطوّرية التّشكيليّة الكونيّة مثل جماعة باربيزون **(Barbizon)**المنحازين للواقعيّة والمُشيدين بمجد الطّبيعة، بإستقرارهم الدائم وسط غابة فونتينبلو **(Fontainebleau)**جنوب شرق العاصمة الفرنسيّة باريس، منهم تيودور روسو و فرانسوا ميلي وائتلاف إخوان ما قبل الرافائيليّة، محور تناولنا**.** وهي حركة طالبت بمراجعة المسار الصُّوَري التّشكيلي بمقاربات كنسيّة تأمّليّة في الطّبيعة والخلق لإعادة قراءة فردانيّة لعدد من التّجارب الخاصّة مستوحاة من الروتين الفكتوري والجذور الأدبية القروسطية لترسم بذلك الشخصيّات أطيافا تتموقع بين المَوتِ والحياةِ وبين العودة والحضور عبرَ نَغميّة شعريّة تسردُها الأثريّات السّلتيّة في الأفق البعيد**.** فَتَنفُخُ الصّمت في التحوّلات المتتالية الإعتباطيّة تارةً والمُقامرة تارة أخرى، لترسل السَّكينَةَ رمزيّةً للرّوح المقدّسة، تحنّ إلى نظرة أركيولوجيّة مؤثّثة بوسائل وأحجام لا تتماشى مع التحقيب أحيانا وبالتوجه إلى الأعمال المذهّبة الميّتة الثّابتة في صدر الجوقة المتخليّة من ضوضاء الخطوطيّة وتداخل الأبعاد الذي إتّبعته الموجة الثّانية في النّهضة الفنيّة الأوروبيّة إنطلاقا من أواخر القرن الخامس عشر**.**

وهو إئتلاف مجموعة الروّاد الإنجليز والإيطاليين منهم جان إفريت ميلّي صاحب أيقونة **"** الفتاة العمياء**" (1856)**، كنموذج لفنّ الإختلاف، انتبهوا إلى العشوائيّة التي باتت تسطّر المشهد وتغزو السّاحة منها الألوان البستاليّة الخفيفة ، الضّبابية السفوماتيّة والإختيارات التأثيريّة الكروماتيكية الثّانوية **(**لازوردي، حمضي ، ورد الخدود، سيقان العذراوات **...)**. إضافة إلى المنحى العبثي العدمي بدأ من تكسير قاعدة التّوازي الأفقي والعمودي، مرورا بنبذ التّباين وتبنّي التّمويه والحركة وصولا إلى الإفراط في التّفصيل والتّقريب وتحقيق البعد البانورامي أو الخلفيّة المشهديّة وحساب الأبعاد والعمق وهي عمليّات تقنيّة إستثنائيّة تشكل العمق الأيقوني للظّاهرة الرافائيليّة**.** هذه المجموعة الشبّانية أسّست لحركة من أقصر التوجهات الفنية عمرا **(1848-1855)**. نادت بالاقتداء بمساربوتيتشيلي **(Botticelli)**ملك العذراوات**,** الذي بشّر ببدايات الثّورة الفلورنسيّة**.** فإرتبطت الأعمال نسبيّا بالتّجربة المريرة الدّرامية التي أعادت تجسيد الحركة من السّرعة إلى البطء و الأشياء من الحديث إلى القديم عبر إعتماد إمضاء الأعمال من الخلف بدل الأسفل بشعار بي آر بي **(PRP)** بمعنى إخوان ما قبل الرّافائيليّة**.**

غير أنّ عمرها القصير ارتبط خصوصا بالمنحى المتدهور لكل تجربة قدمها روادها جمعت في تفاصيلها بين المغامرة والعدميّة والسّخرية، من ذلك لوحة أوفيلي الشهيرة لجان ميلي التي أنجزها عام **1852** وهي لوحة كادت تودي بحياة الشخصية الواقعية المجسّمة عندما سقطت في قناة مائية وكادت تقضي من برودة الماء،وكذلك

الشأن بالنسبة لـ دانتي غابرييل روزيتي الذي دفن أشعاره المكتوبة مع رفات زوجته ثم فتح القبر بعد سبع سنوات لِاستخراج القصائد وقراءتها. هذا البعد الغرائبي اكتمل مع تجربة بهلوانيّة عبثيّة لهولمان هنت في عمله "التيس الرسول" الذي تم إنجازه في **1854** وبقي متواصلا على مدى سنوات حيث أنّه مستمد من تجربة سفر إلى الأراضي الفلسطينية اشترى فيها الفنّان تيسا يرافقه على جنبات البحر الميت غير بعيد عن أريحا، ما اِضطره إلى رعايته ومتابعة تنقله عبر التضاريس المنخفضة اِنخفاضا غير مسبوق. كل هذه التجارب العلاميّة الظاهرة هي ما بقي من تراكمات هذه المجموعة التي اِكتسبت شخصيّة فنيّة في التّناول والحقيبة اللونيّة وخاصّة المواضيع التي بقيت مستقلّة ومتفرّدة ما جعلها تنطبع في الذّاكرة الفنيّة رغم البعد المسرحي الأدائي التأملي المستجوب للمسيرة البشريّة.

لوحة أوفيلي الشّهيرة (جان إفريت ميلّي) 1852

مَراكبُ الوهنِ

مـهـدي غـلاب
تــونس

حَوقَلتُ لَمَّا رَأَيتُ القَلبَ يَشتَعِلُ
مِن دُونِ نَارٍ يُحَاكُ الشَّرُّ يُفتعَلُ

خَيرًا تَرَكتُ وَجَاءَ السُّوءُ يَتبَعُنِي
خَلفَ البِحارِ وَلكِن نَالهُ الفَشَلُ

يَأتِي ذَمِيمٌ كَرَأسِ الضَبِّ يَذكُرُنَا
فِي الجُحرِ يُفتِي غَبَاءً سَادَهُ الجَدَلُ

يَمضِي يُخرِّبُ كَالمَجنُونِ مَائِدَةً
أَلقَى ظُنُونَهُ ثُمَّ اِنتابَهُ الكَسَلُ

وَالمَوجُ يَسرُدُ إِملاَقًا وَمشأَمَةً
مُذ غَابَتِ العَينُ سَادَ الحِقدُ والدَّجَلُ

قَد جِئتَ تَزحَفُ كَالرُّهبانِ تَغدُرُنَا
تَبنِي سَرَابًا فَيشكُو الحَرفُ وَالطَّلَلُ

مِن أَينَ فَوزُكَ وَالموجُودُ مُفتَقَدٌ ؟
وَالحُلمُ زَاغَ فَكَيفَ الصُّبحُ يَندَملُ ؟

زَنبُورُ لَحدٍ وَمِنكَ الوَاحةُ اِرتَحَلَتْ
فِيكَ السُّمُومَ هَجَاكَ النَّحلُ وَالعَسلُ

يَا أَنتَ مَاذَا تُدَارِي فِي مَدِينَتِنَا !؟
فَالنَّخلُ شَاخَ وَذَا الزَّيتُونُ يُعتقَلُ

وَالسَّاحَةُ اليَومَ تُفشِي سِرَّ نُخبَتَهَا
وَالشَّمسُ تَجهَرُ وَالصَّحرَاءُ وَالجَبَلُ

لوحة للفنان التشكيلي مهدي غلاب

سراجُ اللّيلِ

مـهـدي غـلاب
تــونس

سراجُ اللّيلِ نادانا
وفي الظّلماءِ حيّانا

دنا و اللّيلُ منسابٌ
فهام الكونُ ألوانا

وَحاكى الضّوءَ مِصباحا
وَحاكى المَاءَ أحيانا

أشعَّ الذَّنبُ مِسبارا
تلاَ في الجَوِّ ألحَانا

فنامَ اللّيلُ مِقدارًا
وبَاتت فيه أشجانا

ومالت حولهُ الدَّفلَى
بنَت في القلبِ أوطَانا

فوارَى الحُلمُ دَيجُورا
وجالَ النجمُ نشوانا

وعادَ الخُنفُسُ الضَّائي
فَراشا في مُحيَّانا

وها أعراسُنا لاحَت
ولا تحتاجُ إعلَانا

وليس الصُّبحُ مسرَاها
ولا ينقادُ ولهَانَا

لأن اللَّيلَ مِعطاءٌ
لوعدِ قَد تلاقانا

و قد أعرضتَ عن شمسٍ
كما عاهدتَ ميدانا

لوحة للفنان التشكيلي مهدي غلاب

mag.imtidad@gmail.com

مجلة امتداد للثقافة والفن